كتاب النجاة

لمن اتبع الهدى واجتنب الردى

مما وضعه

الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين

صلوات الله عليهما

في إثبات العدل ونفي الجبر

والرد على عبدالله بن يزيد البغدادي

كتاب النجاة
لمن اتبع الهدى واجتنب الردى

مما وضعه

الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين

صلوات الله عليهما

في إثبات العدل ونفي الجبر
والرد على عبدالله بن يزيد البغدادي

منشورات
مكتبة أهل البيت(ع)
اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحويه قطر، ولا يفنيه دهر، ولا يجري عليه عصر، ولم يسبقه خلف ولا أمام، ولا يمين ولا شمال، ولا فوق ولا تحت، المحدث للأشياء من غير شيء مخترعاً، والموجد للبرايا كلها بغير كلفة مبتدعاً، لا بطويّة إضمار، ولا برويّة أفكار، وهو الواحد الجبار والعزيز القهار.

والحمد لله الواحد ذي البرهان، والأول ذي السلطان، والكائن قبل الدهر والحدثان، وقبل الأين والأوان، وقبل الجسم والزمان، وقبل الحرور والأكنان، وقبل الجن والإنسان، وقبل الجماد والحيوان، وقبل السماوات والأقطار، وقبل الليل والنهار، وقبل الظُّلَم والأنوار، وقبل الأرض والبحار، وقبل الأنهار والأشجار، وقبل الهواء والقرار، وقبل الرياح والأمطار، وقبل الفلك الدوّار، وقبل الشمس والقمر الساري، وقبل النجم الزهّار والفلك الجواري.

مبتدع البرايا بلا ظهير قدم، ولا معين عُلِم، ولا مثالٍ انْتُظِم، ولا تكليفٍ تُجُشِّم، ولا حركة تؤلم، ولا نَصَب يُسئِم، ولا خوف ضِدّ يهجم، ولا منافر يقاوم، ولا حاجة تلزم، ولا صرف ينتجم، ولا لأمر مهم، ولا لأنسٍ من وحدة، ولا لتكثُّر من قلة، ولا لتعزز من ذلة، ولا لتمنّع من وحشة، ولا لخوف من نازلة، ولا لفاقة إلى فائدة، إلا إظهاراً للقدرة، ودلالة على الوحدانية، وإبانة للقوة القوية، والعز والجبرية، والمجد والربوبية، والقدرة والأزلية، والحكمة والإلهية، تدبير الحكيم الذي لا عبث في حكمته، الذي أحسن في تقديرها، وأتقن في تدبيرها، وأفتن في تصويرها، وجعلها دلائل تدل عليه، وتهدي من أناب من خلقه إليه.

إذ لا تراه عيون الناظرين، ولا تبلغه أوهام المتوهمين، ولا تمثله أفكار المتفكرين، ولا تحدّه ظنون الظانين، ولا يدركه فحص الفاحصين، ولا تبهته بلاغة المتكلمين ولا إغراق المتبحرين، حسرت عنه الأبصار، وكلَّت عن الدنو إليه الأنظار، وصغرت عن الإحاطة به الأفكار ؛ إذ لا سبيل إلى أمر يُستدل به على ذاته جل ثناؤه وتقدست أسماؤه إلا بآثار

صنعته ومصابيح دلائله وعادل شواهده، فصار ذلك كنظر العيان وأيقن الإيقان، وأبين البيان وأوضح البرهان.

العدل على الحقيقة، الذي لم يقض بالفساد على أحد من الخليقة، ولم يُمِلْهم عن واضح الطريقة، ولم يظلم منهم ملكاً ولا سوقة، بل أرشدهم وهداهم، وبالنعمة العظيمة ابتداهم، الذي لم يصددهم عن رشدهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم، ولم يمنعهم عن هدايتهم، ولم يكلفهم غير طاقتهم، ولم يكن علمه بذنوبهم بمانع لهم عن التوبة والإقلاع عن الخطيئة، فهو البريء من ذنوبهم، والناهي لهم عن ظلمهم، والداعي إلى خلاصهم، والمبتدئ بالفضل والإحسان إليهم، والمرسل لرسله عليهم عَلَيْهم السَّلام، والمنزل لكتبه ذات الأحكام ؛ **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165].

فأمر تبارك وتعالى تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطَعْ كرهاً، ولم يُعْصَ مغلوباً، **{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(42)}** [الأنفال].

فجاءت الرسل صلوات الله عليهم بالإعذار والإنذار، والترغيب في الجنة والتحذير من النار ؛ إذ لم يُقدِّر الحكيم الخبير ذنوبهم، ولم يصدد منيبهم، ولم يُدخلهم في معصيته، ولم يخرجهم عن طاعته، ولم يخلق من أفعالهم فعلاً حسناً ولا قبيحاً، ولم يَحُلْ بينهم وبين الهدى، ولم يحملهم على كفر ولا ردى ؛ عز عن ذلك العلي الأعلى، والعدل الحكيم الكاره للخطايا والمجازي بالحسنى والمعاقب على الأسواء، الصادق وعده، والمنجز لوعيده، الذي لم تبطل كتبه ولم تكذب رسله، ولا يستحيل أمره، ولا يخلف قوله، ولا يناقض كتابه، ولا تغير حقائقه، ولا يبدل حكمه، وهو القوي العزيز.

وصلى الله على الأعظم قدراً والأجل خطراً، والأرفع ذكراً والأحمد أثراً، والأبين فضلاً والأشرف أصلاً، والأوضح عدلاً والأصدق قولاً، والأوسع كرماً والأنزه نفساً، والأنصح للأمة نصحاً، والأطيب ذرية، والأعلى ذروة، والأبرع حلماً والأوفى ذماماً، الرسول المصطفى، والنجيب المرتضى محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار.

الأمين على الوحي، والمبلغ للنذارة، والمرشد للبرية، الذي لم يدع أحداً من الخليقة ولا غيره من المرسلين عَلَيْهم السَّلام إلى جبر ولا تشبيه، ولا إلحاد ولا تلبيس، ولا خروج من عدل ولا ميل عن حق، الذي نُزِّل عليه الكتاب المبين بالحق اليقين، الذي ليس فيه آية يُتعلق بها على الله جل ثناؤه في ظلم، ولا تُخرج من عادلِ حُكم، ولا تشهد لمجبر، ولا تشكك مستبصراً ؛ بل العدل في كله شاهد لمفترضه، ومبرئ لمنزِّله عن ظلم عباده، وحملهم على المعاصي بعد نهيه لهم عنها وتحريمها عليهم والإهابة بهم إلى ضدها، والإخراج لهم من ظلمها إلى نجاتها ورشدها، فلم يُدخل أحداً من خلقه في ضلالة، ولم يكلفهم من أمره فوق الطاقة، ولم يحُلْ بينهم وبين الطاعة، ولم ينكب بهم عن طريق الصواب، ولم يُعْمِهم عن ولوج صالح الأبواب.

بل ابتدأهم بالرأفة والرحمة، ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، لئلا يكون للخليقة عليه تبارك وتعالى بعد ذلك حجة يدعي فيها مدعٍ أنه أتي في دينه من قِبَل ربه في تقدير قدره عليه، أو قضاءٍ ألزمه إياه، أو حتمٍ قصده به، أو صدٍّ عن هداية، أو خلق لفعله، أو جبر جبره فيه على ما نهاه عنه وخوفه من إتيانه ؛ يأبى ذلك على المجبرين المفترين قولُ العزيز الرحيم والعدل الحكيم: **{يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ(9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(10) كِرَامًا كَاتِبِينَ(11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(12) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ(14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ(15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ(16)}** [الانفطار].

فاستمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحكمة البالغة، والحجة القاطعة لعذر كل مجبر افترى على ربه، وألزمه ذنبه، كيف قال: {**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**}، فلو كان الغرور من قبل ربه عز وتعالى لم يجُزْ في الحكمة ولا في العدل أن يقول له: ما غرك بربك؟ وهو الذي غره وضره وقدر عليه شره.

ثم قال: {**كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ**}، فلو كان تكذيبهم من قِبله عز وجل لم يعبْ عليهم فعله، ولم يعنفهم على تقديره، فيخرج من الحكمة، ويصير إلى صفة الجائرين.

ثم قال: {**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ(14)**} فلو كان هو عز وجل الذي قدر عمل الفريقين، وفعل فعل الطائفتين، ونزل الجميع المنزلتين ابتداءً منه من غير استحقاق لثواب، ولا أخذٍ بجرم اكتسبوه يوجب العقاب، لم يكن لإرساله لرسله، ولا لإنزاله لكتبه إلى أهل الدارين معنى، ولم يكن في ذلك حكمة بعد تنزيله لهم في منزلتيهم، وتقديره ذنوبهم عليهم، وجعل بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، ثم كلفهم الخروج مما قدر، ,الدخول فيما لم يُرِدْ بعد إبرام المشيئتين، وسابق القضيتين، حاشا للعلي العظيم، والعدل البر الحكيم، والرؤوف بعباده الرحيم، والجواد بطوله الكريم، والقدوس في وحدانيته القديم، مما قال المفترون ونسب إليه المبطلون، لو كان ذلك لسقطت الحكمة عمن تسمى بالحكمة ونفى عن نفسه الظلم وأمر بالعدل وحض على النصَفة والجود والكرم، ودعا إلى الحسن، وحذر من القبيح، وعاب الفساد وعاقب على الجور ؛ فهل يدخل حكيم فيما عاب ؟ أو يفعل ما كره ؟ أو يقضي ما عنه نهى ؟ أو يحول دون ما إليه دعا؟ أو يصد عما به ابتدأ ؟!! عز عن ذلك رب العالمين، وعظم عما قاله المجبرون، وأسنده إليه المعتدون، لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

وصل كتابك يا أبا محمد أعني ولينا عبدالله بن عمر أتم الله نعمه كاملة عليك، وأرشدك لطاعته، ونجاك من سخطه بمنه وقدرته، تذكر أرشدك الله أنه ألقي إليك كتاب من بعض أهل الجبر والفرية على الله تبارك وتعالى، وهو كتاب عبدالله بن يزيد البغداذي الذي وضعه لأهل رأيه بما سطر لهم، وموه عليهم، واحتج على أهل العدل المؤمنين بزخرف من القول لا يجوز عند المسلمين، وسماهم قدرية ومفترين على الله جل ثناؤه، وأعلم أصحابه في كتابه أن الحق معه وفي يده دون غيره، وليس هو ولا أصحابه بأول من أعجبته نفسه وظن أنه على شيء ثم ذمه الله جل ثناؤه وأبطل قوله وفعله، قال الله عز وجل يصفه ومن كان مثله من أشكاله: {**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(105)} [الكهف]،

وقال: **{وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ(18)}** [المجادلة].

وقد قال المشركون تعجباً من النبي صلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار وسلم: **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ(5) ... مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ(7)}** [ص].

وقد نظرت كرم الله عن النار وجهك في كتاب المجبر عبدالله بن يزيد البغداذي، وأتيت على معرفة ما قال، وما نسب إلى الله جل ثناؤه من الجور على عباده، والطعن على كتابه، وقد أجبته بما حضرني من الجواب، على أن في كتابه مع العيب الأول عيوباً كثيرة، وفساداً من اللغة وسوء تأدية في اللفظ، وأمراً من القول غير محكم، وتكريراً في المسائل لا وجه له، فقد جمع كتابه كل عيب ؛ فالله المستعان.

وقد تحملت ذلك على ما قد علمت من علتي واشتغال قلبي، واشتراك ذهني في وقتي هذا لئلا يظنوا أنا عجزنا عن جوابهم أو قَطَعَنا احتجاجُهم، أو بهرنا تسطيرهم، أو كبر علينا الرد عليهم، وبالله نستعين، وعليه نتوكل وإليه نرغب في الثبات على طاعته، والنصرة لدينه، والقيام بحقه، والذب عن عدله وتوحيده، والمضادة لمن عند عنه وألحد في صفته وشبهه بخلقه وجوّره في حكمه، ومال بالحق إلى غير أهله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

فكان أول ما قال وابتدأ به من السؤال، وافتراه من الضلال **أن قال**: سل القدرية أهل الفراء والكذب على الله عز وجل.

فنحن نقول رادين عليه: على القدرية أهل الكذب والفراء على الله لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين.

ثم قال: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم ؟ فإن قالوا: بلى ؛ فاسألهم: هل أراد الله أن يكون منهم غير ما علم أنه كائن منهم ؟ فإن قالوا: نعم ؛ فقل:

أليس قد أراد أن يكون غير ما علم وكره أن يكون ما يعلم ؟ فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أخبروني عمن أراد وأحب أن يكون غير ما علم إله هو ؟ فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أليس إلهكم يحب ويريد أن يكون في سلطانه ما لا يعلم ؟ ولا يريد أن يكون ولا يحب أن يكون الذي يعلم ؟ فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فإنكم تصفون إلهكم أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم، وسينقطع كلامهم هاهنا، وينقطع الجواب فيه، ويركبون منه ما يُدخلهم في الشرك بالله العظيم ؛ لأنه من زعم أن الله يحب أن يكون جاهلاً فهو مشرك وهو يخرجهم إن أجابوا فيه إلى غير منتهى قود أهل القبلة.

وإن قالوا: لم يحب ولم يرد أن يكون غير ما يعلم وإنما أراد وأحب أن يكون ما يعلم أنه كائن فقد أراد وأحب أن يكون المؤمن مؤمناً والكافر كافراً كما علم، وهذا هو قولنا، وليس لهم من أحد الوجهين بد، فليركبوا ما شاءوا منهما.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عَلَيْه السَّلام: أول ما نبتدئ بالرد عليه قول الله عز وجل: **{أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}** [الأعراف:169]، وكل ما اعتقده على الله عبدالله بن يزيد البغداذي لمحال باطل لا يليق لذي لب قوله، ولا الأخذ منه.

وسألت **فقلت**: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم ؟

فقولنا: إن الله تبارك وتعالى هو الأول قبل كل شيء من خلقه، ولم يزل عالماً بجميع الأشياء قبل أنها ستكون، وعِلْم الله عز وجل بالأشياء هو غير المعلومات ؛ لأن العلم من صفات الذات، والمعلومات من صفات الفعل وهو غير العلم، والله عز وجل العالم بنفسه لا بعلم هو غيره، وليس علمه بشيء غيره، والأشياء كلها هي غير الله عز وجل.

فلما أحدث الأشياء التي أحدثها هو مما تولى صنعه ليس مما أحدث العباد صار علمه محيطاً بها، وكذلك علمه محيط بما أحدث العباد باختيارهم مما كرهه ولم يرضه ولم يخلقه من فعلهم واكتسابهم، وقد علم جل ثناؤه قبل أن يحدث الأشياء ما يكون قبل أن يكون، فلم

يزده ذلك علماً لم يكن يعلمه، ولم ينقصه عن علم شيء قد علمه، ولم يكلف الله عز وجل خلقه إبطال علمه المحيط بهم، والخروج منه ؛ لأنه ليس إلى ذلك سبيل إلا أن يكون لهم سبيل إلى الخروج من السماوات والأرض، وهذا كله محال لا يكون.

فالعلم محيط بالخلق كإحاطة السماوات والأرض، والسماوات والأرض لم يشركن في أفعالهم من الخير والشر بقليل ولا كثير إذا زنوا وسفكوا الدماء وانتهكوا المحارم، وعبدوا الأصنام، وكفروا بالرحمن، وفعلوا الجور كله، وفعلوا الطاعات كلها، ولا يجوز أن يكون للسماوات والأرض في فعلهم فعل، ولا تشركهم بخردلة فما فوقها.

وكذلك العلم محيط بهم لا يشركهم في فعلهم بقليل ولا كثير، ولا بمقياس خردلة فما فوقها ؛ لأن العلم لا يُدخلهم في معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولا يحملهم على محبوب ولا مكروه، ولا حق ولا باطل.

وفي باب العلم جاء غلط م نغلط من هذه الأمة، وهلاك من هلك، وإجبار من أجبر، وإلحاد من ألحد في صفة الله عز وجل من هذه المجبرة الظالمة الغاوية الغوية ؛ فكفروا من حيث ظنوا أنهم آمنوا، وإنما كلفهم الله عز وجل الخروج من ذنوبهم، وافترض ذلك عليهم فرضاً لازماً جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وجرت به السنن، وسفكت الأنبياء صلوات الله عليهم عليه الدماء، وضربوا عليه الأعناق، وقتلوا وشردوا.

ولم يكلف الله تبارك وتعالى أحداً من جميع الخلق الخروج من علمه، وليس ما افترض عليهم من الخروج من ذنوبهم هو الخروج من العلم، وإبطال المعاصي والخروج منها ليس إبطالاً لعلم الله عز وجل وبخارج منه، فقد احتجوا على الله تبارك وتعالى بالمحال، وأرادوا أن يُدخلوا في العلم دخلاً ليثبت لهم القول بالجبر، وأبى الله عز وجل ذلك ؛ لأن حجته الغالبة، وحقه القاهر، وكتابه الواضح.

فإن زعموا أن الخروج من الكفر هو الخروج من العلم، لزمهم أن الله عز وجل قد افترض على العباد الخروج من علمه، وإن كرهوا هذا القول وخافوا أن يُقْدِموا عليه لزمهم أن الله عز وجل قد افترض على العباد الخروج من علمه.

وإن كرهوا هذا القول وخافوا أن يُقدموا عليه لزمهم أن الله جل ثناؤه افترض على العباد الخروج من الكفر، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم، وهذا هو الحق وفيه قطعهم، وهو قولنا.

وأما قولك: أخبرني عمن أراد وأحب أن يكون في سلطان غير ما يعلم ؛ إله هو؟ فإن قلنا ذلك لزمنا –زعمت– أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم، وأنا ننقطع زعمت هاهنا.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: فإن نقول لك: أليس من جهلك بالدين وغلطك في العدل أنك لم تعلم ما في القرآن، ولا تلاوة الفرقان إذ كان في سلطان الله عز وجل في خلقه من زعم أن له الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد، وهو عندنا نحن وفي قولنا أنه لا يريد ذلك ولا يحبه، ولا يقضيه ولا يخلقه.

ومن قولكم أنتم أيها المجبرة أنه أراد ذلك من المشركين وأحبه، وخلقه من فعلهم ؛ فقد أكذبكم بقوله عز وجل: **{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(18)}** [يونس]، فالله عز وجل لا يعلم له شريكاً ولا ولداً ولا صاحبة ولا نداً، وقد جعلها له المشركون وسموها أشياء.

وزعمت يا عبدالله بن يزيد البغداذي أنت ومن قال بقولك أن الله عز وجل خلق ذلك من فعلهم وقولهم، وقضاه عليهم وأراده منهم وأحبه فيهم، وهذا قول الله عز وجل يشهد أنه لا يعلم ما قالوا وأنه كاره لقولهم، وأنه لم يُرده ولم يقضه.

فإن قلت غير ذلك لزمك أنه أراد منهم وخلق فيهم فعلاً وقولاً لا يعلمه، فتوجب أن له إرادة لا يعلمها، وقد قال في كتابه: **{قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(18)}**، وكفى بهذه الحجة قاطعة لك، وناقضة لقولك.

وقال عز وجل: **{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ}** [الأنعام:100]، فنقول لك: أخبرنا عن قوله عز وجل: {**بِغَيْرِ عِلْمٍ**} أتقر بما قال الله سبحانه أنهم قالوا هذا القول فيه بغير علم ؟ فإن قلت: نعم، سألناك عن ذلك العلم الذي عنى الله عز وجل أهو الأمر الذي خلقه من فعل العباد وقضاه عليهم وأراده منهم ؟

فإن قلت: نعم ؛ وجب عليك أن الله عز وجل قد أبطله فإنه غير علم.

وإن قلت: إنه علم ؛ رددت على الله عز وجل قوله إنه غير علم، وأبطلت كتابه وكذبته ؛ فاختر أي ذلك شئت.

ثم نقول لك: هل أحب الله من المشركين أن يقولوا: إن له ولداً وصاحبة وشركاء، وأنه ثالث ثلاثة ؟

فإن قلت: إنه صلاح ؛ لزمك أن الفراء على الله سبحانه وإضافة الصواحب والأولاد والشركاء إليه صلاح، ومن قال هذا فهو مشرك.

وإن قلت: إن ذلك فساد ؛ فذلك هو الحق، ولزمك أن الله جل ثناؤه قال في كتابه: **{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205)}** [البقرة]، وزعمت أنت وأصحابك أنه يحب الفساد ؛ وفي هذا قطع حجتك، وتكذيب قولك، وإبطال دعواك.

وإن قلت: إنه خلق ذلك من فعل المشركين، ولم يحببه ولم يرده ولم يرضه.

قلنا لك: كيف يجوز في العقل أو يثبت في الحكمة، أو يخرج في العدل أن يخلق الخالق عز وجل خلقاً لا يريده ولا يرضاه ولا يحبه ؟ هذا ما لا يجوز ولا تقبله العقول ؛ لأن الفاعل لذلك عابث، والعبث عن الحكيم منفي.

ثم نسألك فنقول لك: أخبرنا عن فعل المشركين الذي زعمت أنه خلقُ الله وإرادته ؛ هل هو حسن أم قبيح ؟

فإن قلت: إنه حسن زعمتَ وجب عليك أن الفِراء على الله والكفر به حسن.

وإن قلت: إنه قبيح ؛ رجعت عن قولك إلى قولنا بالعدل.

فإن قال القائل منكم أو من غيركم: فقد خلق الله المشركين وهو لا يحبهم.

قلنا له: إن بغضاء الله للمشركين لم تكن منه إليهم إلا بعدما استحقوا ذلك منه واستوجبوه لشركهم ؛ فأما قبل ذلك وهم أطفال فلا يجوز أن يبغضهم بل يرحمهم ويُجري عليهم نعمه، ويعطف عليهم الآباء والأمهات، وقد قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(107)}** [الأنبياء].

ومن الحجة عليك أن نقول لك: هل أراد الله عز وجل من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ما علم ؟ أو ترك ما أمر بإنفاذ ما علم ؟

فإن قلت: أراد الله عز وجل من الخلق إنفاذ ما علم بترك ما أمر ؛ لزمك أن ترك الملائكة والرسل وجميع من أُرسلوا إليه من الأمم ما أمر عز وجل به من جميع الطاعات كلها أصلح وأوفق وأنه أراد أن لا يرجعوا عما علم أنهم يختارون من عبادة الأصنام والشرك وجميع المعاصي.

وإن قالوا: أراد الله من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ما علم ؛ رجعوا عن قولهم، وصاروا إلى قولنا، وغُلبوا، وفلجت حجتهم، وذلك هو الحق وهو قولنا.

لأن الله عز وجل أراد من خلقه إنفاذ أمره الذي جاءت به رسله وكتبه والدعاة إليه من أئمة الهدى عَلَيْهم السَّلام، وأن يتركوا قبيح ما علم أنهم يختارونه بأهوائهم، ويقدرون على تركه باستطاعتهم المركبة فيهم ويرجعوا إلى أحسن ما علم أنهم قادرون على فعله باستطاعتهم المركبة فيهم المخيرين فيها، وقد قال عز وجل في محكم كتابه ما يصدق قولنا ويشهد لحجتنا: **{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(32)}** [الإسراء]، لعلمه أنهم يقدرون على ترك الزنا، ثم قال عز وجل: **{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}** [الزمر:55]، لعلمه أنهم يقدرون على ذلك ومعهم عليه الاستطاعة والقوة.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم هل أراد الله وأحب أن يؤمن العباد جميعاً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم لأنه قد علم أنهم لا يؤمنون جميعاً، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم.

فإن قالوا: نعم ؛ فقل لهم: أرأيتم الذي لا يعلم ما يكون، إلهٌ هو؟

فإن قالوا: لا الذي لا يعلم ما يكون فليس هو بإله ؛ لأن الذي يجهل ما يكون ليس بعالم وهذه صفة الخلق، فقل لهم عند ذلك: صدقتم ؛ أفليس بواجب أن من يكون في هذه الصفة فهو غير إله ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل لهم: أليس الله يريد ويحب أن يكون غير ما يعلم، وقد أحب أن يكون في صفة المخلوق وتكون أشياء لا يعلمها، فقد أحب أن يكون شيء لا يعلمه أنه كائن فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم، وهذه صفة المخلوق، وقد أحب تبارك وتعالى أن يكون بها لأنه قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم ؛ لأنكم زعمتم أنه قد أحب أن يؤمن من يعلم أنه لا يؤمن ؛ فقد أراد أن لا يكون ما علم حتى يكون في صفة من تكون الأشياء لا يعلمها.

فإنهم لن يعيدوا لك هذا الكلام.

واعلم أن من أشد ما يلزمهم إن أحسنت كلامهم، فأحسن المسألة ولا تتركهم يجيبونك بغير ما سألتهم عنه، ولا تنتقل عنها إلا غيرها ؛ فإن فيها ما يفضحهم ولا يجدون مخرجاً.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه كلهم للعبادة وأراد أن يطاع ولا يعصى، وأنه أراد لكلهم الرحمة والنجاة، ودخول الجنة والسلامة من النار، والدليل على صدق قولي وبيان حجتي: قوله عز وجل:**{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(57)}** [الذاريات]، وقوله لنبيه صلوات الله عليه وعلى آله: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، وقوله:**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}** [سبأ:28]، والكافة في لغة العرب فهي الكل لا البعض ؛ فصح وثبت أنه لم يخلقهم للكفر، ولا للمعصية، ولا للنار، ولا تلك إرادته ولا حكمه، وإنما خلقهم للعبادة والطاعة لا من حاجة منه إلى ذلك إذ هو الغني عن كل شيء من خلقه، وإنما خلقهم رحمة لهم وتفضلاً عليهم ودلالة على الوحدانية، وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة، وخيرهم فيها تخييراً، وركب فيهم

المقدرة، وعلم أنهم إن أرادوا كلهم العبادة أنهم يقدرون على ذلك لما معهم من الاستطاعة، وأنهم إن أرادوا المعصية أنهم يقدرون على ذلك لما معهم من الاستطاعة أيضاً.

فامتحنهم عز وجل بالأمر والنهي ليميز المطيع من العاصي من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين، والعقاب على العاصين، ثم خيرهم تخييراً ولم يقسرهم قسراً، وقال لهم: من أطاعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته ناري بعد أمري ونهيي وإعذاري وإنذاري، وليس واحد من الفريقين مجبوراً على فعله ولا مقسوراً على عمله، ولا مخلوقاً اكتسابه، ولا عِلْم الله تبارك وتعالى فيه وفيما يختار بمُدخل له في معصية ولا مخرج له من طاعة.

فأرسل إليهم الرسل لإثبات الحجة وقطع العذر لما مكنهم فيه من الاستطاعة والقوة على قبول الدين، ودلهم على طريق النجاة، وحذرهم من طريق الهلة، وبين لهم الحق، وقد علم قبل خلق السماوات والأرض من يختار منهم الطاعة ويرغب في الهدى، وعلم من يصد منهم عن الحق ويختار الكفر والظلم ويتبع الهوى، وليس علمه بذلك منهم يوجب لهم عليه حجة ولا يزيل عنهم فريضة ولا يوقع لهم عذراً، ولا يترك لهم إلى الاعتلال سبيلاً، وقد علم عز وجل أن منهم من لا يؤمن، وقد أراد الله عز وجل منهم الإيمان طوعاً وتخييراً، ولم يرده منهم قسراً ولا جبراً ؛ لأنه لا يُغلب إذا أراد الحتم والقهر.

وقد أدخلت يا عبدالله بن يزيد البغدادي قولك: أرأيتم الذي لا يعلم أإله هو ؟ وهذه منك مغالطة وتشنيع، وجهل بالعدل، ونحن لم نقل إن الله عز وجل لا يعلم ما يكون، ومن قال ذلك فقد كفر وخرج من الإسلام، ولعمر الله إن الذي يجهل ما يكون ليس بإله ولا يسمى عالماً، وإن هذه صفة المخلوقين.

وإنما قولنا الصحيح: إن الله عز وجل العالم الذي لا يعزب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه لما ذكرنا من الشرط في صفة الخلق وما جعل لهم من الاستطاعة وندبهم إليه من ترك الهوى، وأرسل إليهم وهو يعلم أن منهم من لا يؤمن، وليس في هذا تجهيل لله عز وجل، ولا فساد.

لأنه قد علم أن خلقاً من خلقه سيكفرون ولا يؤمنون، عَلِم الله عز وجل قبل خلق كل شيء أن ذلك الكفر سوف يكون منهم باختيارهم لا باضطرار اضطرهم الله تبارك وتعالى، ولا خلق أفعالهم، ولا بقهر حملهم عليه ؛ لأنه قد علم أن الكفر لا يكون إلا من كافر وأن جميع المعاصي لا تكون إلا من العصاة، وقد قال في كتابه جل ثناؤه: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}** [البقرة:109]، فأخبرنا عز وجل بعلمه فيهم أن الحسد من عند أنفسهم لا من عنده، ولا من عند نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا من عند أنفسهم خاصة غير مضطرين ولا مجبولين.

ولو كان علمه سبحانه مانعاً لهم عن معصية أو طاعة لما آمن من كفر، ولا كفر من آمن ؛ لأنا وإياك قد رأينا فساقاً صاروا صالحين، وصالحين صاروا فاسقين، وقد حكم الله سبحانه في كتابه وسابق علمه أن من اضطر إلى شيء ليس له عنه غنى ولا يستطيع غيره أنه له حلال، وليس عليه في تباعة من الله جل ثناؤه، ولا إثم ولا عقوبة ولا عيب ولا لوم لعدل الله جل ثناؤه وإتقان حكمته، فقال في غير موضع من كتابه: **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}**[البقرة:173].

فإن كان الله عز وجل هو الذي اضطر العباد وحال علمه دون طاعتهم، وحملهم على ما قالت المجبرة وقلت أنت يا عبدالله بن يزيد البغداذي ومن قال بقولك من الجهال بدين الله عز وجل وبعدله من شتمه وتكذيب رسله، وقتل أنبيائه والجحود لكتبه، وسفك دماء الأنبياء وأئمة الهدى عَلَيْهِم السَّلام وجميع ما أسندتم من الفواحش والردى والزنا واللواط والخنى والخمور والملاهي والغناء والتعطيل والشرك الذي لا يرضى وجميع المعاصي التي أوجب الله جل ثناؤه على من فعلها النار والخلود في العذاب المقيم.

وما أسندوا إليه أيضاً من حملهم على نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وأخذ الأموال، وقطع الطرق، وغل الزكوات، وشهادات الزور، والتعطيل، وغير ذلك من جميع الظلم والعدوان والمنكر، وجميع ما حرم الله ورسوله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

فإن كان ذلك كذلك فأنتم معذورون وليس عليكم فيما اضطررتم إليه تباعة ولا حجة ولا إثم في الدنيا ولا في الآخرة إذ كان المضطر عند الله عز وجل معذوراً وغير معذَّر، وإلا فهلموا لنا حجة يصدقها القرآن أن على المضطر الذي لا يستطيع ترك ما اضطره الله إليه حرجاً أو عقوبة أو إثماً أو عذاباً أو وزراً في الدنيا وفي الآخرة.

وقد أعلمنا الله جل ثناؤه بعيب المجبرة وفريتهم عليه وبراءته من فعلهم، وإلزامه إياه ظلمهم وكذبهم فقال عز وجل يصف الكفار فيما أسندوا إليه مما كذبوا فيه عليه: **{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(78)}** [آل عمران]، فهذه شهادة الله عز وجل وهذه حجته القاطعة عليهم.

وقد أعلمنا عز وجل أن الكذب ليس من عنده، وأعلمنا أن القوم الذين قالوا: إن الكذب من عنده كذبوا عليه، وأنت يا عبدالله بن يزيد البغداذي تضع علينا الكتب في إبطال هذا البرهان والحجة القاهرة وتسمينا أهل الفراء والكذب على الله، واتخذ أصحابك قولك المعاند للقرآن ديناً وحجة على أهل العدل المؤمنين، وتركوا كتاب الله جل ثناؤه الذي هو شفاء لما في الصدور، والمدحض لكل غرور، وقد سمعوا الله عز وجل يقول: {**وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**}، فقالوا مكابرة للعقول: بل هو من عند الله.

وقوله: **{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** [النجم:23]، وقوله عز وجل: **{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(103)}** [المائدة].

انظر كيف يحملهم الجهل وقلة النظر والبغض لأهل العدل على الخروج من واضح القرآن ومن فئة الإسلام بردهم للقرآن بعدما تبين ؛ فأي كفر أو جحود أو مكابرة أو فرية أعظم أو أشنع أو أكبر عند الله عز وجل من أن يقول الله جل ثناؤه: ليس من عندي وأنا منه بريء وليس هو في علمي؛ وتقول المجبرة: بل هو من عندك، وأنت قضيته علينا فشهدَتْ

على الله عز وجل بالزور، وردت عليه قوله: وكذبت كتبه، وألحقت به وأسندت إليه ما ليس من عنده، وجعلت كبراءها وأسلافها أصدق عندها من الله عز وجل ومن كتابه المبين.

وقولك يا عبدالله بن يزيد البغداذي: إن الله أراد أن لا يؤمن الكفار لعلمه أنهم لا يؤمنون، وأنه لو أراد أن يؤمنوا لكانت تلك الإرادة تبطل علمه فلذلك لم يرد منهم الإيمان زعمتَ، وأنه يجب في قولنا أن يكون بصفة المخلوقين زعمت.

فنحن نسألك الآن عن هؤلاء العباد الذين علم الله عز وجل أنهم لا يؤمنون ؛ هل أمرهم الله عز وجل وافترض عليهم أن يكون منهم الإيمان أم لا ؟

فإن قلت: لم يأمرهم الله بالإيمان ؛ كفرت بأمر الله وأبطلت كتابه حيث يقول: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(170)}**[النساء]، وقوله: **{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(158)}** [الأعراف]، مع آيات كثيرة يطول شرحها مع إكذاب أهل الصلاة كلهم لك.

وإن أقررت أن الله عز وجل أمرهم أن يكون منهم الإيمان ؛ لزمك في قولك ومن دان بدينك أن الله عز وجل قد أمرهم أن يجهِّلوه في قولكم وبزعمكم وعلى مذهبكم ؛ إذ أمرهم أن يكون منهم غير ما يعلم، ويدخل عليك ويلزمك في قولك أن الله عز وجل يعبث ؛ لقولك إن الله تعالى أراد ممن يعصي من عباده أن يعصوه ولم يرد أن يطيعوه، وأنت مقر لنا بأن الله عز وجل قد أمر الذين أراد منهم المعصية أن يكون منهم الطاعة ولا يكون منهم المعصية ؛ فقد أمرهم بزعمك يا عبدالله بن يزيد أن يكون منهم لا يريد الله، وتقر بأنه قد نهاهم أن يفعلوا ما يريد وغضب عليهم وعذبهم بالنيران وخلدهم بين أطباق أدراك جهنم في عذاب الأبد السرمد الذي لا ينقطع إذ لم يتحولوا عما يريد ويحب ويرضى ويشاء ويخلق إلى ما لا يريد ولا يحب ولا يرضى ولا يشاء ولا يخلق.

فزعمت أنه يأمر بما لا يريد، وينهى عما يريد، وقد أعلمنا الله عز وجل أنه حكيم عادل، حسن الفعل، لا يليق به العبث ولا الجور ولا الظلم لأحد من خلقه، ولا يخلف وعده ولا وعيده.

وقد علم أهل العقول والألباب أن الذي يأمر بما لا يريد، وينهى عما يريد عبَّاث غير حكيم ولا عدل ؛ فكيف يضاف إليه عز وجل فعل من يعبث وهو تبارك وتعالى لا يعبث، ولا يجور فسميتموه باسم الجورة، وأسندتم إليه فعل الظلمة، عز عن ذلك العليم الحكيم.

ونسألك أيضاً يا عبدالله بن يزيد عن هؤلاء القوم الذين علم الله عز وجل أنهم سوف يكفرون ؛ أليس قد أمرهم بترك ما علم أنه سيكون منهم من الكفر والشرك والضلالة والظلم؟

فإن قلت: لا ؛ كفرت بأمر الله سبحانه، وبما افترض من الإيمان في كتابه، وبما أرسل به الرسل من الأمر بطاعته والنهي عن معصيته، وما ذكرنا من الآيتين.

وإن قلت: نعم ؛ لزمك لنا في قولك، ووجب عليك في دعواك: أن الله جل ثناؤه قد أمرهم وافترض عليهم رد علمه وإبطاله إذ زعمت أن المعلوم منهم هو العلم السابق من الله تبارك وتعالى بالأشياء قبل أن تكون.

وقد كذبت عليه ؛ ليس الأمر على ما قلت، ولكن العلم من الله عز وجل بالذنوب غير الذنوب، والعلم من الله عز وجل محيط بالذنوب وأهلها، والأشياء كلها ليست محيطةً بالعلم، وإنما افترض عليك ترك الذنوب والخروج منها، وليس في إبطال الذنوب والخروج منها إبطال العلم ولا الخروج منه ؛ فاستفد هذه الحجة في هذا الموضع الذي جهلته، واعرف أين هلكت.

وقد يدخل في قولك أن الله عز وجل قد افترض على العباد أن يجاوزوا علمه وأن يبطلوه ؛ وهذا كفر بما افترض الله على العباد، وإنما أمرهم الله عز وجل أن يخرجوا من قبيح ما يعلم إلى أحسن ما يعلم ففي أي ذلك ما تقلبوا فهو يعلمه، وفي علمه يتقلب الخلق، لا يُدخلهم علمه عز وجل في طاعة، ولا يخرجهم من معصية، وإنما أدخلهم وأخرجهم بالأمر

والنهي لا غير ذلك، وليس لهم على الله جل ثناؤه حجة في علمه بذنوبهم، ولا لهم في ذلك فرج ولا نجاة ولا راحة.

والأمر الذي هو لازم لهم ومفروض عليهم أن يخرجوا من قبيح ما يعلم من فعلهم إلى أحسن ما يعلم من فعلهم، وقد جعلهم الله المستطيعين لذلك، ودعاهم إليه وافترضه عليهم ولم يكن عز وجل ليدعوهم إلى أمر يفترضه عليهم ويُعد لهم على تركه النار وهو يعلم أنهم لا يقدرون عليه عز وجل عن ذلك وتعالى، وبذلك قامت عليهم الحجة لما جعلهم مستطيعين لقبول دينه.

وقد علم الله عز وجل أن فرعون بعد قيام الحجة عليه وإتيان موسى صلى الله عليه بالبراهين والحكمة البالغة أنه يختار الكفر على الإيمان، وأنه يكفر ولا يؤمن باتباعه للهوى واستطاعته المركبة فيه والتخيير فيها لا بالصد من ربه، ولا أمرٍ حال بينه وبين الإجابة لموسى صلى الله عليه.

مع أن لنا في فرعون حجة قوية قاطعة لا يقدر أحد لها على نقض، وأنه قد آمن حيث أراد الإيمان ورأى العذاب عياناً، فلم ينفعه ذلك الإيمان الذي فعله لقول الله عز وجل: **{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}** [النساء:18].

وقد وجدنا فرعون قد آمن حين أراد لأنه مخير وليس بمجبور، وقد أخبرنا الله عز وجل بأصدق الشهادة عنه أنه قد آمن حين لم ينفعه إيمانه، وذلك قول الله عز وجل يخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم عن قصته حيث قال: **{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(90)}** [يونس]، فهذا يدل على إيمانه حيث أراد الإيمان، وهذه حجة قاطعة لمن زعم أنه مجبور، وأنه محول بينه وبين الإيمان، وكفى بهذه الحجة شاهداً لنا عليك إذ زعمت أن الله لم يُرد إيمانه لئلا يبطل علمه زعمت فقال الله تبارك وتعالى راداً على فرعون: **{آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(91)}** [يونس].

فهذا القول والإخبار من الله عز وجل يوجب لنا على المجبرة أن فرعون قد آمن حيث أراد ؛ لأنه مستطيع للإيمان لأنه كان يمكنه ويقدر عليه من قبل ذلك اليوم الذي غرق فيه لو أراده ؛ فهذه حجة واضحة لا نقض لها بحول الله وقوته.

ونسأل عبدالله بن يزيد البغداذي وأصحابه المجبرة: هل أمر الله سبحانه فرعون أن يكون منه الإيمان أم لا ؟

فإن قالوا: لم يأمره ؛ كفروا بأمر الله وكذبتهم الأمة.

وإن قالوا: نعم قد أمره الله بالإيمان ؛ فقل لهم: أمره الله أن يكون منه الإيمان ما قد علم أنه لا يفعله أبداً ؛ فالله عز وجل بزعمكم وفي قود قولكم ينهى عن الإيمان وليس يأمر به.

وإن قالوا: بلى قد أمر به ليكون من فرعون من الإيمان ما قد علم الله سبحانه أنه لا يكون منه ليكون ذلك ؛ لزمهم ووجب عليهم في قولهم أن الله عز وجل أمر فرعون أن يجهّله بزعمهم إذ أمره أن يكون منه غير ما يعلم، وقد علم الله أنه سيجعل فرعون مستطيعاً لترك ما نهاه عنه، وقبول ما أمره به، وقد علم الله سبحانه أنه لن يكون منه إلا ما علم أنه جعله مستطيعاً لتركه وجعل له الغنى عنه والقوة على تركه كما قد علم أنه لا يكون منه من الإيمان ما قد جعله مستطيعاً لأخذه وجعل له إليه الاستطاعة والسبيل، وعن غيره السعة والفسحة والمندوحة، ولم ينهه عن المعصية إلا لئلا تكون منه، ولم يأمره بالطاعة إلا لتكون منه الطاعة، وليس العلم بحائل بينه وبين اتباع موسى صلوات الله عليه والقبول لما جاء به.

وقد قال الله جل ثناؤه في كتابه المحكم: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، وقد علم عز وجل أن الفتنة سوف تكون باختيارهم كذلك قال لجميع الخلق ليكن منكم الإيمان ولا يكن منكم الكفر، فقد علم الله عز وجل ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون باختيارهم واتباع أهوائهم لا بقضائه عليهم ولا بتقديره لمعاصيهم ولا بخلقه لفعلهم.

إذاً لم يجز في حكمته ولا في عدله ولا في صدقه ولا في حقائق أمره ولا في واضح كتابه أن يقول: **{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}** [السجدة:14]، ويقول جزاء بما كنتم

تعملون، ويقول: **{لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ}**[المائدة:80]، ويقول: **{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(81)}** [البقرة]، وقوله: **{فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ(97) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(98)}** [هود]، وقال للمؤمنين: **{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(72)}** [الزخرف]، وقال: **{بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)}** [الحاقة]، وقال: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(60)}** [الرحمن]، وقال: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39)}** [النجم].

فأضاف تبارك وتعالى فعل العباد إليهم من الخير والشر، ولم يضف شيئاً من أعمالهم إلى نفسه إلا ما دلهم عليه من أمره ونهيه وتفضله بكرمه لا غير ذلك.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وادعت عليه المجبرة أنه تعالى خلق الإيمان والكفر فجعلوا زنا الزاني مخلوقاً، وصلاة المصلي مخلوقة، وأن الله عز وجل هو الخالق لذلك كله، فلزمهم أنه شريك لهما جميعاً في فعلهما، وأن الزاني لم يكن ليزني حتى خلق فعله، وأن المصلي لم يكن ليصلي حتى خلق فعله.

فنقول لهم عند ذلك: فكيف أثابهم الله عز وجل وعاقبهم على خلقه ؟ وهو يقول لهم: جزاء بما كنتم تعملون ؛ فأفردهم بفعل ذلك، ولم يقل: جزاء بما كنتم تعملون وأنا معكم فاعل لذلك الفعل الذي فعلتموه، فكان ذلك أعظم للمنة وأقوى للحجة، جل الله وتعالى عما يقول المفترون علواً كبيراً.

ثم أعجب العجب أن هذا قولهم في الله جل ثناؤه ثم يسمون أهل العدل قدرية مفترين ؛ قال الله عز وجل: **{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(112)}** [النساء].

فإن كان الله عز وجل هو الذي خلق أفعال المشركين وقدرها عليهم وحال بينهم وبين التوبة بعلمه فيهم ثم قال: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}** [المائدة:73]،

وقال في موضع آخر: **{وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة].

فنقول لك: عمَّ ينتهون إن كان الله عز وجل هو الذي قدر فعلهم ؟ وكيف يدعوهم إلى التوبة وهم لا يقدرون عليها زعمت؟! سبحان الله العظيم ما أعظم فساد هذا القول.

وقال الله سبحانه: **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا(88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90)}** [مريم]، ثم قال سبحانه: **{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(112)}** [النساء].

فإن كان القول على ما قلتَ لقد إذاً دخل فيما عاب، ورماهم بما فعل بهم وقدّره عليهم وقضاه من اكتسابهم إذ رمى الأبرياء، ولولا قضاؤه لم يفعلوا ما فعلوا على قول المجبرة، وقد قال عز وجل: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}** [الروم:41]، ولم يقل: بما خلقت فيهم، ولا ما قضيت عليهم .

فهذا القرآن ينطق بتكذيبهم صراحاً، وأنتم تكابرون العقول، وتغلطون على الناس بآيات متشابهات في القرآن جهلتم تأويلها، ولها معانٍ في اللغة العربية تفسيرها عند أهل العلم بالدين والمعرفة باللغة العربية، ولولا طول الكتاب لذكرت من ذلك من الآيات ما يتبين فيها الحق، وسأختصر من ذلك في كتابي هذا ما فيه البيان والشفاء لكل مسلم إن شاء الله.

ونحن نسألك أيضاً حين قال عز وجل: {**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90)}** [مريم]، أمن قضائه وقدره ومشيئته وإرادته وخلقه لقول عباده وفعلهم زعمت؟ أم من كفر الكفار وشركهم وفريتهم على الله ؟

فإن قلت: ذلك من إرادة الله وقضائه ومحبته ؛ لزمك أن السماوات والأرض والجبال أردن التفطر والانهداد والانشقاق من قضاء ربهن وقدره وإرادته.

وإن قلت غير ذلك ؛ فزعمت أنهن غضبن من قول الكفار وفريتهم على الله جل ثناؤه ؛ رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

ونسأل عبدالله بن يزيد البغداذي عن علم الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق: هل علم أنه سيأمرهم بالخروج مما علم أنهم عاملون ؟

فإن قال: نعم قد علم أنه سيأمرهم بذلك ؛ قلنا له: أمرهم بالخروج من ذنوبهم أو الخروج من علمه ؟

فإن قال: أمرهم بالخروج من علمه ؛ كفر بالله العظيم وبانت فضيحته ؛ إذ لا مخرج لأحد من علم الله عز وجل من جميع خلقه.

وإن قال: أمرهم بالخروج من ذنوبهم ؛ بطلت دعواه في العلم، وفلجناه ؛ لأن الذنوب غير العلم، والذنوب من المعلوم، وبين العلم والمعلوم فرق عظيم جهلته القدرية المجبرة، وقد أمرهم الله تبارك وتعالى بإبطال المعلوم منهم وليس في ذلك إبطال العلم الذي هو من صفات الذات ولا فساده، وانكسر على عبدالله بن يزيد البغداذي قوله، وبطلت دعواه وزعمه أن فيما زخرف من كذبه وفريته على الله فضيحة أهل العدل، وأنهم لا يجدون مما قال مخرجاً زعم، وغلط الجاهل في دينه.

فلينظر الآن أصحابه في جوابنا هذا، ولينعموا النظر وليتقوا الله الذي إليه المعاد، ولا يكون من أهل الآية التي قال الله عز وجل: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}** [التوبة:31]، فوالله ما صلوا للأحبار ولا للرهبان، ولكنهم كانوا يفعلون ما أمروهم به فلذلك سماهم أرباباً لهم.

ثم ليعلم أصحاب عبدالله بن يزيد البغداذي أنه قد غشهم وغلط عليهم وأهلكهم في دينهم وصدهم عن رشدهم، وذلك جزاء من ترك القرآن والقوَّام به، وقلد الرجال والأحاديث المدخولة أمر دينه وزهد في الفتش وإنعام النظر، واتبع الهوى بلا هدى من الله عز وجل ولا طلب للنجاة بالبحث والتمييز والحذر من الهجوم على من لا يعذره لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم لا عذر في ذلك لمتعبد، والحمد لله رب العالمين.

ونسأله أيضاً عن الخروج من الذنوب أهو الخروج من العلم أم الدخول فيه ؟

فإن قال: بل الخروج من الذنوب هو الخروج من علم الله عز وجل ؛ كفر بالله لأنه يلزمه أن من أُمر بالدخول في شيء فقد كان في غيره، ومن أُمر بالخروج من شيء فقد أُمر أن يصير في غيره ؛ لأنهم يزعمون أن العباد قد أمروا بزعمهم أن يصيروا في غير العلم إذ أمروا بالخروج منه فيصيرون في غير ما كانوا فيه بزعمهم وعلى قود قولهم.

وإن قالوا: إن الخروج من الذنوب هو الدخول في العلم فقد أمروا أن يدخلوا في العلم الآن إذ كانوا في غيره بزعمهم، وقد علم الله عز وجل ما سيكون من العباد من البر والفجور قبل أن يكون شيئاً مذكوراً.

فاسمعوا عباد الله إلى ما قلنا، وافهموا ما شرحنا وبه احتججنا، ثم انظروا لأنفسكم وميزوا بعقولكم ؛ فإن الإقدام على النار الخطر الكبير العظيم، والهول الجسيم والحسرة الباقية ؛ فما بعد هذا الاحتجاج والبيان إلا اتباع الهوى والميل عن الهدى بلا حجة ولا برهان، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

ونسأل عبدالله بن يزيد البغداذي: هل رضي الله عز وجل كل شيء علمه أم رضي بعضه وسخط بعضه ؟

فإن قال: رضي بعضه وسخط بعضه ؛ رجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل ونفي الجور والجبر وخلق أفعال العباد إذ زعم أنه قد كان من العباد شيء لم يرضه الله سبحانه وهذا هو الحق وهو قولنا.

وإن قال: إن الله عز وجل قد رضي كل شيء عَلِمه من بر أو فجور أو كفر أو غرور، ولا يكون زعم إلا ما يرضى ويحب من البر والفجور ؛ فحينئذ صار من حزب الشيطان.

ثم يقال له عند ذلك: هل يسع العباد في دين الله عز وجل الذي افتُرض عليهم أن لا يرضوا ولا يحبوا ويريدوا لله عز وجل وللرسول صلى الله عليه ما رضي الله عز وجل وأحب وأراد وشاء لنفسه ولنبيه صلى الله عليه.

فإن قالوا: لا يسعهم إلا ذلك، ولا يجوز لهم في الدين غيره.

قيل لهم: أليس ترضون وتحبون وتريدون وتشاءون أن يؤذَى الله ورسوله والمؤمنون، وأن يقال لله عز وجل إنه اتخذ ولداً، وإنه ثالث ثلاثة، وأن نبيه صلى الله عليه وعلى آله سحار كذاب، وأنه رضي بقتل الأنبياء وأئمة الهدى والآمرين بالقسط من الناس ؟

فإن قالوا: لا يسعنا ولا يجوز لنا غير القول بهذا ؛ لأن الله رضيه وقضاه وأراده وأحبه وشاءه وخلقه من أفعال العباد، أراده لنفسه ولنبيه وللمؤمنين، فلا يسعنا ولا يجوز لنا إلا أن نرضى بما رضي الله سبحانه وأراد وأحب وشاء ؛ لزمهم في قولهم أن يرضوا بشتم الله عز وجل وشتم رسله صلى الله عليهم وقتلهم وقلت الأئمة والمؤمنين، وقول اليهود: **{عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ}** [التوبة:30]، وقول النصارى: **{الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}** [التوبة:30]، وقول الكفار: **{إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}**[المائدة:73]، وإن له صاحبة وولداً وشركاء، وقولهم إن يده مغلولة، وكل عيب نسبه الكفار إلى الله، عز وجل عن ذلك وعلا علواً كبيراً.

وما نسبوا إلى رسوله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من السحر والشعر والكهانة والكذب وأنه يعلمه بشر، وأنه مجنون.

وإن قال: لا يرضى بهذا، ولا يحبه ولا يريده ولا يشاؤه ولا يعتقده ولا يقول به ؛ كفر بدينهم الذي كان عليه، ورجع عن مذهبه، وانتقض جميع ما وضعه لهم عبدالله بن يزيد البغداذي.

ونسألهم أيضاً عن قول الله عز وجل: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(28)}** [محمد]، من عنى الله جل ثناؤه بهذا القول ؛ الملائكة والأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين والمؤمنين ؟ أم عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى ؟

فإن قالوا: عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى وجميع العصاة ؛ لزمهم أنهم قد رجعوا عن قولهم، وأقروا لنا بقولنا ولا بد لهم من جوابنا في هذا الباب والإقرار به، أو الكفر بالآية.

وإن قالوا: عنى به الملائكة والأنبياء والمرسلين ؛ كفروا بالله صراحاً وخرجوا من دين الإسلام، وإنما لزمهم ذلك لأن من قولهم إن كل شيء علمه العباد فبقضاء الله وقدره

وإرادته ومحبته ومشيئته وخلقه لذلك الفعل منهم، فبهذا لزمهم الكفر وأكذبتهم الآية قوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ}**.

ثم نسأل عبدالله بن يزيد البغداذي: هل كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله وسَلَّم يرضى من الكفار بما رضي الله منهم ؟ أم دعاهم إلى ما لا يرضى الله سبحانه ولا يريد ؟ فإنه لا يستقيم لهم في قولهم الذي يعتقدون إلا أن يقولوا: إن النبي صلوات الله عليه وعلى آله دعا العباد إلى ما لا يرضى الله ولا يريد ولا يشاء ولا يحب، وأن الشيطان وفرعون وهامان وأتباعهم كانوا يدعون العباد إلى ما أحب الله ورضي وشاء وأراد وقضى وقدر وخلق من فعل العباد من عبادتهم للأوثان وشتمهم الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات وقتلهم وظلمهم.

فأي العبدين أحب إلى الله عز وجل وأكرم عليه ؛ أعبد يدعو الناس إلى ما لا يحب ولا يريد ولا يرضى ولا يقضي ولا يقدر ولا يخلق ؟ أم عبد يدعو الناس إلى ما أحب الله ورضي وشاء وقضى وقدر وخلق من فعل عباده؟

فيجب في قولهم راغمين أن الشيطان وفرعون وأبا جهل بن هشام وقارون وهامان وإخوانهم أحب إلى الله عز وجل من محمد عَلَيْه السَّلام ومن جميع الرسل ومن أئمة الهدى ومن المؤمنين والصالحين.

فإن قالوا: إن نشنع عليهم ونقول ما لم يكن منهم.

قلنا لهم: أفليس هذا احتجاجهم وقولهم في كتاب عبدالله بن يزيد البغداذي يشهد على ما قلنا، وأن جميع الخلق من أهل المقالات يعلمون أن المجبرة والخوارج يقولون كلهم: إن كل شيء في الأرض بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ومحبته، أن أفعال العباد الله خلقها وقدرها، وأنه إذا كان لأحدهم ابن فاسد أو به عاهة أو هو على ضلال أو فسق وسأله عنه أحد من الناس قال: ذاك رجل كما شاء الله له، وذاك رجل كما أحب الله، وذاك رجل كما قضى الله عليه، وذاك رجل كما قدر الله عليه أن يكون وأراد.

وإذا كان له ابن صاحب عفاف وصلاح فسئل عنه قال: ذاك رجل كما تحب ويسرك وكما ترضى وتريد ولم ينسب ذلك العفاف والصلاح إلى الله عز وجل كما نسب إليه فسق الفاسقين وفعل ذي العاهة وفساد الفاسد.

ثم تسمع من قولهم إذا أخذوا في الأحاديث وذكروا المدن قال القائل منهم: سبحان من خرب البصرة، لعن الله من خرب البصرة، فبينما هو يسبحه إذ لعنه جهلاً منهم بعدل الله عز وجل والفرق بين فعله وفعل الآدميين، وقلة معرفة بحدود المنطق وواجب العدل.

ومن شأنهم أن يقول الواحد منهم: كنت أهوى فلانة الفاسقة فخرجت في طلبها البارحة فلقانيها الله كما أحب وأشتهي، وفي هذه الكلمة كفران اثنان عظيمان فاحشان ؛ أما واحد فكذبه على الله عز وجل وإسناده إليه ما هو منه بريء أنه زعم أحب وشاء.

والآخر قوله: كما أحب الله واشتهى، والشهوة لا تكون إلا من الآدميين، ولا يجوز أن يقال: اشتهى الله لأن هذا تشبيه، وإنما يجوز أن يقال شاء الله عز وجل ؛ فافهم هذا الباب.

ثم يقول هذا المجبر الجاهل: فباتت فلانة معي في أسر ليلة وأحسن مجلس ؛ فلما كان في آخر الليل جاء الشيطان فألقى في قلبها بلية فأفسدها علي، فقالت: لست أقعد وأنا أخرج من عندك، فخرجت وتركتني.

فنسب الملعون إلى الله عز وجل عما قال أنه الذي لقاها إياه، ونسب إلى الشيطان أنه الذي سول لها الخروج من عنده ؛ فأي كفر أعظم من هذا الكفر ؟! وأي جهل أعظم من هذا الجهل؟! الذي احتج عبدالله بن يزيد البغداذي في نصرته والقيام بعذر أهله والإبطال للكتاب والعدل والحكمة.

ومن ذلك: وضعه علينا كتاباً يبطل به العدل زعم، ويثبت به حجج الكفار والزناة والفساق، ويلزم الله سبحانه ما أسندوه إليه ورموه به من العظائم والقبائح، قدوس قدوس رب العالمين.

ومن قولهم أيضاً المعروف بينهم: أن يقعد الواحد منهم يحدث إخوانه فيقول: كنا البارحة نشرب الخمر، ثم انقطع بنا فلم يبق معنا خمر، فبينما نحن كذلك إذ رزقنا الله قربة خمر فأتممنا بها آخر مجلسنا ؛ فهذا القول وأشكاله يضع فيه عبدالله بن يزيد البغداذي الحجج ويقول لأصحابه: قولوا لأهل العدل كذا وكذا فإنهم لن يقدروا لكم على جواب، ولن يقوموا معكم بحجة ؛ فسيعلم ما يرد عليه من الجوابات في هذا الكتاب بحول الله وقوته، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].

ونسألهم عن قول الله جل وعز في كتابه: **{إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ}** [النساء:108]، فسلهم ؛ أرضي الله ذلك القول أم لا ؟

فإن قالوا: نعم قد رضي الله ذلك القول الذي بيتوا ؛ ردوا على الله عز وجل قوله، وكفروا بالآية إذ يقول: **{إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ}**، وهم يقولون: بلى قد رضي وأراد وأحب ذلك الذي بيتوا من القول وقدره عليهم.

وإن قالوا: لم يرضه ؛ رجعوا إلى قولنا وتابعونا، وتركوا قولهم بالجبر ؛ لأنه لا يرضى أحد إلا بما يريد.

ثم نسألهم عن قول الله عز وجل: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(91)}** [المائدة]، فقد أعلمنا الله عز وجل أن هذا كله من إرادة الشيطان ليس من إرادة الله عز وجل، عز عن ذلك وتعالى، وأنه من فعل الشيطان، وليس من فعل الله عز وجل، فهذا من خبر الله سبحانه، وهذا كتاب الله يشهد لنا عليهم، والله شاهد على كذبهم عليه، **{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ(6)}** [الجاثية]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)}** [النساء].

وقد قال عز وجل: **{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}** [العنكبوت:51]، فما بعد هذا من الحق والبيان والعدل والحكمة والحجة

الواضحة، فلا يبعد الله إلا من ظلم ؛ فإن ردوا على الله عز وجل قوله كفروا، فأما حجتهم فقد بطلت والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم هل يستطيعون أن يكون منهم غير ما يعلم الله أنه كائن ؟

فإن قالوا: نعم قد يستطيعون ذلك ؛ فقل: فإن شاء العباد كان منهم ما لا يعلم الله ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أخبروني عما لا يعلم الله أنه كائن ما هو ؟ فإنهم لن يجدوا شيئاً، وسيخبرونك أن ما لا يعلم الله أنه كائن فليس بشيء، فقل لهم: أخبرونا عن قولكم: إنهم يستطيعون أن يأتوا بما لا يعلم الله، وأنتم تقولون: هو ليس بشيء ؟ وهل كلفهم الله أن يأتوا بلا شيء ؟

فإن قالوا: بلى قد يستطيعون أن يأتوا بلا شيء ؛ فقل: أشيء يعلمه الله أم شيء لا يعلمه أنه كائن ؟

فإن قالوا: شيء لا يعلمه الله ؛ فقل: هل شيء كان أو يكون لا يعلمه الله ؟

فإن قالوا: نعم إن الله قد يجهل شيئاً ولا يعلمه ؛ فقد أمكنوك من أنفسهم.

وإن قادوا لك حينئذ كلامهم أشركوا بمنزلة أهل القبلة.

وإن هابوا ولم يقودوا فلا تعجل عليهم ولا تنحلهم الشرك وردهم إلى أول الكلام فقل لهم: أليسوا لا يستطيعون أن يأتوا بشيء إلا قد علمه الله أنه كائن منهم ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: إنا كذلك نقول إن الله قد علم ما هو كائن من العباد قبل أن يكون منهم، فليسوا يستطيعون تغيير ما علم الله، فهذا قولنا، ولا تتركهم يتحولون ولا يُدخلون وجهاً في وجه آخر وألزم كل مسألة منها إلى منتهى قودها، فإنه أقدر لك على حاجتك منهم.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: هذا الكلام إعادة منك في السؤال عن باب العلم، وقد مضى في الجواب منا إليك في المسألة التي قبل هذه ما فيه كفاية غير أنا لا بد

أن نجيبك ونحن نعلم أن أحداً من أهل القبلة لا يصدقك أن أحداً يقول إن الله عز وجل يجهل بعض الأشياء ولا يعلمه، وأنا زعمت إن قلناه أمكنا من أنفسنا.

وليس ذلك قولنا، ونحن أهل التوحيد الصحيح الذي ورث عن الأنبياء صلوات الله عليهم، وعن أئمة الهدى عَلَيْهم السَّلام، ولولا نحن لظهرت الزنادقة في البلاد ودعوا إلى دينهم صراحاً.

وأما قولك: إن العباد لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم الله ؛ فهذا قولك زعمت واعتقادك، وتقول لصاحبك أن لا يتركنا نتحول عنه ؛ فهذا قليل من جهلك وغلطك، كيف لا يتركنا أن نحتج عن مذهبنا ونقطع من خالف الحق بنور الله عز وجل ولطفه إذ زعمت أن من علم الله جل ثناؤه منه أنه لا يستيطع أن يأتي بغير ما علم الله منه فلِمَ ندبه إلى ترك ما علم منه من عبادته للأصنام وأكله للحرام وظلمه للأيام واكتسابه للآثام إذ كان العلم هو الذي حال بينه وبين اتباع الرسل وإجابة الكتب والدخول تحت لواء الإسلام.

وقلت: هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله عز وجل منه ؟

فالجواب في ذلك بحول الله وقوته: أنا نسألكم عن حجة الله تبارك وتعالى على خلقه أتامّة هيَ بالغة، أم ليست بتامة ولا بالغة ؟

فإن قالوا: بلى هي تامة بالغة ؛ فقل لهم: ما تمامها وبلوغها ؟ أليس وجود السبيل والاستطاعة إلى ما أمر الله عز وجل به ودعا إليه من الدخول في دينه، والإجابة لرسله، والاتباع لكتبه ؟

فإن قالوا: لا، تمامها وبلوغها بلا سبيل ولا استطاعة إلى ما دعا الله عز وجل إليه، ولا إلى ما أمر الله به، ولا إلى ما نهى عنه ؛ كفروا ولم يجدوا حجة، ودخل عليهم في قولهم أنها وعد خلف وغرور وأنه دعاهم في زعمهم إلى شيء في العلانية وحال بينهم وبينه في السر، فوصفوا الله جل ثناؤه بالصفة التي وصف بها المنافقين، وكفى بهذا كفراً.

وقد علم الله عز وجل أن الكفار يقولون إنه ثالث ثلاثة، وإن له صاحبة وشركاء، وإن الملائكة بناته، وذلك قوله يرد عليهم: **{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ(19)}**[الزخرف].

فإذا كان قد علم هذا منهم فَلِمَ افترض عليهم تركه، وقد علم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم منهم، فيلزمه أنه قد افترض عليهم الخروج من علمه، هذا يلزم في الحجة لا بد لهم منه، فإن قالوا بذلك لزمهم أن للناس مخرجاً من علم الله جل وعز وتعالى، وهذا رأس الشرك وغاية العمى والجهل وكفى بهذا كفراً.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم فقل أخبروني عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حين جاء يدعو الناس إلى شيء، يعرفونه جميعاً معرفة واحدة ؟ أم جُعل بعضهم يعرف وبعضهم لا يعرف؟

فإن قالوا: جُعل كلهم يعرفون ما دعاهم إليه معرفة واحدة ؛ فقل لهم عند ذلك: أليس جميع المشركين قد عرفوا أن الله واحد وأن محمداً رسوله، وأن ما جاء به فهو حق ؟ لأن المؤمنين قد عرفوا ذلك وهم مثلهم في المعرفة.

فإن قالوا: نعم ؛ فأثبتْ عليهم هذا القول ثم سلهم عمن وصفه الله لا يسمع ولا يبصر، أرأيتم حيث قال الله: **{الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ(18)}** [الجاثية]، أتصفونهم يعلمون، والله يقول إنهم لا يعلمون؟

وحيث يقول: **{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(18)}** [البقرة]، فكيف تصفونهم أنهم يبصرون ويسمعون ؟ فإنهم لا يعطونك أن خلقه جميعاً يعرفون ما يعرف الرسل والمؤمنون من توحيد الله عز وجل ورسالاته وجنته وناره، والله يصفهم بغير ذلك.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: أما قولك إن الرسل تعلم من توحيد الله والعلم ما لا يعلم غيرهم وكذلك المؤمنون يعلمون من التوحيد والعلم ما لا يعلم المشركون ؛ فإنا نقول: إن الرسل عَلَيْهم السَّلام عندهم من العلم ما ليس عند أحد لحاجة الناس إليهم،

وعليهم أن يعلموا الناس جميع ما افترض الله عز وجل عليهم من معرفة دينه، وليس عند الخلق إلا ما علمتهم الرسل، والمؤمنون قد كانوا قبل مجيء الرسل لا علم لهم ولا معرفة عندهم ولا دين حتى تعلموا وطلبوا العلم فصاروا علماء مؤمنين.

وكذلك يجب على جميع المشركين والظالمين أن يطلبوا العلم ولا يقصروا فيه ويدخلوا في الحق حتى يصيروا علما، وإنما عاب الله عز وجل عليهم أنهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون وأنهم صم بكم عمي إذ تركوا ذلك الذي أمروا به مكابرة ومعاندة وسماهم بكماً وصماً وعمياً إذ تركوا العلم والحق والرشد وهم يقدرون على طلبه وأخذه والدخول فيه والتعلم له من رسل الله صلوات الله عليهم ومن أوصيائهم من بعدهم ومن العلماء في كل عصر.

ولو كانوا عمياً وصماً وبكماً لا يسمعون الأصوات ولا يفقهون كلام الرسل ولا يعرفون تأديتها لدين الله عز وجل وتبليغها ولا ما تدعو إليه من كتب ربها ما كان عليهم لله عز وجل حجة ولا لزمهم عذاب أبد الأبد إذ كانوا صماً وبكماً لا يعقلون ولا يسمعون ما دُعوا إليه من دين الله جل ثناؤه.

والدليل على ذلك في حكم جميع أهل الإسلام أنه لا حجة على الأصم فيما لا يسمع، ولا على الأعمى فيما لا يبصر، ولا على الأبكم فيما لا يعقل، ولا على الأعرج ولا على المقعد، وقد عذرهم الله عز وجل في القرآن فقال: **{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}** [النور:61]، فقال: ليس على الأعرج حرج ولا على المريض حرج.

وأما المعتوه فهو الذي لا يعقل، فليس يلزمه في الحكم أن يُجلد إن زنا ولا يقتل إن قَتل، ولا تُقطع يده إن سرق، ولا يؤاخذ على شيء من جميع فعله، وكذلك لا جهاد على الأعرج ولا على الأعمى ولا على المريض، هذا المعروف في حكم الإسلام الذي لا حيلة لك فيه.

وقد بان جهلك وصح خطؤك وكذبك على الله عز وجل أنه لو كان القوم الكفار الذين ذكرتهم وقمت بعذرهم وألزمت الله عز وجل الجور في عذابهم إذ كانوا صماً وبكماً لا يعلمون ولا يعقلون على الحقيقة لا على المجاز ثم عذبهم الله جل ثناؤه ثم خلدهم في نار

جهنم الأبد الأبيد، إن هذا لهو أعظم الجور الذي وصفت به ربك عز وجل عن ذلك العدل الذي لا يجور، فهذا ما جهلته وأخطأت فيه وقلت إن أهل العدل لا يقدرون لك على جواب.

على أنا نقول: أين كنت عن قوله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه عن المشركين حيث قال له: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ(87)}** [الزخرف]، وقالوا في الأصنام: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**[الزمر:3]، وقوله عز وجل: **{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}** [البقرة:144]، وقوله: **{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}** [المجادلة:8]، وقوله:**{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل:14]، وقوله: **{وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(38)}** [العنكبوت]، وقوله عز وجل يخبر عنهم: **{وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}** [النساء:155]، أي سماهم وحكم عليها بالطبع لا أنه جبرها على ذلك فتلزمه دعواك مثل قوله: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** [الصف:5]، أي سماها زائغة بفعلهم، ومثل هذا كثير في القرآن.

وأما قولك: هل عرف بعضهم ولم يعرف بعض، قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وهل اختص الله أحداً دون أحد بدينه، فهذا قول فاسد، والقول الصحيح أن الله عز وجل بعث رسوله صلوات الله عليه وسلم إلى الخلق كافة ولم يختص أحداً دون أحد، ولم يؤثر أحداً على أحد إلا الرسل صلى الله عليهم فقد اصطفاهم لما علم منهم أنهم لا يختارون معصيته أبداً، وقد فضل بعضهم على بعض بما اكتسبوا لا أنه جار عليهم ولا حابى ولا مالأ، واختياره لهم فإنما كان بعلمه عز وجل بصحة ضمائرهم وأنهم موضع ما استؤمنوا عليه، وقال في كتابه: **{وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ(32)}** [الدخان]، والحجة على الخلق لله عز وجل في طلب دينه والدخول فيما دعاهم إليه، لا عذر لهم ولا حجة على الله عز وجل لمدعٍ منهم، ومن هيج مشيئته في الطاعة هاجت، ومن هيج

مشيئته في الكفر هاجت، وليس على أحد كره في الدين، ولا قسر ولا جبر ولا مانع يمنعه عنه، ولا حائل يحول بينه وبينه، ومن قال بذلك فقد كفر وأبطل القرآن وخرج من الإسلام لقول الله عز وجل يحكي عن نبيه عَلَيْه السَّلام: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(108)}** [يوسف]،

وقوله: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، وقوله: **{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** [النساء:80]، وقوله:

{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205)} [البقرة]، وقوله: **{يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57)}** [الأنعام]، وقال: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى(3)}** [الأعلى]، ولم يقل: والذي قدر فأضل.

وقوله: **{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(13)}** [الليل]، وقوله: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}** [فصلت:17]، وقوله: **{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(42)}** [الأنفال]،

وقوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ(59)}** [القصص]، وقوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}**[الإسراء]، وقوله: **{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ(21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ(22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ(23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(24)}** [الانشقاق]، وقوله: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)}** [المدثر]، وقوله: **{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]،

وقوله: **{وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(73)}** [المائدة].

أفلا تسمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحجج القواطع من الله عز وجل المبطلة لجبرك والقاهرة لحججك؟ أهذا أيها الجاهل قول من جبر خلقه على الكفر، وصدهم عن الهدى، وأراد لهم الضلالة والردى ؟! سبحان الله وتعالى عما يصفون.

وأما قولك: إن الله عز وجل لم يُعط الخلق ما يأخذون به ما أمرهم به من دينه ففرية منك على الله جل ثناؤه وتكذيب لكتابه وطعن على عدله، وإثبات لعذر من عصاه من المشركين وافترى عليه من الظالمين .

وأما سؤالك عن قول الله سبحانه: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(7)}** [الحجرات].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: فإن الله عز وجل لم يجبرهم بذلك التحبيب ولا بذلك التكريه جبراً ولا قسراً ولا جعله في قلوبهم كما يُجعل الشيء في الشيء مثل السيف في الغمد والماء في الراوية، وإنما جعل ذلك التحبيب والتكريه عز وجل بالدعاء لهم والتشويق إلى الجنة وما أعد الله جل ثناؤه فيها من النعيم المقيم والفوز العظيم، وما وصف من القصور، وما فيها من نواعم الحور والأنهار الجارية، والثمار الدائمة، والأفنان الدانية وأنهار العسل واللبن والماء والخمر الذي لا يشبه شيئاً من نعيم الدنيا، فهذا التحبيب بالصفة، لا أنه سبحانه أكرههم عليه جبراً، ولا كونه فيهم قسراً.

وكذلك التكريه للكفر إنما هو بما خوف وحذر وأعذر وأنذر ووصف من السلاسل والأغلال والحميم والجحيم والسحب على الوجوه والمهل والزقوم والغسلين، وقوله تعالى: **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}** [النساء:56]، فهذا معنى التحبيب والتكريه الذي جهلته لا غير ذلك.

ولو كان على ما ذهبت إليه ومن قال بقولك من أهل الجبر لم يقل عز وجل: جزاءً بما كنتم تعملون، ولوجب أن يقول: جزاءً بما عملت أنا فيكم وصورته في قلوبكم قسراً وجبراً،

والله عز وجل متعال متقدس عن قول المحال وخلق الأفعال وإرادة الضلال ومشابهة الجهال، والدخول فيما علموا من الأعمال.

وأما ما سألت عنه من اختلاف التوحيد ؛ فالتوحيد لا يختلف ولا يتناقض ولا يبطل شيء منه لأنه دين الله عز وجل الذي لا تُدخَل الجنةُ إلا بمعرفته وسائر الفرائض فهي تبع له وللعدل ؛ فما نعلم التوحيد يختلف في قول أحد إلا معكم.

فإن توحيدكم الذي سميتموه توحيداً هو الذي يختلف ويتناقض لما شبهتم الله عز وجل بخلقه الجائرين، وعبيده المفسدين، وليس يجوز لأحد من الخلق جهل بعض صفة الله عز وجل بل معرفة العدل والتوحيد فريضة لازمة لجميع أهل الأرض من البالغين الكاملة عقولهم لا عذر لأحد في ذلك ؛ لأن العدل والتوحيد أصل الإسلام وقوام الدين، ولا يستقيم اعتقاد واحد منهما إلا باعتقاد الآخر، ولم يضع الله عز وجل علم التوحيد ولا العدل عن مكلف من جميع الخلق.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عمن أقر بأن الله عز وجل قادر ولم يقر بأنه فاهم.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا عندنا سؤال من لا يعرف الله عز وجل ولا توحيده، وهذه المسألة فاسدة لقولك: فاهم ؛ فقولك: فاهم، كفر بالله العظيم لأن فاهماً من صفات الخلق إذ منهم من يفهم ومنهم من لا يفهم، والفهم من صفة المخلوقين وذلك عن الله منفي.

وقولك: فاهم ؛ فهي خارجة من اللغة العربية فلزمك الخطأ في وجهين في التوحيد واللغة جميعاً، وإنما تقول العرب: رجل فَهِمٌ، ولا تقول فاهم، وهذه اللفظة من جهلك بالتوحيد، لا يجوز أن يوصف الله عز وجل بفهم، وقول القائل: الله عالم يجزي عن ذلك كله.

ومن قال زعمتَ إنه قادر ولم يقر بأنه قاهر وأقر بأنه إله ولم يقر بأنه خالق وهذا القول الذي قلته فكله فاسد لا يجوز في التوحيد ولا يقوله من له أدنى رأي سديد ومعرفة يسيرة.

فأما قولك أيها المجبر في المحتلم وليس بمجنون ولا مغلوب على عقله لأنه لا يعرف حين احتلم أنه قد كمل عقله ؛ فهذا كلام مخلط لم نُصِحّه، والمحتلم ليس عليه لوم في نومه، والفرائض له لازمة وإن نام، والتوحيد عليه فريضة وإن نام ؛ لأن النوم لا يذهب عنه فرض التوحيد، وعليه أن يقوم بفرائضه ويؤديها ويعتقدها.

وقولنا: إن الفرائض والتوحيد لازمة للنائم في نومه أردنا بذلك أن فرض الله لازم للنائم واليقظان، نريد أن على النائم أن يكون ضميره واعتقاده التوحيد ووجوب الفرائض فإذا استيقظ لزمه العمل والأداء لما افترض عليه.

وأما الفعل ففيه يكون الثواب والعقاب ؛ لأن الأمر والنهي إنما هو لازم لأهل العقول، وأنت تعلم أن الزنج والهند والحبش وجميع الأعاجم إذا طلبوا العلم والتعليم نالوه وأدركوه، وإن قصروا بعد دعاء الرسل لزمتهم الحجة لقول الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، ولا عذر لأحد من الأولين والآخرين في أداء ما افترض الله عليه من توحيده وعدله ودينه وإن عذرته أنت بجهلك وفريتك على الله جل ثناؤه وجعلك له الحجة على الله سبحانه، ورددت القرآن والله سبحانه يقول: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165]، وقوله: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات]، وكل هذا يكذب قولك الذي قلت إن الله عز وجل أراد أن لا يعبدوه وأراد أن لا يؤمنوا، وأن يكفروا ويفجروا.

فإن قال لنا قائل: أليس قد تجدون في الرواية عن النبي صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم أنه قال: ((رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الطفل حتى يبلغ))؟

فإذا قلنا: قد صح ذلك، قال: كيف زعمتم أن الفرائض لازمة للنائم والمستيقظ، فهذا ينقض ما قلتم ؟

قلنا له: إنما يزول عن النائم فعل الفرائض ما دام في نومه، ولا يزول عنه اعتقادها، ولازمها الواجب المحتوم الذي لا يسقط.

والدليل على ذلك: أنه لا يجوز أن تقول لرجل نائم: هذا الرجل النائم قد زال عنه الإيمان بزوال عقله وما هو فيه من نومه، ولكن يجوز أن تقول: قد زال عن هذا النائم عمل الفرائض ما دام نائماً ؛ فهذا وجه الصواب والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليك أن أفعال العباد غير مخلوقة: قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وقد سُئل ما الإيمان ؟ فقال: (الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان في العقول)، ولم يحد الإيمان بحد يُلمس، ولا بحس يحس.

ثم سئل ما الإيمان مرة أخرى ؛ فجاء عَلَيْه السَّلام بالمعنى الأول بعينه بلفظ غير اللفظ الأول، فقال: (الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، ومعرفة بالجَنَان)، ولم يصف الإيمان أنه مخلوق ولا أنه موجود بين ستة حدود وهي الخلف والقدام، والميمنة والميسرة، والفوق والتحت، التي لا بد منها لشيء من جميع ما خلق الله عز وجل.

وأنتم فلا توجدوننا أفعال العباد بين هذه الحدود أبداً، وذلك الدليل على أنها غير مخلوقة وأنها حركات بني آدم وفعلهم شاهد ذلك الأكبر الذي لا يرد قول الله عز وجل للظالمين: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، فصح أن ما خلقوا ليس بخلق الله عز وجل، وفي أقل من هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي في كتابه وهو يخاطب صاحبه وهو يغريه بأهل العدل: واعلم أنك لن تسألهم عن شيء هو أشد عليهم من هذا وأشباهه لأنهم يقولون لا يكلف الله العباد إلا ما يستطيعون ؛ فإن جعلوا لإنسانٍ شيئاً ولم يعطوا الآخر انكسر قولهم.

لأنهم إن كلفوا الآخر حينئذ ما على الآخر ولم يعط ما أعطي الآخر، فقد كلفوه حينئذ ما لا يطيق لأن الشيء الذي كُلّف لا ينال إلا بذلك الفضل الذي أعطيه الآخر، فهو الآن مكلف ما لا يطيق.

فإن قالوا: إنه بالعقل وبغير العقل فسلهم ما ذلك الشيء الذي هو غير العقل ؟ فإنهم لن يصفوه لك أبداً إلا منة من الله ؛ فقل لهم عند ذلك: إنا كذلك نقول: إنهم مكلفون حين يبلغون الحلم وتقوم عليهم الفرائض وتدرك العقول، وذلك حين يبلغون الحلم ولا يطيقون ذلك الذي كلفوا إلا بمن الله وعونه وتعريفه.

وإن شَغَب أحد منهم فقال: إنا لا نصفه بمنٍّ من الله وهو شيء سوى العقل ؛ فقل لهم عند ذلك: أفما أعطي الذين تزعمون مثل ذلك الشيء الذي هو [سوى] العقل ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل لهم: فما لهم لم يعرفوا كما عرف هؤلاء، وإنما هو شيء من كان فيه مع عقله عرف ؟ فإنهم سيفرون من هذا الكلام أيضاً فلا توجد لهم حجة.

وإن قالوا: هو شيء سوى منة الله ؛ فسلهم ما هو ؟ فإنهم لن يصفوه لك وإن تكلفوا لك شيئاً يَلِذُون به، فإنه ليس له أصل.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: أما قولك يا عبدالله بن يزيد البغداذي لصاحبك: واعلم أنك لن تسألهم عن شيء هو أشد عليهم من هذا وأشباهه.

وقولك في غير موضع من كتابك: إن أهل العدل يفرون من كلامك، وإنهم يعجزون عن جوابك، تُفَرِّح بذلك نفسك وأصحابك ؛ فكان مثلك في القول مثل إنسان قال لجماعة وقد خرجوا في سفر: إذا صرتم في الدهناء في موضع كذا وكذا من الرمل حيث لا يعرف الماء فإنه سوف يلقاكم نهر عظيم كثير الماء وحوله فواكه كثيرة وعنده أسود خوادر فكلوا من تلك الثمار واشربوا من ذلك الماء بلا حساب ولا عاقبة سوء، وأما الأسود فإنها سوف تفر من لقائكم إذا رأتكم فلا تهتموا بها ؛ فذهبوا اتكالاً على قوله، وثقة بنصيحته، وتقليداً له، فلما بلغوا الغائط الأمق من الدهناء جهدهم العطش والضر ولم يجدوا نهراً ولا ثماراً، ووجدوا الأسود فساعة عاينتهم وثبت عليهم ففرستهم جميعاً فلم يفلت منهم أحد، وكذلك هلك من قلد الرجال دينه بلا بيان، ولا حجة قاطعة، ولا بينة قاهرة.

فهذا مثلك ومثل أصحابك، وما أعطيتهم من القول المحال الذي ينتقض عليهم عند الرد وملاقاة الرجال.

وأما قولك لأصحابك: إن من قولنا نحن أهل التوحيد والعدل: أن الله عز وجل لا يكلف العباد إلا ما يستطيعون ؛ فذلك قولنا.

وأنك زعمت تسألنا بما كلفهم الله عز وجل هذا الدين وما يستطيعون به ؟

فإنا نقول لك: إن الله تبارك وتعالى كلف العباد الفرائض وجعل فيهم استطاعة بينة مركبة وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأمرهم ونهاهم بعد كمال العقول، وقسمه لها بينهم بالسوية، ولذلك صارت الفرائض عليهم واجبة بالسوية ؛ إلا أن تقول يا عبدالله بن يزيد البغداذي ومن قال بقولك: إن لبعض الناس عينين ونصفاً ولبعضهم عيني إلا ربع فكلف هذا من الفرض ما لم يكلف الآخر.

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان له مائة عبد فدفع إلى كل عبد منهم ديناراً وأمره أن يأخذ له بذلك الدينار مسكاً، والمسك حينئذ مثقال بدينار، فذهب كل واحد منهم فجاءه بمثقال مسك بدينار لأنه لم يفاوت بينهم في العطاء، ولم يرخص لأحد منهم فيما دون المثقال للأداء.

فهل يجوز في الحكمة عندك أو يثبت في العدل أو يقع عليه الأوهام أنه لو عاقب كلهم أو بعضهم أنه يصح له اسم حكمة ؟ أو يثبت له اسم العدل؟ فهذا وجه.

ثم نقول لك: لو أنه دفع أيضاً إلى كل واحد منهم ديناراً مرة أخرى وأرسلهم يأتونه بذلك المسك على الشرط من الوزن وهو مثقال بدينار فجاءه واحد منهم بنصف مثقال وجاءه الآخر بمثقال إلا ربع وجاءه الآخر بمثقال إلا سدس وجاءه الآخر بثلثي مثقال وجاءه الآخر بمثقال على الوفاء بعدما ساوى بينهم في العطاء وكلفهم أن يأتوا بوزن واحد على ما رسم وبه أمر، ثم رضي عنهم جميعاً أو جعل ثواب المحسن مثل ثواب المسيء ؛ هل يجوز عندك أن ينسب هذا إلى الحكمة والعدل والصدق وإنفاذ القول الذي شرط على نفسه ؟ ولا سيما إن كان القائل قال: **{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(29)}** [ق]،

وقوله: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)}** [النساء]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}** [النساء]، وقوله: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7]، و**{إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(9)}** [آل عمران].

فإن قال قائل: فقد رأينا العقول يزيد بعضها على بعض.

قلنا له: إن تلك الزيادة التي سميتَ إنما هي اكتساب اكتسبها المكتسب بأصل العقل المركب فيه، وذلك لما هذب من رأيه واكتسب من الأدب واستعمل من النظر والعلم والحكمة، وأما الآخر فضيع عقله وشغله بكل فساد يصدئ العقل ويذهل عن الصلاح، وليس يجوز في عدل الله تبارك وتعالى أن يفاوت بينهم في العقول ثم يحملهم من الفرض شيئاً واحداً لا تفاوت فيه، فلا يجوز في العدل غير هذا لقوله سبحانه: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7]، وقوله: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10)}** [البلد]، فهذا جواب ما سألت عنه.

وأ/ا قولك: إنك تسألنا زعمت أنه بالعقل وبغير العقل وتقول لصاحبك فسلهم ما ذلك الشيء الذي هو غير العقل ؟

ونحن لم نقل إن الله عز وجل زاد العباد شيئاً يأخذون به دينه إلا الجوارح السالمة والعقول الكاملة، وأما غير ذلك فلا نقول به، وكفى بما ذكرنا من الجوارح والعقول السليمة منة من الله جل ثناؤه عظيمة لا أعظم منها من المنن، والتعريف من الله عز وجل فهو إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

وأما تكرير الكلام المعاد الذي لا وجه له فلا معنى لتكرير الكلام لما يعرف م ننفس المسألة، والتطويل فيها عيٌّ وقلة معرفة بفصل الخطاب.

وأما قولك: إن ثم شيئاً سوى العقل ؛ فلا شيء مع العقل يعطاه العباد إلا سلامة الجوارح، ولا سبيل لهم إلى وجود معنى غير الجوارح والعقول والهداية من الله عز وجل بدعاء الرسل والكتب.

فأما جبر يجبرهم على الدخول في الإيمان والخروج من المعاصي بغير ما ذكرنا ؛ فذلك دعوى باطل.

وإن ادعيت أمراً ؛ فأصح لنا معنى غير صحة الجوارح والعقول وإرسال الرسل وإنزال الكتب، فإنك لا تقدر على غير ذلك أبداً إلا دعواك على الله عز وجل وفريتك عليه أنه قسر بعضهم على الإيمان كما أحب، وقسر بعضهم على الكفر كما أحب، وهذا خلاف القرآن ورده صراحاً وهو مكابرة العقول والإعراض عن النصفة والتعامي والتجاهل عن الحق وحب الرئاسة.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وأما قولك إنك تسألنا زعمت فتقول لنا: أليس قد أعطوا كلهم أن يعلموا ما يعلم الأنبياء والمؤمنون من توحيد الله سبحانه ؟

فإن قلنا: نعم ؛ رددت علينا زعمت ما ذكر الله سبحانه في كتابه من الذين لا يعلمون، ومن ذكر أنهم لا يبصرون، ومن ذكر أن ذلك مبلغهم من العلم ؛ فإنا زعمت سنرجع عما أعطيناك ونترك هذا الكلام، وقد أعلمناك أنك تفرّح نفسك، وضربنا لك مثل النهر والأُسُود.

ونحن نقول: إن معرفة الأنبياء عَلَيْهم السَّلام بتوحيد الله عز وجل وبمعالم دينه أكثر من معرفة الخلق، وشاهد ذلك قوله: **{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(76)}** [يوسف]، وقوله: **{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}** [الإسراء:55]، وقوله: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}** [الأنبياء:73]، وما خص الله جل ثناؤه به الرسل وفضلهم به على غيرهم، فذلك أمر غير منكر لما قلدهم من القيام بمعالم دينه، وجعل حاجة الخلق إليهم، ولو كان الأمر في العلم والمعرفة سواء في الأنبياء والأمم لم يكن بين العالم والمتعلم فرق، ولم يكن الأنبياء عَلَيْهم السَّلام أولى بالمعرفة من العوام، وهذا ما لا يقاس، ولا يذكره أحد من أهل المعرفة.

وكذلك المؤمنون بعضهم أعلم من بعض، فلذلك صارت الأئمة عَلَيْهم السَّلام أولى بمقام الأنبياء صلوات الله عليهم من الأمة لما عندهم من العلم والحكمة والمعرفة بالكتاب والسنة،

وبذلك الفضل الواضح احتج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه على إخوانك الخوارج بحروراء، فرجع منهم ثمانية آلاف لما احتج عليهم بالحجج القواطع التي لم تكن عندهم منها معرفة فتابوا ورجعوا معه إلى الكوفة، ولولا أن تلك الحجج موجودة معروفة في كتاب صفين وغيره لذكرناها.

وبذلك الفضل والتفضيل في العلم الذي خُصّت به أئمة الهدى وجبت حجة الله عز وجل على خلقه في أرضه لقوله تعالى: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(7)}** [الأنبياء]، وقوله: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** [النساء:83].

وعندما احتج أمير المؤمنين عَلَيْه السَّلام على الخوارج بحروراء فرجع منهم ثمانية آلاف وتخلف منهم أربعة آلاف إصراراً على الجهل، واتباعاً للهوى، ومساعدة للرؤساء بعد البيان والإعذار، فتخلفوا عن إمام الهدى وسيد أهل زمانه، أخي الرسول وابن عمه، وأوجب عليهم الحكم بكتاب الله سبحانه.

ويلزمكم أن نسألكم أيضاً في هذا الموضع فنقول لكم: خبرونا عن أهل حروراء هل أراد الله عز وجل منهم أن يرجع منهم مع علي بن أبي طالب عَلَيْه السَّلام إلى الكوفة ثمانية آلاف تائبين عارفين بالخطأ والزلة وأراد من الأربعة آلاف التي تخلفت وأصرت على العمى بعد الحجة أن يتخلفوا وأن يحاربوا علياً خليفة الله في أرضه في عصره ؟

فإن قلتم: إن الله عز وجل أراد م الفريقين جميعاً هذا الفعل الذي فعلا ؛ فإذا قلتم: نعم قد أراد الله ذلك ؛ قلنا لكم: فأيهما الصواب وأيهما الخطأ ؟

فإن قلتم: الصواب مع من تخلف عن الدخول مع أمير المؤمنين عَلَيْه السَّلام والخطأ مع من رجع إليه ودخل معه الكوفة.

قلنا لكم: فلِمَ سميتم بعض فعلهم خطأ وبعضه صواباً، والله عز وجل هو الذي قضى ذلك زعمتم كله على الفريقين، وخلقه من فعلهم وأراده منهم وقدره عليهم ؟ فيلزمكم حينئذ في قولكم أن بعض فعل الله عز وجل وخلقه وإرادته وتقديره خطأ، وأن بعضه صواب، لا بد

لكم من إثبات ذلك إذ أصل هذه المسألة إنما وضعتموه إثباتاً للجبر ونفياً للعدل، وأن أفعال العباد كلها مقدرة مخلوقة، وأن الله عز وجل عما قلتم هو الذي خلق أفعالهم وأرادها وقدرها وصير بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً كما زعمت في كتابك الذي هذا جوابه، فما مخرجك من هذا الجواب الذي أجبناك به في هذا الموضع من رجوع بعض أصحابك إلى علي بن أبي طالب عَلَيْه السَّلام وتخلف بعضهم عنه؟

فيلزمكم على قود قولكم أنه لا لوم على أحد من الفريقين لأن كليهما على قولكم كذا أراد الله منهما وخلق وقدر وقضى وشاء، والله عز وجل لا يظلم ولا يؤاخذ الناس بفعله، فلا بد لكم أن تقولوا إن كلهم مخطئون أو كلهم مصيبون، أو بعضهم مخطئ وبعضهم مصيب.

فإن قلتم: إن كلهم مخطئ ؛ كفرتم، وكفّرتم من حاربكم، وإن قلتم: إن كلهم مصيب ؛ لزمكم أنكم مصيبون في حرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْه السَّلام وأنه مصيب في حربكم، وهذا قول المجانين، ومن ليس مثله يخاطب لجهله وقلة علمه.

وإن قلتم: إن بعضهم مصيب وبعضهم مخطئ، وأن ذلك الفعل كله من الفريقين إنما الله الذي خلقه وقدره وأراده في قولكم ؛ لزمكم أن بعض خلق الله سبحانه وتقديره ومشيئته وإرادته خطأ، وبعضه صواب ؛ وهذه المسألة وحدها تقطع جميع ما قلتم في الجبر في كتابكم كله، وتوجب القول بالعدل والرجوع إلى الحق، وهي تجزينا وحدها لقطعها لكل مجبر على وجه الأرض لأنه ما لزم في حجة واحدة من حجج الله جل ثناؤه لزم في التي تقاس عليها مثله، وفي هذا كفاية لمن عقل.

ونحن نثق أن كل من سمع هذا الجواب يشهد عليكم بالغلبة والانقطاع، وأنه لا مخرج من هذه المسائل لأحد من جميع أهل الجبر والفرية على الله جل ثناؤه، فأينا الآن الذي دينه دين شيطان كما ذكرت ؟! ومن المشرك الذي وصفت في كتابك أنه حلال ماله ودمه وسببه وقتله في السر والعلانية، وحرام ذبائحه ومناكحته ؟ لأنهم زعمت ليسوا بأهل كتاب ولا مقرين بجزية وإنما هم حرب.

فإن قلنا لك زعمت: نعم ؛ أخذتنا بمسائل الصفرية ومن سمي من مُحْدِثِي أهل القبلة بالشرك.

ونحن نقول لك: أوَليس قد احتججت في كتابك الذي كتب بعض أصحابك إلى إخوانهم ينهونهم عن الدخول مع الشيعة ويقولن إن دينهم كان دين الصفرية قديماً، دين زعموا اختاره الله سبحانه لهم واختصهم به دون غيرهم، ثم جاءهم بعد ذلك الدين الصحيح الذي اختاره الله سبحانه لهم واختصهم به أيضاً كما زعموا في زمان عبدالرحيم بن خليل، وعبدالكريم بن نعيم، فتركوا الصفرية وأخذوا الدين الآخر الذي خصهم الله به دون غيرهم زعموا في كتابهم الذي كتبه المشائخ إلى عشائرهم، ورد عليهم بعض أصحابنا ما فيه الكفاية، وما علمنا أحداً من جميع الناس يأتي من التخليط الفاحش بمثل هذا الذي قلتم فالله المستعان.

فإن قال قائل: فهل أعطى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الناس العلم بالسواء حتى كانوا جميعاً في سواء.

فإنا نقول: إنه صلوات الله عليه وعلى آله وسلم قد نصح وبلغ جميع ما أمره الله جل وعز بتبليغه وأوفاهم على الفرائض على السواء لم يكتمهم نصيحة، ولم يستر عنهم شيئاً من جميع ما تُعبدوا به غير أن بني آدم مختلفة هممهم وأهواؤهم، وأن بعضهم يستعمل عقله ويصرف همته في طلب العلم، وبعضهم يستعمل عقله ويصرف همته في أشياء غير ذلك من الزراعات والصناعات والإرادات المختلفة، والفرض عليهم سواء، ولا حجة على الرسول صلى الله عليه تلزمه في تقصير ولا خيانة في تأدية.

ولذلك صار بعض الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعهم من جميع الناس أعلم من بعض، وقد قال الله عز وجل: **{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(76)}** [يوسف].

وقد علمت ما كان بين موسى وبين العالم صلى الله عليهما الذي لقيه فوجده موسى عَلَيْه السَّلام أعلم منه، وموسى نبي عالم غاية في العلم ؛ فهذا جواب ما سألتنا عنه.

فإن قال قائل: فهل فضّل رسول الله صلى الله عليه أحداً من أصحابه بالعلم دون غيره ؟

قلنا له: قد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يُعلم جميع من طلب العلم ولا يبخل عليه بما فيه نجاته ولا يخص أحداً بعلم دون أحد.

فإن قال لنا: فلِمَ زعمتم أن علي بن أبي طالب أعلم الناس بحلال الله وحرامه وكتابه وسنة نبيه بعد النبي صلى الله عليه.

قلنا: لأنه كان أرغبهم في طلب العلم وأحرصهم عليه وأقربهم منزلة من الرسول صلى الله عليه إذ هو معه صلوات الله عليهما جميعاً في داره ومُقاعده في ليله ونهاره مع ما أراد الله سبحانه من استخلافه بعد نبيه ؛ فلا عتب على النبي صلى الله عليه، ولا حجة فيما خصه به دون غيره لعلمه أنه موضع حاجة أهل الإسلام ومفزعهم بعده، وأن جميع ما علَّمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من العلم عائد نفعه ومرفقه على الأمة وهو قوام دينها، فذلك يوجب نصح النبي صلى الله عليه وعلى آله وكمال تبليغه، وينفي عنه الاختصاص بالأثرة بالعلم لبعض دون بعض ؛ إذ في ذلك الصلاح للأمة وحسن العائدة عليها، فذلك من جودة النظر لها.

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لا يفعل من الأمر إلا ما أمره الله عز وجل به لقوله: **{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}** [الأنعام:50]، وقوله: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3)}** [النجم]، وقوله: **{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ(24)}**[التكوير]، فهذا حرف واحد يقرأ على وجهين فمن قرأه بالظاء وجب في ذلك أنه عَلَيْه السَّلام ليس على الغيب بمتهم، والظنين في لغة العرب: هو المتهم، ومن قرأ بالضاد وجب في ذلك أنه ليس على الغيب ببخيل، والضنين في لغة العرب: هو البخيل.

وأما قولك واعتلالك بقول الله عز وجل إنهم لا يعلمون ولا يعقلون وذلك مبلغهم من العلم ؛ فإنما ذلك كله ذم منه عز وجل لهم إذ لم يطلبوا العلم ولم يُصغوا إليه، وكابروا الجائي به من عند الله سبحانه، وتركوه باتباع الهوى، واختيار العمى وتقليد الكبراء، وقد كانوا بصراء إذا أرادوا علماً لما أحبوا وبلغاء فيما اشتهوا.

ألا ترى كيف قال عز وجل: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل:14]، وقال: **{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(38)}** [العنكبوت]، وقال: **{وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46)}** [إبراهيم]، أفهذا مكر من لا بصيرة معه، ولا علم ولا تمييز ولا معرفة ؟

وقولهم: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}** [الزمر:3]، وقوله الله عز وجل: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}** [الزخرف:87]، **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ(9)}** [الزخرف]، وإنما يقع الذم عليهم من الله عز وجل على تركهم للأمر الذي لو أرادوه لقدروا عليه وأمكنهم، ولو كانوا لا يعقلون لم تلزمهم حجة إلا كما لزمت المجانين والأطفال.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عمن كان موضوعاً عنه علم الدين ممن هو طفل ؛ أرأيتم حين يقع عليه التكليف ويؤخذ بعلم ما كان عنه موضوعاً، أخبرونا عنه في تلك الحال التي كُلف فيها أوَقَعَ عليه التكليف والاستطاعة والفعل في حال واحدة، أم يقع بعضه قبل بعض؟

فإن قالوا: إنما يقع جميعاً لا يقع بعضه دون بعض، لم تقع الاستطاعة قبل الفعل ولا الفعل قبل الاستطاعة.

فقل لهم عند ذلك: فكل خلق مِنْ خلق الله كُلّف الإيمان ونُهي عن الكفر فقد وقع له فعل مع استطاعة إما إيمان وإما كفر لم تقع استطاعة قبل فعله، ولم يكن يستطيع لا يفعل ذلك الشيء الذي وقع مع استطاعته ؛ فإن كان إيمانٌ وقع مع استطاعته فلم يكن يستطيع أن يكون ثَمَّ كفرٌ مع استطاعة، ومن وقع فعلُ كفرٍ مع استطاعته فلم يستطع أن يكون منه إيمان لأنهما إنما يقعان معاً لا يقع واحد منهما قبل صاحبه.

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: وكذلك قولنا، أفليس من كلف الإيمان كان له فعل واقع مع التكليف إما إيمان أو كفر فلا يستطيع معه فعل غير الذي وقع مع الاستطاعة ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: أخبروني عمن وقع مع فعله حينئذ كفرٌ، أليس هو كُلّف في تلك الحال الإيمان الذي لا يستطيعه ؟ أليس لا يستطيع أن يعدل عنه فعل الكفر في تلك الحال كما لا يستطيع أن يعدل عنه الاستطاعة ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل لهم: فَهُمْ إذاً في تلك الحال لا يستطيعون الإيمان في حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان وهم لا يستطيعون ترك الكفر ولا أخذ الإيمان ؟

فإن قالوا: نعم ؛ أعطوك أن الكفار لا يستطيعون الإيمان في حال كفرهم وهم مكلفون للإيمان وهم لا يستطيعونه ولا يستطيعون ترك الكفر في تلك الحال.

فإن قالوا: نعم ؛ فقد تركوا قولهم، وهذا قولنا ؛ لأنا نقول: إن الناس يكلفون الإيمان في حال الكفر وهم لا يستطيعون ترك الكفر في حال الكفر، ولا يستطيعون ترك الإيمان في حال الإيمان، ونقول: إن الاستطاعة والتكليف والفعل إنما تقع في حال واحدة ؛ فمن وقع له فعل مع الاستطاعة فهو لا يستطيع ترك ذلك الفعل في تلك الحال التي وقع فيها فعله واستطاعته، فقد أقررتم بما نقول.

وإن قالوا: إنما يقعان معاً، ولكنه قد يستطيع أن يرد ما كان فعل بعد فعله ؛ فهذا أقبح وأجور، فسلهم عند ذلك فقل: هل يستطيع أحد منكم الآن أن يرد شيئاً قد كان فعله حتى يقال إنه لم يفعله؟

فإنهم لن يفندوا هذا ولن يستطيعوا في هذا جواباً ؛ لأن من سرق أو قتل أو أشرك أو عمل عملاً فلا يستطيع أن يرد ذلك حتى يقال إنه لم يعمله قط.

وإن قالوا: إن الاستطاعة تقع قبل الفعل ؛ فقل لهم عند ذلك: أليس الاستطاعة [لها] حال تقع فيه غير حال الفعل وهي قبل الفعل ؟ فقد يكون الرجل مستطيعاً للإيمان والكفر في حالٍ ولم يعمل إيماناً ولا كفراً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فأخبروني أليس قد يستطيع في تلك الحال أن لا يأخذ بإيمان ولا كفر وهو مكلف للإيمان ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فقد يكون الرجل مكلفاً للإيمان ولم يفعل الإيمان ولا الكفر ؛ فأخبروني عنه في تلك الحال التي كلفه الله الإيمان ولم يعمل به ولا بغيره ما هو ؟ إذا لم يقر بأن الله واحد، أمعذور هو بأن لا يقر بأن الله واحد ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس الناس قد يكونون مكلفين للإيمان وهم يستطيعونه، والله يعذرهم بأن لا يأخذوه ؟ فإنهم لا يمكنونك أيضاً من هذا، وسيتركون هذا الكلام لأنهم لا يعذرون الناس بأن لا يوحدوا الله وهم مكلفون للتوحيد يستطيعونه، ومتى ما قالوا هذا، عذروا من كلفه الله معرفته أن لا يعرفه.

وإن قالوا: إنها تقع قبل الفعل بلا حالٍ بينهما ؛ فقل: أليس الاستطاعة لها حال غير حال الفعل كما أن حال القائم غير حال القاعد، وحال النهار غير حال الليل، وحال الكفر غير حال الإيمان؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: أفليس إنما يفعلون الآن بما كلفوا بغير استطاعة لأن الفعل في غير حال الاستطاعة، وإنما يكون فعلهم بلا استطاعة لأن الاستطاعة قد ذهبت في حالها كما ذهب الليل في حال الليل والنهار في حال النهار، والقعود في حال القعود، والقيام في حال القيام، والكفر في حال الكفر، وأشباه هذا، قد ذهبت الاستطاعة وحالها كما ذهب الليل وحاله والنهار وحاله، وأشباه هذا.

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: فإنما يفعلون بغير قوة ولا استطاعة.

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس إنما يعمل الناس الإيمان والكفر بغير استطاعة ولا قوة، فأخبروني ما ذلك العمل الذي عُمل بغير قوة ولا استطاعة ؟ فإنهم لن يصفوا لك عملاً عُمِل بغير قوة ولا استطاعة.

وقل لهم عند ذلك: أخبروني عنكم إذ زعمتم أنه إنما وقع التكليف بالاستطاعة وكُلِّفوا أن يفعلوا بالاستطاعة ففعلوا بغير الاستطاعة لأنه كلفهم الإيمان بالاستطاعة فعملوه بغير الاستطاعة، فهم لم يأتوا به على الوجه الذي كلفهم وهم عصاة في قولكم إذ جاءوا بالإيمان بغير الاستطاعة، ولن يقولوا: يفعلون بغير قوة ولا استطاعة غير أنا إنما اتّبعنا كل

كلام يُخاف أن يُدخلوا فيه شيئاً يلبّسون به على ضعيف المعرفة، فانظر في هذا الوجه من الكلام نظراً لطيفاً ؛ فإن فيه نقض كلام المبطلين القدرية.

ثم سلهم فقل لهم: أخبروني حين قلتم: إن الاستطاعة والتكليف وقعا قبل الفعل بلا حال بينهما، أليس الاستطاعة قبل الفعل أم لا ؟

فإذا قالوا: بلى ؛ فقل: فإذا كانت قبله، أليس الفعل بعد الاستطاعة، فأخبروني عن الذي بعد أليس الذي هو قبل هو قبله ؟

فإن قالوا: نعم القبل قبل البعد ؛ فقل: فأخبروني عن القبل حين ذهب وذهبت حاله بأي شيء كان البَعْد والبعد بأي شيء فُعِل ؟ فإنهم لن يقدروا في هذا الكلام على جواب ؛ لأنهم قد أنزلوا الاستطاعة والتكليف قبل الفعل، فالبعد ليس بالقبل والقبل ليس بالبعد كما أن الليل لا يكون بالنهار، والنهار لا يكون بالليل، إنما النهار بالنهار والليل بالليل كذلك القبل بالقبل والبعد بالبعد.

فالفعل الآن إنما هو بعد الاستطاعة، فليس بالاستطاعة كان ولكنه كان بالفعل إن قُدتم القياس على القبل والبعد، وهذا كلام لا يُحيرون فيه جواباً، ولا حجة لهم فيما يلوون به ألسنتهم.

ومن زعم منهم أو من غيرهم أن الاستطاعة تقع قبل الفعل ثم تبقى حتى يمضي الفعل فقد أعطاك بأنهم يستطيعون الفعل في غير حال الفعل، وأنهم قد يستطيعون في حال الإيمان فعل الكفر وفي حال الكفر فعل الإيمان ؛ فسلهم عند ذلك على حد صدر المسائل: أليس قد يستطيعون الإيمان والكفر جميعاً في حال واحدة حين جاءت استطاعتهم قبل فعلهم ؟ فهم يستطيعون أن يفعلوه والاستطاعة قبلهما، فسلهم عند ذلك: أليس ما علم الله أنه واقع مع التكليف والاستطاعة مع الفعل بعد الاستطاعة لا يستطيعون أن يُوقعوا ثَمَّ فعلاً غيره كما لا يستطيعون أن يوقعوا ثم تكليفاً ولا استطاعة؟

فمن وقع له فعلُ كفرٍ في تلك الحال لم يكن يستطيع أن يوقع ثم فعلاً غيره لأنه لا يستطيع زعمتم الإيمان والكفر جميعاً في حالة واحدة، فإذا كان لا يستطيع أن يوقعهما جميعاً مع الاستطاعة فإنما يستطيع أن يوقع أحدهما ولا يستطيع أن يوقع الآخر.

فإن كان الله يعلم أنه إنما يوقع الكفر مع الاستطاعة فهو مكلف في تلك الحال حينئذ إيماناً لا يستطيعه.

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أقروا بأن الله يكلف الناس الإيمان في حالٍ لا يستطيعونه وهم مكلفون.

ثم سلهم: هل يستطيع العباد أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر، وبالكفر في حال الإيمان ؟

فإن قالوا: لا ؛ فقل: أليس من كان كافراً فهو مكلف الإيمان في حال الكفر وهو لا يستطيع الإيمان في حال الكفر ؟

فإن قالوا: نعم، فقد يكون الناس مكلفين الإيمان وهم لا يستطيعونه ؛ فإن قالوا: نعم، فقد تركوا قولهم ودخلوا في قولك.

وإن قالوا: إنهم يستطيعون أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر ؛ فقل: أفليس إذاً قد يستطيعون أن يأخذوا الإيمان والكفر في حالة واحدة حتى يكونوا مؤمنين مشركين في حالة واحدة أولياء لله أعداء لله ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فذلك لا يقبله عقلُ أحدٍ من الناس، وحسبك به إذا أعطاك هذا، إذا أعطاك أن العباد يستطيعون أن يكونوا مشركين بالله أعداء لله مؤمنين بالله أولياء لله في حال واحدة، وهو كلام لا يحتمله أحد ولن يمكنوك منه.

وإن قالوا: لا يستطيعون ؛ فقل: أليس من كان كافراً فلا يستطيع الإيمان في تلك الحال وهو مكلف له، ومن كان مؤمناً فلا يستطيع الكفر في حال الإيمان وهو منهي عن الكفر ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد دخلوا في قولك، وتركوا كلامهم، ولن يجدوا بداً من أن يجيبوك بأحد هذين الوجهين: إما أن يكونوا يستطيعونه في حال واحدة، فيكونون إن شاءوا مشركين بالله لا يعرفونه مؤمنين بالله يعرفونه في حال واحدة يعرفون الله وينكرونه، وإما أن يكونوا لا يستطيعون الإيمان في حال الكفر ولا الكفر في حال الإيمان، فإن قالوا بهذا دخلوا في كلامك وتركوا كلامهم .

وإن قالوا بالوجه الآخر إنهم قد يستطيعون أن يكونوا مشركين بالله عز وجل ينكرونه مؤمنين بالله سبحانه يعرفونه، ولن يعطوك هذا أيضاً ؛ لأن هذا محال من الكلام، ولا يسمعه أحد إلا كذب به وأنكره، وبحسبك أن يقول رجل بهذا.

وإن قالوا: إنما الكلام إنما ينبغي أن يكون هذا: لا يستطاع الإيمان إلا في حال الكفر، ولا الكفر إلا في حال الإيمان، لأنه من كان مؤمناً لم يُحسن أن يقال: هو يستطيع الإيمان لأنه قد فعله، وما فعله فقد فعله، ولا يحسن أن يقال إنه يستطيع ما قد فعل، وإنما يجوز أن يقال إنه قد يستطيع أن يفعل الشيء في حال الشيء الآخر ؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا هكذا.

فقل: نعم، قد فهمت الذي تقولون، أليس قد يستطيعونه في حال كفرهم فيستطيعون الإيمان في حال كفرهم، والكفر في حال إيمانهم فقل: أفليس قد يستطيعونهما في حال واحدة، الحال التي هو فيها كافر يستطيع مع ذلك الكفر في حالة إيماناً ومع القعود في حالة قياماً ومع الليل في حالة نهاراً وأشباه هذا.

فإنهم سيتركون ما لجئوا إليه وظنوا أن لهم فيه راحة، ويصير أمرهم إلى أن يجيبوك بشيء وتنقض حجتهم.

وإن لجئوا إلى أن يقولوا إن الاستطاعة والتكليف والفعل إنما تقع في حال واحدة فقل: أفليس الذي علمَ الله أنه واقع مع تلك الاستطاعة والتكليف والفعل لا يستطيعون في تلك الحال أن يكون ثَمّ فعل غيره ؛ لأنه لا يستطيع أن يكون ثم استطاعةٌ غير تلك، ومع تلك الاستطاعة أيضاً فعلٌ ليست استطاعة قبله ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أمكنوك من حاجتك، ودخلوا فيما عابوا عليك من العدل ؛ ثم سلهم: هل شيء إلا في حال كان أو لم يكن ؟

فإن قالوا: لا يكون شيء إلا في حالٍ كان إلا ما كان في حال لم يكن ؛ فإذا أثبت عليهم هذا فسلهم عن الحال التي نهاهم الله فيها هل كان في حال النهي شيء ؟

فإن قالوا: لا، فقل: فأخبروني في الحال التي كان فيها الفعل ثم نهى عن ذلك الفعل ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس كل شيء نهى الله عنه فهو في حال فعله وكونه منهياً عنه بعد كونه، فكل ما نهى عنه في حال فعله فقد يستطيع ترك ما فعل وكان حتى لا يكون ما كان ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فأروني شيئاً واحداً تستطيعون رده بعدما كان حتى لا يكون كان قط ؛ فإنهم لن يقدروا في هذا على جواب ؛ لأن الناس لا يستطيعون رد ما كان حتى لا يكون ما كان ؛ فأحسن النظر.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: نحن نقول: إن الله تبارك وتعالى لا يكلف عِلْمَ الدين ولا الدين إلا كل بالغ وبالغة من المتعبدين الكاملين الكاملة عقولهم وجوارحهم الساقط عنهم العذر وعلله، فإنا نقول: إنه لم يقع عليهم التكليف والاستطاعة والفعل في حال واحدة، وإن هذا الكلام الذي قلت يا عبدالله بن يزيد البغداذي كلام فاسد غير صحيح لا يجوز أن يكون من حُكم الله عز وجل ولا من دينه ولا أمره الذي افترض على عباده.

ولكنا نقول: إن الرجل إذا بلغ مبالغ الرجال وجبت عليه الحجة لكمال التركيب والعقل، وفي بنيته التي بني عليها تركيب الاستطاعة حين سقط من بطن أمه ؛ لأنه يتحرك ويقبض ويبسط ويرضع ويصيح ويبول ويتغوط ويبكي، كل ذلك يفعله بالاستطاعة التي فيه، وحركاته هي فرع لاستطاعته، والاستطاعة موجودة فيه قبل أن يبلغ أو يؤمر أو ينهى.

فلا يزال على تلك الحال في حال الطفولية حتى يرتفع عن تلك المنزلة إلى منزلة المشيء والإفصاح بالكلام والمجيء والذهاب والحركة والأعمال التي يعمل من الأكل والشرب والعدْو والقعود والضرب والعبث واللعب وما عاين الخلق من أفعال الصبيان التي يفعلونها بالاستطاعة المركبة فيهم قبل الأمر والنهي.

ثم جاء حد البلوغ والاستواء ولزمت الفرائض، ولو كان الأمر على ما قلتم أن ليس معهم استطاعة قبل فعلهم، لم يجُزْ في حكمة الله عز وجل أن يندبهم إلى أمر ليس معهم له استطاعة، ولا لهم عليه قوة ولا لهم به طاقة، وهو يقول عز وجل: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7].

وأما قولك يا عبدالله بن يزيد البغداذي: إنا إن قلنا إنما ذلك يقع جميعاً، وإنه لا يقع بعضه دون بعض، لم تقع الاستطاعة قبل الفعل ولا الفعل قبل الاستطاعة، ولعمر الله لو قلنا ذلك للزمنا ما قلت، ولكنا نقول: إن الاستطاعة قبل الفعل لا معه.

وقد كررت القول في الاستطاعة ما قد فهمناه، وقد أجبناك على قولك في الاستطاعة بما أزحنا به حجتك كلها بالصحة الصحيحة أن الاستطاعة مركبة في العباد قبل أفعالهم، ولولا ذلك لكانت لهم الحجة على الله عز وجل أنه كلفهم ما لم يعطهم عليه قوة، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أخذه، وهذا فعال الجائر المتعنت، وذلك عن الله جل وعز منفي لعدله وصدق قوله إنه لا يظلم ولا يجور، ولا يريد الفساد ولا يخلقه ولا يقدره جل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

ومن الحجة لنا عليك: أن نسألك إذا وقف الكفار بين يدي الله عز وجل يوم القيامة فقال لهم: لِمَ قتلتم أنبيائي ورسلي ؟ قالوا: قتلناهم بالحق ؛ فإن قال لهم: وأي حق في قتل الأنبياء ؟ قالوا: لأنك قضيت ذلك علينا، ولولا ما قضيت وقدّرت وشئت وخلقت من فعلنا ما كذبنا رسلك ولا قتلناهم ؟

فإن قال لهم عز وجل: وما حجتكم أني قضيت ذلك عليكم وهل ما فعلتم حق، **{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(111)}** [البقرة] ؟

قالوا: لا حجة لنا ولا برهان أقوى ولا أوضح من قولك في كتابك إنك تقضي الحق وإنك خير الفاصلين، وكل قضائك فحسن جميل وكل ما في الأرض فأنت قضيته وقدرته، وقولنا إنك ثالث ثلاثة وإن لك الشركاء والأنداد فهو قضاؤك، وأنت تقضي بالحق كما قلت ثم قلت في كتابك: **{هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** [المائدة:119]، والواجب لمن صدق عليك أن تخلده في الجنة.

فلا بد لك يا عبدالله بن يزيد البغدادي ولإخوانك المجبرة من أن تقولوا إن الكفار قد صدقوا في قولهم هذا وحجتهم بين يدي الله في قتلهم لأنبياء الله ورسله، وأنه ثالث ثلاثة وأن له الشركاء والأنداد لأنهم احتجوا بقضاء الله ومشيئته وخلقه لأفعالهم زعمتم وقمتم بعذر جميع الكفار في قتلهم الأنبياء وإتيانهم جميع المعاصي ؛ فلا بد لك من تصديقهم لأنه مذهبك.

وإن نكلت عن ذلك ورجعت وقلت: لا أقول إن قتل الأنبياء حق ولا صواب، ولا يجوز ذلك لي ؛ لزمك وأنت مفلوج الحجة أن الله عز وجل يقضي الحق الذي قضى من جميع ما أمر به من عدل أو صواب أو رشد أو حتم ليس فيه معصية له عز وجل من جميع المعاصي كلها، وأن قتل الأنبياء عَلَيْهم السَّلام غير حق بل هو أبطل الباطل وأعظم الكفر والشرك والبهتان، وأن قتل الأنبياء صلوات الله عليهم ليس من قضاء الله سبحانه ولا من مشيئته ولا خلق فعل من قتل رسله فيكون شريكاً في قتلهم ومُعيناً لمن ظلمهم وداخلاً فيما عاب على الكافرين عز عن ذلك كله، وفي ذلك ترك أصلك، ورجوعك عن مقالتك، وفي هذه المسألة قطعٌ لجميع مسائلك كلها.

ثم نقول لك أيضاً: وكذلك الرسل والمؤمنون لم يجبرهم الله عز وجل على الإيمان جبراً، ولم يقسرهم على الدخول فيه إلا بما وهب لهم من العقول والهدى الذي أرسل به الرسل، ودعا إليه الخلائق وزينه في قلوبهم، وحببه إليهم بالترغيب فيه وشريف الوعد والوصف الذي وصف في الآخرة، وكذلك ما كره من الكفر فهو ما خوف به من النار والخلود فيها، ثم قال: **{أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(7)}** [الحجرات]، في آخر الآية، فأثنى عليهم بالرشد وهو

فعلهم لا فعله، ولو كان فعله لم يشكرهم عله إلا كما سمعته شكر الشمس والقمر والسماوات والأرض والليل والنهار وجميع ما تولى فعله قسراً وجبراً وحتماً ؛ فهل سمعته شكر شيئاً من ذلك كله أو أثنى عليه ؟ أو أن السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب والبحار عنده مشكورات وراشدات ؟ وكذلك الشمس والقمر والنجوم هل شكرهن في شيء من كتابه أو حمدهن أو أثنى عليهن كما أثنى على عباده المطيعين له ؟ معاذ الله لا تأتي في هذه الحجة أبداً وتجد لك فيه أمراً تكسر علينا به إلا ذكرهن فيما فطرهن عليه أو ما أنعم به على خلقه من جعله لهن ؛ فأما غير ذلك فلا والله لا تجده أبداً.

وقد بان من غلبة الحق وأهله للباطل وأهله أن المجبرة لا يحتجون بآية من المتشابه إلا كسرنا حتجهم فيها بالآيات المحكمات، وأعظم الدليل على أن معنا الحق وأن من خالفنا مبطل: أنهم لا يقدرون على كسر آية واحدة مما احتججنا به في العدل، ولا يجدون لها تأويلاً يكسرونها به ولا يردونها علينا بحجة من القرآن ولا غيره، هذا أعظم دليل وأنور برهان.

فليقايس جميع من وقع في يده كتابنا هذا حججنا بحججهم شيئاً شيئاً وحرفاً حرفاً وآيةً أيةً، ثم ليُنعم النظر وليحتط لنفسه فإن وجد قولهم يقهر قولنا ويكسر احتجاجنا علم أن الحق معهم فليلحق بهم، وإن وجد قولنا احتجاجنا يكسر قولهم ويبطل دعواهم، ويفسد احتجاجهم ؛ فليعلم أن الحق معنا والقول في العدل قولنا، والقرآن الشاهد لنا، فلا ينظر الناظر إلا لنفسه.

وليعلم أنه من لقي الله عز وجل وهو كاذب عليه ملزم له فعل غيره من الظالمين أنه لا جُنّة له ولا حجة معه، وأنه لا نصيب له في دين محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وهذا القرآن من أوله إلى آخره يشهد للعدل والبراءة لمن أنزله عز وجل من الظلم.

وأما ما تعلق به الجهال من متشابه القرآن لقلة علمهم باللغة العربية عند أهل اللسان فإن ذلك يفسره أهل العدل على وجه الحق وترد المتشابه فيه إلى المحكم والبيان الواضح بالحجة

القاطعة والشواهد من كتاب الله عز وجل بعضه على بعض إذ لا اختلاف فيه ولا فساد ولا تناقض.

ألا ترى كيف قال عز وجل: **{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** [ص:75]، ثم قال: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، ثم قال: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء].

ثم قال: **{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ}** [غافر:15]ثم قال: **{هُوَ الْغَنِيُّ}** [يونس:68]، فمن كان غنياً لم يحتج إلى درجات، ثم قال: **{هُوَ الْأَوَّلُ}** [الحديد:3]، فمن كان الأول قبل كل شيء مما خلق هل يحتاج إلى درجات، وإنما الدرجات في لغة العرب عظم القدر والرفعة في المجد لا أن ثم درجات كما يعرف الناس.

فكل آية لها معنى يحتاج إلى تأويل، ألا ترى كيف قال عز وجل: **{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ}** [الدخان:37]، وليس أحد من الكفار عند الله سبحانه خيراً من أحد، وإنما يخرج ذلك في اللغة أهم أكثر أم قوم تبع **{وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ}** [الدخان:37]، وليس أحد منهم بخير من أحد لأنه لا خير في الكفار كلهم وليس أنهم عند الله عز وجل بخير ولا رشيد.

ومما يدلك على ذلك في لغة العرب التي قال الله عز وجل فيها: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4]، فقال الشاعر ما يدل على ما ذكرنا من أنه لا خير في أحد من الكفار:

متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارهِ   تجدْ خير نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

وليس بعض النار خيراً من بعض، وإنما هي نار كلها سواء ليس بينها فرق، وإنما عنى صاحب اللغة العربية أنها خير نار أراد أنها وقدت للكرم والمجد والفعال الجميل.

وتقول العرب إذا ساومها المساوم بالعِلْق من أعلاقها أتبيع هذا العلق بكذا وكذا من دينار ؟ فيقول: قد أُعطيت خيراً من ذلك ؛ يريد أنه أُعطي أكثر من ذلك، لا أن الدنانير خير من الدنانير ؛ فافهم هذا.

ثم قال عز وجل: **{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** [ص:75]، والله عز وجل متقدس عن الجوارح والآلات والحواس، وإنما عنى أنه خلق بقدرته التي هي من صفة ذاته عز وجل وقد قال الشاعر:

تحمَّلتُ من عفراءَ ما ليس لي بهِ ولا للجبالِ الراسياتِ يَدَان

والجبال ليس لها أيدٍ ولكن جاز ذلك في اللغة العربية، وقال آخر:

وإذا عَادنِي العوائدُ يوماً قالتِ العينُ لا أرى ما أُريدُ

والعين لا تقول شيئاً إنما يقول اللسان، فجاز هذا في اللغة العربية وكل ما ذهبت إليه المجبرة من التعلق بمتشابه القرآن فكله يجري عند التفسير على هذا النحو، ولولا طول الكتاب لشرحنا كثيراً من ذلك بشواهده والاحتجاج فيه، ولعلنا على فرغة قلب أو سلوة من شغل سنضع كتاباً بحول الله وقوته نذكر جميع المتشابه في القرآن ونحتج فيه باللغة العربية وشواهدها من أشعار العرب البينة ولغاتها إن شاء الله.

وفي بعض ما قلنا أكفى الكفاية لمن أراد الرجوع إلى القول بعدل الله عز وجل، ولم يلحد في صفته ولم يُشَبّهه بخلقه، ولم يجوّره في حكمه، ولم يعدل بالحق إلى غير أهله.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: ثم إن عبدالله بن يزيد البغداذي افتتح في باب الاستطاعة فأكثر فيه القول والاحتجاج، يريد أن يُثبت أن الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ؛ فرأينا أن نجيبه في الاستطاعة بجُمَل تقطعه وتفسد عليه دعواه ويبين فيها كسره باختصار اختصرناه من الحجة الباهرة له ولإخوانه المجبرة والقوة بالله وله.

فقبل أن نجيبه عن الاستطاعة نسأله عن أشياء قبلها مما يفسد عليه الجبر، وذلك أنا نسأله عن النبي صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وسلم: ما أراد من الكفار ؟

فإن قال: أراد منهم الكفر.

قلنا له: وكيف أراد منهم الكفر وهو يقتلهم عليه، ويمنعهم منه ؟

فإن قال: أراد منهم الإيمان.

قلنا له: فما أراد الله عز وجل منهم ؟

فإن قال: الإيمان ؛ صدق ورجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل.

وإن قال: أراد منهم الكفر ؛ وجب عليه أنه قد ألزم رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله أنه مخالف لله عز وجل، وأنه قد أراد من الكفار خلاف ما أراد الله جل ثناؤه ؛ لأنه أراد منهم أن يؤمنوا، وأراد الله منهم أن يكفروا على قود قوله.

ثم يقال له: فأخبرنا عن إبليس ما أراد من الكفار ؟

فإن قال: أراد منهم الإيمان ؛ كذّبه جميع الخلق.

وإن قال: أراد منهم الكفر.

قلنا له: فكذلك هو ولزمه وأصحابه أن إبليس موافق في إرادته لإرادة الله، وأن محمداً صلوات الله عليه وعلى آله مخالف لله في إرادته، وكفى بهذا عمىً وجهلاً وفضيحة على من يدعي أنه مُحقّ ومن خالفه مبطل.

ثم يقال له: أخبرنا عمن رأيته يكفر بالله سبحانه ؛ أقد افترض الله عليك أن لا تريد ذلك الكفر منه ؟

فإن قلت: نعم ذلك علي واجب.

قلنا لك: أوليس قد أراد الله جل ثناؤه ذلك الكفر منه ؟

فإذا قال: نعم.

قلنا له: فأيهما أفضل ما أردت منه أنت ؟ أو ما أراد الله عز وجل ؟

فإن زعم أن ما أراد الله أفضل مما أراد هو زعم ؛ وجب عليه أن الكفر أفضل من الإيمان، فكفى بهذا نقضاً على قائله.

ثم نقول له: من جعل الصدق في قلوب المؤمنين ؟

فإن قال: الله عز وجل جعل ذلك.

قلنا له: فمن جعل الكفر في قلوب الكافرين ؟

فإن قال: الله جعل ذلك.

قلنا له: فهل يصنع الكذب من ليس بكاذب ؟

فإن قال: قد يصنع الكذب من ليس بكاذب.

قلنا له: فلِمَ لا يصنع الظلم من ليس بظالم ؟

فإن قال: أما من الخلق فليس يصنع الكذب إلا كاذب ولا الظلم إلا ظالم، وأما الله جل ثناؤه فيصنع الكذب والظلم ولا يكون كاذباً ولا ظالماً.

قلنا له: فما المعنى الذي صار به العباد كذبةً ظلمة ؟ هل هو شيء أكثر من أن يصنعوا الكذب والظلم ؟ وقد زعمت أن الله عز وجل صنعه في قلوب العباد، فما جعل هؤلاء أولى بالكذب والظلم منه في قولك إذ لم يكن ثَمّ معنى أكثر من أنهم صنعوا الكذب والظلم، وقد صنعه الله عز وجل عما قلتم كما صنعوه زعمتم، فما الفرق عندك ؟

فإن قال: من قِبَل أنهم مأمورون وليس هو بمأمور، فمِن ثَمّ كان ذلك منهم كذباً وظلماً، ولم يكن منه بكذب ولا ظلم.

قلنا له: أفليس قد يجوز أن يُخبر الله عما لم يكن فيقول قد كان كذا وكذا ولم يكن ذلك الذي قال بحق ولا يكون منه بكذب لأنه ليس بمأمور ؟

فإن أجاز ذلك لزمه لنا أن لعل ما أخبر الله عز وجل عن الأمم السالفة أنه لم يكن بحق ولا يكون ما وعد من الجنة والنار بحق وغير ذلك.

ثم نقول له: فما تقول في رجل وقع في نفسه أن الله عز وجل أحدٌ فردٌ لا شبيه له ولا نظير ولا عديل ولا مثيل.

فإن قال: الله أوقع ذلك في قلبه.

قلنا له: أفصدق الله فيما أوقع من ذلك في قلبه أم لا ؟

فإن قال: صدق الله.

قلنا له: صدقت وقلت الحق.

ثم نقول له: فما تقول في رجل آخر وقع في قلبه أن الله عز وجل ثالث ثلاثة وأن له شريكاً وضداً ؛ من أوقع ذلك في قلبه ؟

فإن قال: الله.

قلنا له: أفصدق الله سبحانه فيما أوقع في قلبه أم لا ؟

فإن قال: إن الله عز وجل صدق فيما أوقع في قلبه.

قلنا له: فقد لزمك أن قول المشركين إن الله ثالث ثلاثة صدق وحق ؛ لأن الله تعالى لا يفعل إلا الصدق والحق وقد كفرت وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: إنه لم يصدق ؛ كفرت أيضاً وعطّلت وخرجت من الإسلام بقولك إنه لم يصدق ولا مخرج لك من هذه المسألة إلا بالرجوع إلى قولنا والتوبة إلى الله عز وجل من ظلمنا وقولك إنا قدرية مفترون على الله تبارك وتعالى ؛ فمن المفتري على الله عز وجل أنحن أم أنت ؟ ألا لعنة الله على الظالمين.

ولا نجاة لك من النار حتى تقول إن الله سبحانه أجلّ وأعظم وأعدل وأحكم من أن يوقع في قلب أحد كفراً وإلحاداً أو تشبيهاً عز عن ذلك وتعالى رب العالمين .

ثم نقول لك: هل يجب على الخلق أن يعملوا بما شاء الله عز وجل منهم وأحب وأراد ؟ أم يجب لهم أن يخالفوه في مشيئته ومحبته وإرادته ؟

فإن أقررت أنه يجب عليهم لله عز وجل أن يوافقوه في جميع ما أراد وأحب وشاء.

قلنا لك: فهل شاء الله الكفر وأحبه وأراده وخلقه ؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: فقد يجب على الناس أن يكفروا بالله جميعاً إن كان يجب عليهم أن يوافقوه في إرادته وقد أراد الله الكفر وخلقه زعمت.

وإن قلت: إنه لا ينبغي للناس أن يوافقوا الله عز وجل وفي مشيئته لكفر الكافرين وظلم الظالمين.

قلنا لك: فإذاً يلزمك أن تخالفه في ذلك ؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: ومخالفة الله في ذلك أصلح لك وللخلق من موافقته ؟

فلا بد لك من ذلك على قود قولك واعتقادك، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل، ويلزمك أن الكفر أصلح من الإيمان.

ومن الشاهد لنا على بطلان ما قلت: قول الله عز وجل: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}** [الزمر:7]، وقوله: **{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205)}** [البقرة]، وقوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ(31)}** [غافر]، وقوله:**{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26)}** [النساء]، وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، ولا نعلم عسراً ولا أعظم من الكفر الذي قلت إنه أراده لعباده وخلقه فيهم ومن قال من المجبرة، **{سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(68)}** [القصص].

ثم نسألك أيضاً فنقول لك: هل لله على العباد حجة ؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: أوليس قد أمرهم بالطاعة وأعطاهم القوة على ما أمرهم به ؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فما حجته عليهم فيما يفعلون ؟

فإن قلت: أمرهُ ونهيه.

قلنا لك: فهل تجدون في عقولكم أنه أمركم ونهاكم ولم يجعل لكم السبيل إلى ما أمركم به، ولا غناءً عما نهاكم عنه، فحجته عنكم ساقطة لعذركم القائم الواضح ؟ فلا يوجد ما سألنا عنه في عقل أحد من الناس، فكفى بهذا جهلاً.

وإن كان الله عز وجل قد أمر ونهى، ولم يقو الخلق على ما أمر به ولم يغنهم عما نهاهم عنه ؛ فما حجة الله على عباده إذا سألهم يوم القيامة فقال لهم: لِمَ لَمْ تفعلوا ما أمرتكم به ؟ فقالوا: لم تجعل لنا السبيل إلى الطاعة، وحُلت بيننا وبين طلب النجاة لأنك على قول عبدالله بن يزيد البغداذي لم تُرِدْ أن نؤمن فيبطل علمك، وقد قلت في كتابك: **{وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** [النساء:39]، **{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ(21)}** [الانشقاق].

فما ظنك بقوم هذا الجهلُ اعتقادُهم في صفة الله عز وجل وقلة المعرفة بعدله وترك التدبر لكتابه وقد قال: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165]، لما أعذر وأنذر وحذر ورغب وأبلغ في المواعظ وضرب الأمثال، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وألزموه ذنوبهم ونسبوا إليه فواحشهم بعدما قال: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)}** [الأعراف].

وزعموا أنه لا يجوز لقائل أن يقول: إنه يستطيع شيئاً من جميع الأشياء قبل أن يفعله، ولا يستطيع أن يفعل ما علم الله منه أنه لا يفعله.

وزعموا أن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم [إن] قالوا إن العباد يستطيعون الأفاعيل كلها قبل أن يفعلوها [لزمهم] أنهم قبل أن يفعلوها فاعلون لغيرها.

وأنهم إن زعموا أنهم في حال الكفر يستطيعون الإيمان يجب عليهم زعموا أن يزعموا أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك زعموا محال.

وزعموا أن الذي دعاهم إلى أن يزعموا أن من علم الله منه أنه يفعل شيئاً أنه لا يستطيع أن يفعل خلافه ؛ لأنهم قالوا: لو قلنا إن ذلك أمر يستطاع للزمنا أن العباد يستطيعون تجهيل الله عز وجل ؛ ففسد القول زعموا بأنهم يستطيعون أن يفعلوا ما عَلِمَ الله أنهم لا

يفعلونه لأن ذلك زعموا يوجب على قائله أن يقول إن العباد يستطيعون تجهيل الله سبحانه فمنعهم ذلك زعموا أن يقولوا إن العباد يستطيعون أن يفعلوا ما علم الله أنهم لا يفعلونه ؛ فلذلك زعموا أن العباد يكلفون من الفعل ما لا يستطيعون.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: ثم نقول لهم: أليس إنما كرهتم أن تقولوا إن العباد يستطيعون الإيمان في الحال التي هم عليها كفار من قِبَل أن ذلك يوجب عليكم أن تزعموا أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر وذلك محال عندكم ؟

فإذا قالوا: نعم ؛ قلنا لهم: أليس قد أمرهم الله عز وجل في حال الكفر أن يكونوا مؤمنين ؟ فمن قولهم: إن الله عز وجل قد أمرهم في تلك الحال من الكفر أن يكونوا مؤمنين ؛ فنقول لهم: أوليس قد لزمهم في حال الكفر أن يكونوا مؤمني، وذلك عندكم المحال الذي كرهتموه وزعمتم أنكم إذا أثبتم الاستطاعة لأنفسكم عليه أثبتم الاستطاعة على المحال فلِمَ لا يكون من زعم أنه مأمور بالإيمان في حال الكفر زاعماً أنه مأمور بالمحال [إذ] كان المأمور به هو الذي أحلتم أنه يستطيعه وكان الحال التي قلتم هو فيها مأمور بالإيمان.

فإن قالوا: من قِبَل أنا قلنا إنه في حال الكفر مأمور بأن يُفرد الإيمان فيها فيكون بدل الكفر ولا يكون الكفر فلا يستحيل ذلك.

قلنا لهم عند ذلك: فلِمَ لا تقولون إنه أيضاً يستطيع في حال الكفر أن يفرد الإيمان فيها فلا يكون كفر ؛ أفيستحيل ذلك ؟

ونقول لهم أيضاً: خبرونا عن قولكم إن العبد لا يكون مستطيعاً للفعل إلا في حال الفعل فأخبرونا عن رجل أعتق عبده متى استطاع أن يعتقه ؛ أفي حال هو فيها عبد أم في حال هو فيها حر؟

فإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه في حال هو فيها عبد لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل وذلك الحق وهو قولنا ؛ لأن حال العبودة قبل حال العتق، وقد تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا.

وإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه وهو حر ؛ لزمهم في قولهم أن الناس يستطيعون عتق الأحرار، وهذا خروج من المعقول.

ثم نقول لهم: خبرونا عن الأحرار أمحتاجون هم إلى العتق ؟

فإن قالوا: لا، قلنا لهم: فإذا كانوا في حال الملك لا يقدرون على أن يعتقوهم وهم في حال الحرية لا يحتاجون إلى العتق وإذا استغنوا عن العتق في حال العتق استغنوا عن الاستطاعة على العتق في تلك الحال، وهي حال الملك ليست حالهم وقد أُعتقوا، فقد فعلوا إذاً العتق بغير استطاعة؛ فيلزمهم ترك قولهم.

وإن زعموا أنهم في حال العتق محتاجون إلى العتق ؛ قلنا لهم: أوليس هم في تلك الحال أحرار ؟

فإن قالوا: نعم.

قلنا: فإذا كانوا أحراراً فما حاجتهم إلى العتق ؟ وكيف يحتاجون إلى العتق أن يكون وقد كان وليس تخلو حاجتهم إلى أن يكون العتق في حال العتق من أن تكون قد قضيت أو لم تقض فهم عبيد في تلك الحال التي فيها استطاع المعتق عتقهم، وفي ذلك ترك قولهم والرجوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل إذ كانت العبودية قبل الحرية.

وإن كانت حاجتهم إلى أن يكون العتق قد قُضيت فمن قضيت حاجته مستغنٍ ؛ فهم مستغنون، وإن استغنوا عنه في تلك الحال استغنوا عن الاستطاعة عليه فهم قبل تلك الحال لا استطاعة لهم، ورجع الأمر بهم إلى أنهم قد فعلوا العتق بغير استطاعة، وكفى بهذا حجة لمن عقل.

ونقول لهم: خبرونا متى استطاع الرجل أن يطلق امرأته ؟

فإذا قالوا: مع الفعل، وكذلك يقولون.

قلنا لهم: ومع الفعل هي امرأته أم ليست امرأته ؟

فإن زعموا أنها امرأته تركوا قولهم، ولزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل لأنها إذا كانت امرأته في تلك الحال فتلك الحال قبل حال الطلاق ؛ لأنه لو كان الطلاق في تلك الحال لم تكن امرأته، فإذا استطاع طلاقها وهي امرأته فقد استطاع الطلاق قبل الطلاق.

وإن زعموا أنه استطاع تطليقها وليست بامرأته زعموا، لزمهم أن الناس يقدرون أن يطلقوا غير نسائهم، وهذا نحو ما أوجبناه عليهم في العتق.

ثم نقول لهم أيضاً: خبرونا عمن كان في يده حجر فألقاه من يده، متى استطاع ذلك ؛ والحجر في يده أو خارج من يده ؟

فإن قالوا: استطاع ذلك والحجر في يده ؛ لزمهم لنا أن الاستطاعة قبل الفعل، وذلك عندنا هو الحق وتركوا قولهم ؛ لأن الحجر إن كان في تلك الحال في يده فتلك الحال حال إمساك وليست بحال إلقاء، والإمساك قبل الإلقاء وذلك الرجوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل.

وإن زعموا أنه استطاع إلقاء الحجر والحجر خارج من يده ؛ لزمهم أن الناس في قولهم يقدرون على أن يلقوا ما ليس في أيديهم، وهذا الخروج من المعقول.

ثم يقال لهم: خبِّرونا عن رجل ملك مائتي درهم قفلة، أليس قد فرض الله سبحانه عليه الزكاة ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فإنه قد دفع منها خمسة دراهم إلى إمام هدى، أليس قد استطاع الدفع في حال الدفع فافتُرض عليه وأمر به في تلك الحال ؟

فإذا قالوا: نعم، ولا بد لهم من ذلك.

قلنا لهم: فكم يملك في حال الدفع ؛ أمائتين ؟ أم مائة وخمسة وتسعين ؟

فإن زعموا أنه يملك مائتي درهم، قلنا لهم: فهو في حال دفع الخمسة الدراهم إلى إمام عادل لم يدفعها لأنه لو دفعها لم يكن بمالك لها، فإذا كان في تلك الحال زعموا أنه استطاع دفع الخمسة الدراهم وهو مالك لها وحال الملك قبل حال الدفع فذلك الإثبات للاستطاعة قبل الفعل، وهو الحق، وهو قولنا.

وإن زعموا أنه في تلك الحال دفع وليس يملك منها إلا مائة وخمسة وتسعين ؛ لزمهم في قولهم أن الله جل ثناؤه افترض الزكاة على من لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً، وهذا الخروج من دين الإسلام، والرد للحق عياناً بالمكابرة.

وذلك أنهم زعموا أن الله عز وجل فرض عليه في حال دفع الخمسة أن يدفعها، وهو في حال دفعها لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً، فوجب عليهم أن يزعموا أن الله عز وجل فرض على من لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً أن يزكيها في قولهم، وحاشا لله من ذلك، وكفى بما قلنا قاطعاً لهم.

ثم نقول لهم: أليس في قولكم واعتقادكم واحتجاجكم علينا في كتابكم الذي وضعتم وزعمتم أنا نفر منه، وأنا لا نقدر لكم فيه على جواب، وقلتم: إن الناس لا يقدرون على شيء من جميع الأشياء حتى تحدث لهم قوة لذلك الشيء ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فهل تدرون لعلكم الساعة ليس فيكم قوة على استماع الرعد والصواعق، ولعلها موجودة عندكم وليست فيكم القوى على استماعها ؟

فإن أجازوا ذلك لزمهم أنهم لم يدروا لعل الصواعق تكون عندهم ويسمعها أهل بلدهم غيرهم فلا يسمعون ذلك، ولعلهم لم يعطوا القوة على استماع الرعد والصواعق، وأعطوا القوة على استماع السِّرار والمخافتة الغامضة.

وكذلك لعل الجبال الرواسي بين أيديهم وهم لا يرونها ويرون الذر في صغره وما أصغر من الذرة من قِبَل أنهم أعطوا القوة على أن يروا الذر ويسمعوا السرار الخفي ولم يعطوا القوة على أن يسمعوا الصواعق ويروا الجبال الرواسي، فهذا غاية التجاهل والتعامي وقلة النصفة للعقول، ومع أنه يجب عليهم إذا أجازوا هذا القول أن يُضربوا بالسياط ويحرقوا بالنار ولا يعلمون ذلك ولا يألمون له.

وإن كرهوا الإقدام على هذا القول، وقالوا: إذا سمعنا السرار فنحن للرعد أسمع.

قلنا لهم عند ذلك: أليس القوة على استماع الرعد هي غير القوة على استماع السرار ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا: فلِمَ لا يجوز أن يعطوا القوة على السرار ويُمنعوا القوة على استماع الرعد ؟

فإن أجازوا ذلك وجب عليهم الكلام الأول ؛ حتى يقولوا إنهم في الحال التي يسمعون فيها السرار لا يسمعون فيها الصواعق وصوت الرعد.

وإن هم لم يُجيزوا القوة على السرار إلا وقد أعطوا القوة على استماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك يجب أن من أعطي القوة على حمل مائة رطل فحملها أنه يقدر على حمل رطل واحد لم يحمله إذ كان لا يعطى القوة على شيء إلا أعطي القوة على ما هو أيسر منه، وفي هذا ترك قولهم ؛ لأنهم يزعمون أنه قد يكون الرجل حاملاً لمائة رطل وهو عاجز عن رطل واحد في ذلك الحال.

وإن زعموا أن القوة على استماع السرار هي القوة على سماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك القوة على حمل مائة رطل هي القوة على رطل واحد.

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: فما الفرق بينهما، ولا نعلم له فرقاً.

فإن قالوا: نعم، القول كما قلتم ؛ خرجوا من قولهم، وبطلت دعواهم، ولزمهم أن من حمل مائة رطل فقوي على حملها أنه يقدر على حمل رطل واحد لم يحمله إذ كانت القوة على شيء فهي القوة على ما هو أخف منه وأيسر، لا يقدر على رد هذا إلا جاهل أو متجاهل مكابر وليس مثله يُكلَّم.

ونقول لهم: أليس نحن إذا قلنا: إنا نستطيع أن نفعل ما علم الله عز وجل أنا لا نفعله فقد زعمنا ولزمنا أنا نستطيع أن نجهّل الله عز وجل ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فخبرونا عن الله جل ثناؤه هل يقدر أن يجعله فينا ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد زعموا أنه يقدر على تجهيله، وذلك مثل ما زعموا أنا نصير إليه بكذبهم علينا وفريتهم.

وإن زعموا أنه لا يقدر على شيء وصفوه بالعجز، ومن عجز عن شيء فليس بإله.

وإن ألجأتهم حجتنا هذه القاطعة العظيمة الجلية إلى أن يقولوا: إن هذه مسألة محالٍ فلا يقال فيها يقدر ولا يقدر، استكباراً منهم عن الحق وجحوداً خوف الغلبة ؛ قلنا لهم: فخبرونا عن قوله عز وجل: **{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(4)}** [القيامة]، وقد علم أنه لا يفعله، وقوله: **{وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}** [السجدة:13]، وقوله: **{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}** [الأعراف:176]، وقوله: **{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}** [الإسراء:86]، وقوله: **{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}** [يس:81]، وأشباه ذلك من القرآن يطول ذكره.

فنقول: كيف يجوز عندكم أن يقول عز وجل: ولو شئت لفعلت كذا وكذا، وذلك محال زعمتم حيث اضطركم احتجاجنا فلم تقدروا على حيلة إلا أن قلتم: إن هذه المسألة محال.

وكيف يجوز أن يقول جل ثناؤه: {**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**}، {**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**} والقدرة على ما يعلم أنه لا يفعله عندكم زعمتم محال.

وإن تابوا ورجعوا إلى الله سبحانه يقدر على فعل ما يعلم أنه لا يفعله، ولا يكون يلزم أحداً تجهيله ؛ فذلك الحق، وهو قولنا قد يقدر الناس على فعل ما علم الله عز وجل أنهم لا يفعلونه، ولا يكون ذلك بتجهيل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ؛ لأنهم يقدرون أن لا يكفروا، وأن لا يعصوا، وأن لا يشركوا، وأن لا يعملوا الكبائر.

ونقول لهم: أليس قد أمر الله عز وجل المشركين بالإيمان أن يفعلوه ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فإذا أبوا أن يؤمنوا فقد أمرهم الله سبحانه بتجهيله ؟

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: فكيف وجب علينا عندكم الخطأ حين قلنا إنهم مستطيعون لتجهيل ربهم وقول القبيح فيه عز وتعالى ولا يلزمكم لنا أن تقولوا إنهم مأمورون بتجهيله إذا أمرهم بفعل ما

علم أنهم لا يفعلونه، والمأمور به من الإيمان هو المستطاع، فكيف يجب علينا في إثبات الاستطاعة عليه إثبات الاستطاعة على التجهيل ولا يلزمكم أنتم في إثبات الأمر به إثبات الأمر بالتجهيل وهو واحد مأمور به عندكم مستطاع فعله عندنا.

فإن زعموا أن الأمر ليس أمراً بالتجهيل ؛ قلنا لهم: فكذلك الاستطاعة ليست بالاستطاعة على التجهيل، فكلما ألزمونا شيئاً في الاستطاعة عارضناهم به في الأمر حتى يرجعوا إلى أنه ليس الاستطاعة عليه استطاعة على التجهيل ولا الأمر به أمراً بالتجهيل، وذلك هو الحق وقهرناهم عند ذلك وبانت غلبتهم.

ونقول لهم: أليس إنما فرض الله عز وجل الحج على من استطاع ؟

فإن قالوا: لا، فرضه على من لا يستطيع ؛ ردوا قول الله عز وجل وكذبوا كتابه حيث يقول: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}** [آل عمران:97].

وإن قالوا: لم يفرضه إلا على من استطاع.

قلنا لهم: فخبرونا عمن استطاع هل يمكنه أن لا يحج ؟

فإن قالوا: نعم ؛ تركوا قولهم في أنه لا يستطيع الشيء من علم الله أنه لا يفعله، إذا استطاعه من لم يفعله فقد استطاع ما لم يفعل، وما علم أنه لا يفعله، وذلك ترك لقولهم إذ زعموا أنه لا يستطيع الحج إلا من حج، وإنما فرضه الله جل ثناؤه على من استطاع، فإنما فرض الحج على من قد حج، فأما من لم يحج فلم يفرض الله عليه الحج ؛ لأن الذي لم يحج لم يستطع الحج، وإنما الحج على من استطاع، فقد لزمهم بذلك أن يزعموا أن الحج ليس بفرض على من لم يحج والذي لم يحج ليس يستطيع الحج، إنما الحج على من قد حج لأن الذي حج يستطيع الحج، وفي هذا الذي قالوا ترك قول أهل الصلاة ومفارقة دين محمد صلى الله عليه.

فنقول لهم: خبرونا عن قول الله عز وجل: **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ**

مِسْكِينًا} [المجادلة]، فخبرونا عن من كان صحيح البدن قد ظاهر من امرأته ولم يجد رقبة فترك العتق وأطعم ستين مسكيناً أكان مستطيعاً للعتق ؟

فإن زعموا أنه كان مستطيعاً للعتق فقد زعموا أنه قد يستطيع العتق من يدعه، وذلك ترك ما بنوا عليه كلامهم لأنهم زعموا أنه لا يستطيع أحد شيئاً إلا فِعْلَه.

وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع العتق إذ تركه فقد زعموا أن من كان صحيح البدن سليم الجوارح وظاهر من امرأته فأطعم المساكين ولم يعتق أن ذلك جائز له إذ كان لا يستطيع لأن الله عز وجل إنما فرض عليه إطعام المساكين على من كان لا يستطيع العتق ؛ فإذا كان تراكاً للعتق فلا يستطيعه فليس عليه العتق إنما هو على من يستطيعه، وفي إثبات أنه لا يستطيع العتق تاركه إثبات أنه ليس عليه لأن العتق على من يستطيعه، وفي ذلك القول الخروج من الإسلام، والخلاف لمحمد عليه أفضل السلام فيما جاء به من الأحكام.

وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع وأنه قد فُرض عليه ردوا قول الله جل ثناؤه: {**فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**}، وردوا على جميع الأمة.

ثم نقول لهم: أخبرونا ما تقولون في قول الله عز وجل: **{لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(42)}** [التوبة]، فهؤلاء القوم الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي صلى الله عليه فكذبهم الله عز وجل فيما قالوا وبطّل قولهم: {**لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ**}؛ لأن الله سبحانه علم أنهم يستطيعون الخروج قبل الخروج، ولذلك لزمهم الذنب وصاروا عصاة.

ونقول لعبدالله بن يزيد البغداذي ولمن قال بقوله من المجبرة الكاذبين على الله عز وجل: ومن الدليل على قهرنا لكم وظهور حجتنا على حجتكم، وغلبتنا لكم وأن الاستطاعة قبل الفعل: شواهد قوية من كتاب الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)}** [النساء]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}** [النساء]، وقال: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء].

فمن ذلك الآية الواضحة الصادقة القاطعة لكم من كتاب الله جل ثناؤه حين يقول: **{فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ}** [البقرة:282]، فأخبر عز وجل أن وليه قد يستطيع الإملاء والإملاء معدوم، ولم يفعل بعد، ولو كان الولي لا يستطيع أن يمل أيضاً كما الضعيف الزمن لا يستطيع أن يمل لم يكن للآية معنى ولكان تأويلها على قود قولكم فإن لم يستطع هذا الضعيف أن يمل هو فليمل وليه الذي لا يستطيع أيضاً ؛ إذ كانت الاستطاعة مع الفعل زعمتم، والله عز وجل متقدس عن مثل هذا الكلام الذي لا يجوز لأن الرجل الضعيف الذي لم توجد فيه الاستطاعة وعدمت عند الإملاء قد صح أنه لم يقدر لضعفه وزمانته، وإن الله عز وجل قد أخبرنا وأعلمنا أن قرينه ووليه الذي هو أقوى منه السالم من الضعف فيه الاستطاعة موجودة قبل الإملاء، وكفى بهذه الآية شاهداً عدلاً، والحمد لله.

ومما يدل على ذلك من القياس: أن الأمر لو كان على ما ادعت المجبرة من كذبها على الله عز وجل من أن الاستطاعة مع الفعل تحدث في حال الفعل لكان الكافر لا يؤمن أبداً حتى تأتيه استطاعة الإيمان، ولو كانت الاستطاعة لا تأتيه أبداً وهو كافر بالله لأن الكافر لا يستحق من الله جل وعز لطيفة ولا مادة ولا معونة، ولو كان هذا هكذا لما جاز أن يؤمن كافر أبداً بوجه من الوجوه حتى تأتيه مادة من الله عز وجل تجبره على الإيمان.

ألا ترى أن رجلاً لو كان في بئر فقيل له إنك لا تخرج من هذه البئر أبداً حتى تؤتى بحبل، ولن تؤتى بحبل وأنت في البئر ؛ لما جاز في المعقول أن يخرج ذلك الرجل من تلك البئر أبداً على هذا الشرط بوجه من الوجوه.

وكذلك إذا كان الكافر لا يؤمن أبداً حتى يؤتى باستطاعة ينال بها الإيمان، ولن يؤتى باستطاعة الإيمان وهو كافر عدو لله عز وجل، ويلزم في ذلك أنه قد جُبر على الإيمان جبراً فلا يكون له أجر ولا حمد.

فإن قال قائل: فإن استطاعة الإيمان قد تأتيه وهو كافر.

قلنا له: فهذا يوجب لنا عليكم تقدم استطاعة الإيمان قبل الفعل، وهو قولنا قد رجعتم إليه وتركتم قولكم، فافهم هذه الحجة فلا مخرج لهم منها بحيلة من الحيل.

ثم نقول لهم: ما تقولون في قول الله عز وجل: **{لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(42)}** [التوبة]، خبرونا عن هؤلاء القوم الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي صلوات الله عليه وعلى آله فكذبهم الله عز وجل فيما قالوا.

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فخبرونا عنهم أصدقوا فيما قالوا أم كذبوا في قولهم لم يكونوا يستطيعون الخروج مع النبي صلى الله عليه ؟

فإن زعموا أنهم كذبوا في ذلك ؛ تركوا قولهم، ولزمهم أنه قد يستطيع الشيء من لا يفعله، وذلك هو الحق وهو قولنا.

وإن زعموا أنهم صدقوا في ذلك ؛ لزمهم أنهم قد صدقوا من كذبه الله عز وجل فكفروا لأن من صدق من كذبه الله عز وجل فقد كذب الله جل ثناؤه وذلك الكفر بالله سبحانه المصرح.

ثم نقول لهم: خبرونا عن الكفار أيستطيعون الإيمان في الحال التي هم فيها كفار ؟

فمن قولهم: إنهم لا يستطيعون ذلك.

فنقول لهم: أفليس قد كلفهم الله عز وجل الإيمان، وافترضه عليهم، وهم لا يستطيعونه ؟

فمن قولهم: أنهم كلفوا بما لا يستطيعون لعلة كانت من الكفار وهي كفرهم، فقالوا: إنما منعوا الاستطاعة لأنهم تمسكوا [بالكفر] ولو آمنوا أعطوا القوة على الإيمان.

فيقال لهم: أخبرونا عن المقْعد الذي لا يقدر أن يقوم هل عليه أن يصلي قائماً ؟

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: ولِمَ ذلك ؟

[فإن] قالوا: من قبل أنه لا يستطيع أن يصلي قائماً.

قلنا لهم: وكذلك الكافر لا يستطيع الإيمان زعمتم فلِمَ أوجبتم عليه أن يؤمن ولم توجبوا على المقعد أن يصلي قائماً.

فمن قولهم: إن الكافر إنما صار لا يستطيع الإيمان لعلّة كانت منه وهي الكفر، والمقعد إنما كان لا يستطيع القيام لعلة كانت من الله سبحانه وهو أن فعل به الإقعاد فصار المقعد ليس بتارك للقيام، وصار الكافر تاركاً للإيمان.

قلنا لهم: كل واحد منهما لا يستطيع خلاف ما هو عليه ؟

فإذا قالوا: نعم.

قلنا لهم: فما جعل الكافر أولى بأن يكون تاركاً مستطيعاً للترك من المقعد، والمقعد لا يستطيع القيام ؟ وفي ذلك كفاية كافية .

وإن سألونا فقالوا: أخبرونا عن الكافر هل يستطيع أن يؤمن ؟ يريدون أن نقول: نعم، وكذلك نقول، فيقولون: قد يستطيع أن يكون مؤمناً فهو قد يستطيع أن يكون كافراً مؤمناً وذلك محال زعموا.

فجوابنا لهم والقوة لله وحده في ذلك ؛ أنا نقول: إن الكافر يستطيع في حال الكفر أن يكون بعده مؤمناً، ولسنا نذهب إلى أنه يستطيع الجمع بين الإيمان والكفر ؛ لأن ذلك هو المحال، كما أن النائم لا يكون مستيقظاً في حال واحدة ولا القاعد قائماً في حال واحدة، ولا الليل والنهار يجتمعان في حال واحدة.

والكافر فهو مستطيع وهو كافر أن يكون مؤمناً قادر على ذلك بعد حال الكفر، نريد أن الاستطاعة له في حال كفره على الحال بعدها.

فإن قالوا: فإذا كان بعدها كافراً أليس قد يستطيع في الحال الأولى وهو في حال الكفر أن يكون في الثانية مؤمناً، والثانية أيضاً حال الكفر ؟

قلنا لهم: إنه كان مستطيعاً أن يكفر في حالته الأولى مستطيعاً أن يؤمن ؛ إذ هو مُمَكَّن من استطاعة موجودة فيه يفعل بها ما أراد من كفر أو إيمان غير مقهور ولا مجبور على واحد من الفعلين، والدليل على ذلك شهادة الله تبارك وتعالى حيث يقول: **{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا**

ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا(137)} [النساء].

ألا ترى أن معهم استطاعة غير مجبورين فيها إلا بالأمر والنهي، فإذا شاءوا آمنوا وإذا شاءوا كفروا بالاستطاعة الموجودة فيهم لكلتا الحالتين من قبل فعلهم، فهذا دليل واضح والحمد لله.

ومن الحجة لنا عليكم أن الاستطاعة قبل الفعل: أن نقول لكم: ما تقولون في رجل ركّب سهمه على قوسه رامياً لرجل بين يديه، فلما خرج فوق السهم من وتر القوس سقط الرامي ميتاً ووقع السهم في المرمي فقتله ؛ فنقول لكم: خبرونا متى قتل هذا الرجل صاحبه المقتول بالسهم ؛ أوَهو حي مستطيع للقتل ؟ أم وهو ميت لا استطاعة فيه ؟

فإن قالوا: قتله بعدما مات لأن الاستطاعة عندهم مع الفعل لا قبله ؛ لزمهم أن الموتى يقتلون الناس، وأن فيهم الاستطاعة موجودة، وألزموا الموتى القود وحمل الديات للمقتولين وبان كذبهم وصح إبطالهم، وافتضحوا عند جميع الخلق.

وإن قالوا: إنه قتله برميته وهو حي مستطيع ؛ لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل، ورجعوا إلى قولنا، ولزمهم أن دعواهم واعتقادهم في الاستطاعة مع الفعل باطل ووجب عليهم الرجوع والتوبة، والقول على الله عز وجل بالعدل، فما بعد هذا من البيان والحجة القاطعة والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليكم في أن الاستطاعة قبل الفعل: أنا نسألكم فنقول لكم: خبرونا عن الحركة والسكون في بني آدم، هل هي موجودة في بنيتهم وجوارحهم قبل أفعالهم أم لا ؟ لأنا نجدهم يتحركون ويسكنون من قبل فعلهم للأشياء كلما أرادوا لأن الحركة والسكون فرع الاستطاعة، والاستطاعة فعل الله سبحانه الذي ركب في عباده، والحركة والسكون فعل بني آدم وليست بفعل الله عز وجل.

فإن قالوا: نعم، نحن نقر أنا نجد فيهم الحركة والسكون قبل فعلهم ؛ تركوا قولهم ورجعوا إلى أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأنا نحن وهم نجد الإنسان يقبض ويبسط ويتحرك ويسكن بلا

عمل شيء يعمله، يحرك يده ورجله ورأسه ولسانه ويفتح عينيه ويغمض إذا أراد ذلك، ويقوم ويقعد ويجيء ويذهب، كل هذا الفعل موجود فيه مشاهد من قبل نظره إلى المحارم ومن قبل سرقته لأموال الناس ومن قبل سفكه للدماء ومن قبل قوله القبيح والحسن ومن قبل فعل الشيء مما يفعل، فهذا موجود مشاهد من فعل بني آدم.

فإن قالت المجبرة: لسنا نقول ذلك، ولكنا نقول إن بني آدم لا ساكنون ولا متحركون حتى تأتيهم الاستطاعة مع الفعل ؛ لزمهم أنهم قد خرجوا من التوحيد الذي ادعوا أنهم فيه مقدّمون ولزمهم أنهم قد وصفوا بني آدم بصفة الله الواحد الفرد الذي لا تجري عليه الحركة ولا السكون ورجعوا عن القول بالتوحيد ؛ فإذا بهم قد خرجوا من التوحيد الذي ادعوا والعدل جميعاً لأن الله عز وجل لا تجري عليه الحركة ولا السكون بقوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، وليس شيء من جميع الأشياء إلا والحركة والسكون تلزمه وتجري عليه.

فلا بد لهم من إبطال التوحيد الذي انتحلوا أو يرجعوا عن قولهم فيقولون: إن الحركة والسكون موجودان في بني آدم من قبل أفعالهم، فيتركون قولهم، ويصيرون إلى الحق والعدل، وهو قولنا. د

ثم نقول لهم: أليس قد افترض الله عز وجل على جميع الخلق في كتابه فرضاً لازماً لهم حيث يقول في كتابه: **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}** [النور:30]؟

فإذا قالوا: نعم، هذا فرض لازم للناس كلهم.

قلنا لهم: فهل افترض الله عز وجل عليهم ما يملكون غضه ويستطيعون حفظه قبل فعله أم لا؟

فإن قالوا: قد افترض الله عليهم ما يملكون غضه ويستطيعون حفظه قبل أفعالهم ؛ تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا وهو دين الله عز وجل.

وإن قالوا: إن الله جل ثناؤه افترض عليهم ما لا يملكون غضه ولا يستطيعون حفظه قبل فعلهم له كفروا بقول الله عز وجل: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]،

و{**إِلَّا مَا ءَاتَاهَا**} [الطلاق:7]، وبقوله: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} [البقرة:185]، ولا نعلم عسراً أعسر من تكليفهم أن يغضوا أبصاراً لا يملكون غضها قبل نظرها إلى المحارم، وأن يحفظوا فروجاً لا يستطيعون حفظها من الزنا قبل مواقعته، وأن يكفوا أيديهم عن القتل الذي لا يقدرون على تركه قبل اكتسابه.

ثم نقول لهم: ما الفرق بين تكليفهم لغض أبصارهم وحفظ فروجهم وكف أيديهم عن قتل المؤمنين وهم لا يستطيعون شيئاً من ذلك ولا يقدرون عليه ؟ وبين تكليفهم لتناول النجوم والطيران في الهواء والمشي على وجه الماء ؟ {**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(143)**} [الأنعام]، فلا بد لكم مما قلنا ولا مخرج لكم من حجتنا هذه الواضحة.

وبعد هذا فانظروا كيف نُفسد عليكم القول بالتوحيد لجهلكم بالعدل وقولكم بالجبر فأنعموا النظر في هذه الحجج التي نوردها عليكم فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والحق فيما جاءت به الأنبياء وليس الحق فيما أُخذ عن جهلة الرؤساء والحمد لله رب العالمين.

فإن قلتم: إنما فرض الله علينا غض الأبصار وحفظ الفروج وكف الأيدي والألسنة مع فعلنا لا قبله.

قلنا لكم: فإذاً يلزمكم أن يقول القائل منكم إن صيام شهر رمضان ليس مفروضاً على الخلق من عامٍ قابل ولا يجوز أن يكون اعتقادكم أن رمضان المقبل عليكم فريضة، وأن الله عز وجل يقول: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**} [البقرة:183].

وكذلك يقول القائل منكم: ليس عليّ صلاة غدٍ بفريضة، وليس علي زكاة مالي من السنة المقبلة بفريضة، وليس الحج علينا بفريضة لازمة في وقتنا هذا ولا جميع الفرائض حتى يكون الوقت الذي نفعلها فيه، فيلزمكم أن فرائض الله عز وجل التي افترضها على عباده على لسان نبيه صلى الله عليه قبل فعلها لا يقع اسم فرضها على الخلق إلا عند فعلهم لها فتزول الفرائض الموسومة في القرآن، وهذا ما لا يقول به مسلم ؛ لأن الفرض لازم واجب

محتوم من قبل فعلهم له يلزمهم الإقرار بذلك الفرض والاعتقاد له أنه دين الله المفروض عليهم الذي لا يزول فرضه في ساعة من الساعات ولا وقت من جميع الأوقات إلا من علة تحدث من العلل التي تزول بها الفروض ويقوم بها العذر مثل المرض والحوادث الموجبة للعذر إلا خصلتين بعد العدل والتوحيد وإثبات الوعد والوعيد والإقرار بالرسول والكتاب فإنهما لا تزولان عن المسلمين في حالة من جميع الحالات كلها ولا تسقطان عن عليل ولا غيره ولا عذر فيهما لأحد من المتعبدين اللازم لهم الفرض، وهي طاعة أئمة الهدى ومودة ذوي القربى، فكل الفرائض تزول بكون الحوادث الحائلة إلا هاتين الخصلتين فإنهما لا تزولان عن صحيح ولا عليل، ولا شاهد ولا غائب ؛ إلا طفل لا يعقل أو مجنون ذاهب العقل لا حجة عليه.

ألا ترى أن الصلاة قد تزول في بعض الأوقات بالمرض وغيره ولا تزول مودة القربى ولا طاعة الإمام واعتقاد إمامته، وكذلك مودة آل محمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم. وكذلك تزول الزكاة عند الإعدام، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوي القربى، وكذلك يزول الحج بالمرض والإحصار وقلة الجِدَة ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوي القربى ؛ فكل الفرائض تزول بقيام العذر الذي تصح علله ولا يزول التوحيد ولا العدل ولا إثبات الوعد والوعيد ولا طاعة كل إمام هدى في عصره ولا مودة ذوي القربى قربى رسول الله صلى الله عليه، الطاهرين المطهرين أهل الفضل والمودة المفروضة في القرآن.

ولا يزول شيء من هذه الأشياء التي سمينا لا بمرض ولا غيره إلا عمن زال عقله وسقط التكليف عن مثله أو طفل لا تلزمه حجة ولا على مثله تباعة ؛ فافهم هذا الباب، وأنعم النظر فيه فإنه حق لا يدفعه دافع ولا يقطعه قاطع، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: أخبرونا عن العلم، وقد أجبناه بما فيه الكفاية في أول كتابنا هذا وفي آخره.

ثم قال أيضاً: سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}** [الإسراء:4]، ثم قال: **{وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا(5)}** [الإسراء]، أخبروني ما يعني بهذا؟

فإن قلنا له زعم: قضى عليهم ذلك ؛ فقد أعطيناه زعم أن الله عز وجل عما قال قضى الفساد في الأرض، ونحن زعم نقول: إن الله جل ثناؤه لم يقض الفساد، وإن من قضى الله عليه شيئاً فإنه لا يعذبه بذلك القضاء، هذا قولنا زعم.

ولعمر الله إنه لكما قلنا وإنه لاعتقادنا، فإن أعطيناه زعم أنه قضى عليهم الفساد فقد تركنا كلامنا زعم، وذلك عنده هو العدل أن يكون الله سبحانه قضى على بني إسرائيل الفساد.

ثم قال: أخبرونا الآن هل كان بنو إسرائيل [يستطيعون أن لا يفسدوا؟ فإن قالوا: نعم، يلزمهم أن يكون ما] في هذا الخبر الذي أخبرنا الله عنهم باطلاً ؛ لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون منهم ما أخبر الله أنه كائن منهم، فهم يستطيعون أن يكون خبره باطلاً وكذباً ؛ فهذا زعم قول عظيم تعالى الله عنه علواً كبيراً.

وإن قالوا: إنهم لا يستطيعون أن يصلحوا ؛ فقد كلفهم الله سبحانه الإصلاح، فهذا قولنا يعني نفسه زعم.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنا نقول إن الله عز وجل ذكر القضاء في كتابه في ثلاثة مواضع من القرآن وكل قضاء منها لا يشبه الآخر في معناه، وكل واحد منها له معنى غير معنى الآخر.

أما واحد منها: فهو قضاء خبرٍ أخبرهم الله به أنه يكون من اختيارهم واتباع أهوائهم، وهو قوله عز وجل: **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}** [الإسراء:4]، أي أعلمناهم، والإعلام غير الحتم والقسر.

والقضاء الثاني: قوله جل ثناؤه: **{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}** [فصلت:12]، وهذا قضاء الحتم والجبر الصحيح الذي لا مخرج لأحد منه ولا دافع له ولا راد.

والقضاء الثالث: قوله عز وجل: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}** [الإسراء:23]، وذلك قضاء حكم لا قضاء حتم، ولو كان قضاء حتم ما عصاه أحد من جميع خلقه ولا قدر له على معصية ووجب أنه ليس في جميع الأرض إلا عابدٌ لله سبحانه كما حتم وجزم، وهذه قاطعة لقولكم واعتلالكم بقوله: {**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**}، لأنه لو كان قضاء حتم لم يبق على وجه الأرض إلا عابد لله عز وجل عاصياً كان أو مطيعاً لحتمه وقضائه عليهم، وقوله: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**}وكفى بهذا بياناً وقاهراً لحجتكم.

ومن الحجة عليه في قوله: أخبروني عمن أخبر الله عنه بهذا الخبر هل يستطيعون أن لا يفسدوا.

فإن قلنا: نعم ؛ لزمنا زعم أن يكون خبر الله الذي خبر به بني إسرائيل باطلاً لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون منهم ما أخبر الله أنه كائن منهم، فهم يستطيعون أن يكون خبره باطلاً وكذباً، وهذا قول زعم عظيم، يريد به الشنعة علينا لجهله بعدل الله عز وجل.

ونحن نقول لك إن علم الله عز وجل لم يُدخلهم في معصية ولم يخرجهم من طاعة، ولم يعاقبوا على تصريف العلم ولا سمعوه عز وجل قال في شيء من كتابه ولا على لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله للكفار ادخلوا النار بما علمت منكم، ولا للمؤمنين ادخلوا الجنة بما علمت منكم، وإنما قال للفريقين جميعاً جزاءً بما كنتم تعملون، وبما قدمت أيديكم، وبما قدمت لكم أنفسكم.

وإن ما علم الله فليس له خلاف إلا وهو يعلمه لأن الأشياء لا تخلو من أحد أمرين أحدهما: علم عز وجل أنه يكون، والآخر: علم أنه لا يكون، فكلاهما قد علمه الله عز وجل علم ما يكون أنه يكون وعلم ما لا يكون أنه لا يكون، وليس غير هذين الوجهين اللذين علمهما عز وجل، فأين الخلاف لما علم ؟ هل تجد هاهنا خلافاً لما علم ؟ فأنعم النظر في هذه فإنها حجة قاطعة.

وإن العباد يقدرون أن لا يعلم الله منهم المعاصي، ويقدرون أن يعلم منهم الخير، وليس تحولهم مما كره يفسد علمه لأنه أمرهم أن لا يكون منهم ما علم، ولو كان ذلك يفسد علمه ما افترض عليهم الخروج من المعاصي.

ألا ترى أنه قد علم أن منهم من يعبد الأصنام ثم قال لهم: اعبدوا الله ولا تشكروا به شيئاً، وجعل لهم الطاقة والسبيل على ترك ذلك والرجوع إلى ما يرضيه، فلم يفعل ذلك كثير من الناس، فليس ما ندب الله عز وجل إليه من الطاعة يفسد علمه إذا تركوا المعصية ؛ لأنه قد افترض عليهم الخروج من معاصيه ولم يفترض عليهم الخروج من علمه.

أنت مقر لنا بذلك لأنك تعلم وتعتقد أن الله عز وجل قد افترض على الخلق أن لا يكون منهم معصية ولم يفترض عليهم أن يخرجوا من علمه حتى لا يعلمهم ولا ما عملوا، هذا هو المحال، وإذا خرجوا من المعاصي علم بذلك وهو الذي أراد منهم، وإذا أقاموا على المعاصي علم بذلك وهو الذي كره منهم.

فلاُ لزموا الله عز وجل فعل الظالمين، ولا جور الجائرين، ولا شرك المشركين، إنه بريء من ذلك كله سبحانه وهو العلي العظيم.

والشاهد على ذلك قوله عز وجل: **{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}** [التوبة:3]، فلا تجده هاهنا بريء من شيء من جميع أمورهم إلا من أعمالهم، وأنت تلزمه عز وجل ما برئ منه ؛ فلا يبعد الله إلا من ظلم، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].

والله عز وجل لم يكلف العباد الخروج من علمه لأن العلم يتنقل بتنقل الأفعال كيفما تنقل العباد فالله عز وجل يعلمه ولا يدخل بذلك عليه فساد في علم ولا غيره، وإنما يُدخل الفساد في حكمه على قود قولكم وفي مذهبكم أيها المجبرة أن يكون الله عز وجل علم من قوم أنهم لا يؤمنون ثم أرسل إليهم رسولاً قاصداً يأمرهم بالدخول في الإيمان، فإن أبوا خلدهم في النار أبد الأبد، وقد علم الله تعالى أنه قد حال بينهم وبين الإيمان، فسبحان الله العظيم هذا أعظم الجور.

والدليل على ذلك: أن ليس لحال العلم عُذّبوا ولا لحاله كذبوا، ولا لحاله أشركوا وامتنعوا من الطاعة ولا لحاله قتلوا الرسل وأئمة الهدى عَلَيْهم السَّلام.

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان باليمن وله ابن صغير مع أمه ثم إن الرجل خرج مسافراً حتى وصل إلى أقصى خراسان فأقام بها مدة من دهره وتزوج بها امرأة فأقامت معه وولدت له بنتاً ثم إنه مات وترك البنت بخراسان ثم إن ابنه الذي باليمن نشأ وبلغ مبالغ الرجال فخرج يطلب التجارة وليس له علم بأبيه ولا أين مات ولا ما أحدث حتى وصل إلى خراسان وليس له علم أن لأبيه ولداً غيره، فأقام وقتاً ثم طلب زوجه، فوصف له الناس أن عندهم امرأة ابنة لرجل غريب مات وتركها فخطبها الرجل وتزوجها، ودخلت عليه فأقامت معه سبعين سنة وولدت له عشرين ولداً وهو لا يعلم أنها أخته ولا تعلم هي أنه أخوها.

فعند ذلك نقول لكم: أليس قد علم الله أنها أخته ؟

فلا بد من: نعم ؛ فإذا أقررتم بذلك، قلنا لكم: فهل عليه عقوبة من الله سبحانه أو عليه ذنب أو حد ؟ أو هل يُلزمه الله جل ثناؤه حجة بما علم الله عز وجل من مقامه ينكح أخته سبعين سنة وما ولدت له من الأولاد ؟

فإن قالوا: نعم، تلزمه الحجة وتجب عليه النار بما علم الله عز وجل منه.

كذبهم جميع أهل الإسلام وكفروا في قولهم إن الله عز وجل إنما يعذب على ما علم إذ ليس في القرآن آية واحدة تدل على أن الله عز وجل يعذب العباد على علمه.

وإن قالوا: لا يُلزمه الله عز وجل حجة ولا عليه عذاب بما علم الله عز وجل من نكاحه لأخته ؛ تركوا قولهم وبطل اعتلالهم علينا بالعلم وفلجوا وانقطعت حجتهم.

ثم نقول لهم أيضاً: خبرونا عن حجة لا تنفع المحتج بها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة، هل للاحتجاج بها معنى ؟

فإن قالوا: نعم، قد يجوز أن يحتج المحتج في الدين بحجة لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة فلا بأس بذلك ؛ خرجوا من المعقول، وصاروا ضحكة عند الناس لأن هذا كلام من لا عقل له، ولا معرفة عنده.

وإن قالوا: إن من احتج بحجة في الدين لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة جاهل مخطئ لا تجوز حجته.

قلنا لهم: صدقتم، هذا هو الحق وهو قولنا .

فما تقولون في رجل أُتي به إلى إمام هدى عادل ممن أوجب الله عز وجل طاعته فشهد عليه أربعة شهود عدول بالزنا على الإيلاج والإخراج، ما يكون حكم الإمام عليه ؟

فإذا قالوا: لا بد أن يقيم عليه الحد.

قلنا لهم: فإن احتج عند الإمام أن الله عز وجل قد علم منه أنه يزني وسأله أن لا يجلده لما علم الله منه، ما كان ذلك الإمام فاعلاً في حجته ؟ هل يخليه من إقامة الحد ؟ أم ينفذ الحد عليه والحكم الذي في القرآن ؟ أم يكف عنه ويخليه لحجته ؟

فإن قالوا: يخليه لحجته الواضحة القاطعة التي احتج بها أن الله عز وجل قد علم منه أنه يزني ؛ وجب عليكم أن كل زانٍ زنا إذا احتج بمثل حجة هذا الزاني وجب تخليته وطرح الحد عنه، وبطل ما رسم الله عز وجل وفرض من حد الزاني في قوله: **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(2)}** [النور]، ومن قال بهذا القول الذي قلتم فقد خرج من الإسلام، وفارق دين محمد عليه أفضل السلام.

ثم كذلك إن احتج هذا الرجل يوم القيامة عند الله عز وجل فقال: إنما زنيت بعلمك يا رب فلا تعذبني وإني مت وأنا مصر على الزنا، هل يعفو عنه من العذاب بحجته هذه: أنْ عَلِمَ الله منه الزنا؟

فإن قلتم: إن هذه الحجة تنفعه ويجب أن لا يعذب لما علم الله عز وجل من زناه ؛ أكذبتم قوله: **{وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا(68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا}** [الفرقان]، أفلا تراه يدعو إلى التوبة ولم يحُلْ علمه بين التائب والتوبة.

وإن قلتم: ليس تنفعه حجته في الزنا بأن الله عز وجل علم ذلك منه ؛ بطلت دعواكم في العلم، ولزمكم لنا الغلبة، وبان جهلكم وخطؤكم، والحمد لله رب العالمين.

وإن قالوا: إنه لا يجوز لأحد أن يقول هذا القول وإن من احتج بعلم الله سبحانه في المعاصي أنه لا ينفعه ما احتج به في الدنيا ولا في الآخرة.

قلنا لهم: فلِمَ تكررون أن من افترض الله تعالى عليه الخروج من معاصيه أنه يلزم الله عز وجل أن من لم يعلم منه الخروج من المعاصي أنه مجهِّل لله، وهذا أحول المحال لأن العلم إنما وقع على ما اختار العباد وليس بحامل لهم على معصية ولا مُخرج لهم من طاعة، وإنما مثل العلم وإحاطته بالخلائق مثل السماوات والأرض وإحاطتها بالخلائق.

فنقول للمجبرة: خبرونا عن السماوات والأرض هل لكم منها مخرج ؟

فإن قالوا: نعم ؛ كذبهم جميع الخلق وخرجوا من المعقول.

وإن قالوا: لا مخرج لنا منهما.

قلنا لهم: فإذا زنا الزاني وكفر الكافر وأشرك المشرك وقتل القاتل وسرق السارق هل يكون للسماوات والأرض في فعلهم فعل أو معنى أو شاركتهم السماوات والأرض في شيء من أفعالهم من الفجور والطاعة بقليل أو كثير ؟

فإن قالوا: نعم قد شاركتنا السماوات والأرض في كفرنا وشركنا وفجورنا وقتلنا النفس وقولنا إن الله ثالث ثلاثة عز عن ذلك وتعالى، وكذلك شاركت السماوات والأرض أهل الطاعة في طاعتهم.

قلنا لهم: **{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(111)}** [البقرة]؟ فلا يقدرون على حجة ولا ملجأ لهم إلى فرج أن السماوات والأرض شركن معهم في شيء من أفعالهم.

فإذا صح ذلك ولزمهم وانقطعوا ؛ قلنا لهم: فأوجدونا هل لكم من العلم مَخْرَج إلى غيره ؟

فإن قالوا: نعم ؛ كفروا ولزمهم أن لهم مخرجاً من علم الله تبارك وتعالى.

[وإن قالوا: لا] قلنا لهم: فأوجدونا حجة أن العلم شرك في أفعالهم بقليل أو كثير ؛ فلا يجدون ذلك أبداً بحيلة محتال.

فإن ألجأهم الأمر إلى أن يفتروا على الله عز وجل ويقولوا إن علم الله هو الذي حال بينهم وبين الطاعة وأوقعهم في المعصية.

قلنا لهم: هاتوا آية واحدة من كتاب الله عز وجل تشهد على ما قلتم ونُسلِّم لكم ؛ لأن الله عز وجل يقول في كتابه: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل:89]، ويقول: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**[الأنعام:38]، ويقول: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء].

فإن وجدوا آية واحدة تشهد لهم بأن العلم الذي حال بينهم وبين الطاعة وأدخلهم في المعصية ؛ فالقول قولهم ولا حجة لنا عليهم.

وإن وجدوا القرآن من أوله إلى آخره يشهد لنا عليهم بأن الحائل بين العباد وبين الطاعة، والمدْخِل لهم في المعصية اتّباع الهوى وإيثار الشهوات والحمية والعصبية، وأن في جميع القرآن أن الله يلزمهم أفعالهم ويتبرأ منها، وأنه يقول جزاء بما كنتم تعملون، ولم يقل جزاء بما قضيت عليكم وقدرت وأردت منكم، وقال: **{بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)}** [الحاقة]، وأنه قال في ملكة سبأ: **{وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ(43)}**[النمل]، ولم يقل صددتها ولا علمي صدها.

فنقول لهم: خبرونا عن قوله: {**وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**}، هل صدق الله عليها أن الذي كانت تعبد من دون الله هو الذي صدها لا غيره ؟

فإن قالوا: لا، لم يصدق ؛ كفروا وخرجوا من الإسلام جملة.

وإن قالوا: صدق الله وذلك هو الحق ؛ قلنا لهم: فقد بطل ما قلتم وفسدت دعواكم في العلم، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه لأم موسى: **{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)}** [القصص]، أفقد كان فرعون يستطيع قتل موسى ولا يرده الله إلى أم موسى ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس قد كان فرعون يستطيع أن يخلف الله تبارك وتعالى أُمَّ موسى حتى لا يتم الله وعده ويكون ما وعد أم موسى باطلاً وكذباً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعظموا الفرية على الله سبحانه، ولا أراك تريد أن توقفهم على أعظم من هذا، ولا أراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامهم لا يستقيم إلا أن يعطوك هذا، ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيع قتل موسى وهو في يديه لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها فكذلك كل خبر وكل وعد أخبر الله سبحانه به وأوعده، فلا يستطيع العباد رد ذلك، ولا أن يكون منهم غير ذلك.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: إنا نقول إن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه قد كان أجاب عن هذه المسألة بما أنا ذاكره وهو هذا فافهمه إن شاء الله، ثم لي جواب من بعد ذلك ستقف عليه والقوة بالله تعالى.

قال عَلَيْه السَّلام: وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه في أم موسى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)}** [القصص]، فقال: هل [كان] يستطيع فرعون أن يقتل موسى حتى لا يرده الله إلى أمه ولا يجعله من المرسلين ؟

فقال عَلَيْه السَّلام: إن الله عز وجل لو أخرج فرعون من أكبر المعاصي بعد الشرك به من قتله نبيه إخراجاً ومنعه من معصيته منعاً وقسره على الخروج قسراً ولو جاز أن يُخرِج عدوه من معاصيه قسراً لكان قد أدخله في ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج العاصين من معاصي رب العالمين لكان عباده المؤمنون أولى بذلك، ولو أخرج عباده ومنعهم من معاصيه قسراً لأدخلهم في طاعته جبراً، ولو فعل ذلك بهم لسقط معنى الأمر والنهي ولكان العامل دونهم، الفاعل لأفعالهم تعالى الله عن ذلك؛ فلم يُطع سبحانه كرهاً ولم يُعص جل جلاله مغلوباً.

ثم نقول في ذلك بالحق إن شاء الله فنقول: إن الله سبحانه لما علم أنه إذا ألقى على موسى صلى الله عليه المحبة التي ذكر أنه ألقاها عليه في قوله: **{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}** [طه:39]، أحبته لذلك امرأة فرعون فسألت فرعون تركه عندما هم به من قتله حين تبين له ما كان من فعله فتركه لها وصفح عنه لحب محبتها واتباع سارها، فكان ذلك نجاة لموسى مما هم به فيه فرعون الكافر الملعون.

فلما أن علم الله عز وجل أن ذلك سيكون من اختيار فرعون وأنه سيختار إجابة امرأته إلى ما طلبت من ترك قتل موسى حكم عليه بما علم صيرورة أمره فكان ما ألقى عليه من المحبة منه سبحانه سبباً لنجاته فنجاه سبحانه من فرعون ورجعه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك ووعدها ما وعدها لعلمه بما سيكون من امرأة فرعون وطلبها في موسى وإجابة فرعون لها كما أخبر عما يكون في يوم الدين، فهذا معنى ما ذكر الله من ذلك إن شاء الله لا ما قال الفاسقون وذهب إليه الضالون. تم وانقضى كلام الهادي إلى الحق صلوات الله عليه.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: ومن الحجة لنا عليكم أنا نقول إن الله تبارك وتعالى جعل الآجال التي جعلها لعباده إلى مدة غير محتومة ولا ممنوعة ولا محظورة ممن أرادها من القاتلين، ولو جعلها محتومة ممنوعة محظورة ثم اجتمع جميع أهل السماوات والأرض على أن يقتلوا رجلاً واحداً ما قدروا على ذلك ولا نالوه أبداً لأن ليس لما منع الله عز وجل قاتل ولا خاتل.

فمن أراد قتل أحد لم يحُل بينه وبينه حائل إلا بما حرم الله جل وعز في كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى: **{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}** [الأنعام:151]، يعني نفساً بنفس مثلها قتلت أو بكفرٍ أو بارتداد عن الإسلام أو بحد من بعض الحدود الواجبة لا غير ذلك.

فنقول لعبدالله بن يزيد البغداذي ولمن قال بقوله: أخبرونا عن قوله: **{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}** وإنما خلق الله سبحانه أفعال القاتلين وأرادها وقضاها وقدرها

في قولكم واعتقادكم لا في قولنا ولا اعتقادنا ؛ أفرأيتم من قتل نفساً بغير حق مثل الحسين بن علي عَلَيْه السَّلام ومن قتل عبيدالله بن زياد عليه لعنة الله طالباً له بدم الحسين بن علي عَلَيْه السَّلام ؛ أليس كلاهما إنما قتل المقتول بما خلق الله عز وجل من فعله وقدره وقضاه وأراده ؟

فإن قلتم: لا نقول ذلك ؛ لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم وبان خطؤكم .

وإن قلتم: نعم، كلاهما إنما الله سبحانه خلق فعله وقدره وقضاه وأراده.

قلنا لكم: فأيهما الحق وأيهما الباطل ؟

فإن قلتم: قتل الحسين بن علي عَلَيْه السَّلام هو الحق ؛ كفرتم وخرجتم عن الإسلام لقول النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)).

فإن قلتم: بل نقول قتل عبيدالله بن زياد عليه لعنة الله هو الحق وقتل الحسين بن علي عَلَيْه السَّلام هو الحرام والباطل والظلم.

قلنا لكم: فقد لزمكم ووجب عليكم في قولكم هذا أن بعض خلق الله سبحانه وتقديره وقضائه وإرادته باطلة وبعضه حق ؛ لأن كلا الفعلين زعمتم إنما هو خلق الله تبارك وتعالى وقضاؤه وإرادته وتقديره، وقد سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه: **{يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57)}** [الأنعام]، وزعمتم أنتم أنه يقضي الباطل.

فإن قلتم: إن كلا الفعلين حق ؛ لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطل، ولا مخرج لكم من هذا والإقدام عليه هو الكفر.

وكذلك نقول لكم خبرونا عن منع الله عز وجل لفرعون عن قتل موسى عَلَيْه السَّلام حتى رده إلى أمه كما وعدها، أليس في قولكم أن الله حال بين موسى وبين فرعون قسراً وجبراً حتى لم يقدر فرعون على قتل موسى ؟

فإذا قلتم: نعم.

قلنا لكم: وكذلك لم يحل بين يحيى بن زكريا وبين من قتله، وكذلك جميع من قُتل من الأنبياء عَلَيْهم السَّلام، فلا بد لكم من: نعم ؛ لأنهم قد صح قتلهم، وشاهد ذلك قوله عز وجل: **{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [البقرة:61]، فنقول لكم: أليس في قولكم ودينكم أن الله عز وجل خلق فعل فرعون وقدره وقضاءه وأراده وهو الذي منع فرعون من قتل موسى جبراً وقسراً ؟

فإذا قلتم: نعم ؛ قلنا لكم: فلا نجد التارك لموسى ولا القاتل ليحيى عليهما السلام غير الله عز وجل عما يقولون لأنه يقول في كتابه {**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**} وقال في موضع آخر: {**يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57)**}.

وزعمتم أن أفعال العباد مخلوقة فقد سقطت عنهم الحجة لأنهم لا فعله لهم، وإلا فأوجدونا شيئاً نستدل به ويصح عندنا بعد الاستطاعة المركبة في العباد والجوارح السالمة والحديد الذي قتلوا به، فلا نعرف الله عز وجل في الباب الذي ادعيتم عليه خلقاً يلزم به لكم حجة غير الاستطاعة المركبة في الجوارح والحديد الذي لا حجة على الله سبحانه فيه الذي قتلوا به من قتلوا، وليس تجدون معنى غير ما ذكرنا يجب به أن الله خلق أفعالهم.

وإلا فأين هذا الخلق الذي لا يُرى ولا يُسمع ولا يُذاق ولا يُشم، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تحيط به الأقطار ؟ خرجتم من دعواكم في التوحيد ولزمكم أنكم تقولون إن الله عز وجل خلق خلقاً لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا تحيط به الأقطار وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار الذي لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا تحيط به الأقطار.

وإلا فأوجدونا هذا الخلق الذي ادعيتم أن الله عز وجل خلقه غير الاستطاعة المركبة في الجوارح السالمة والحديد الذي قتلوا به الأنبياء وأئمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله تبارك وتعالى في تركيب الاستطاعة فيهم ولا خلقه للحديد حجة ولا علة لمعتل لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفي هذا الموضع تتبين فضيحتكم وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم في

قولكم إن الله عز وجل خلق أفعال العباد، فأرونا أين هذا الخلق الذي ذكرتم غير ما قلنا فلن تجدوا ذلك أبداً بوجه من جميع الوجوه كلها ولا بسبب من جميع الأسباب.

وتفسير ذلك أن الحركة موجودة في بني آدم قبل أفعالهم، والحركة فهي فرع الاستطاعة المركبة في البنية لأن بني آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم وليس هو فعل الله عز وجل، وكذلك خلقهم الله عز وجل قادرين على الحركة والسكون، مملكين لذلك مأمورين منهيين وخلق الجبال وما أشبهها من الجمادات ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة في بني آدم هي قبل أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم في دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله، ونحن نقول إن الاستطاعة قبل الفعل وهي أصل الحركة التي يقوى بها عليها، وهي موجودة في بني آدم قبل أفعالهم.

فإن قلتم: إن الحركة ليست بشيء ؛ أجبناكم بجواب أبي الهذيل لحفص الفرد ؛ فإنه بلغنا أن أبا الهذيل. وكان يقول بالعدل. تناظر هو وحفص الفرد في الحركات فأبطلها حفص الفرد وزعم أنها لا شيء فقال له أبو الهذيل: يا حفص كم حد الزاني الذي أمر الله به ؟

فقال له حفص: مائة جلدة .

فقال: فكم حد القاذف ؟

قال: ثمانون جلدة.

قال له أبو الهذيل: فأخبرني الحركة هي يد الضارب ؟

قال: لا.

قال: فهي جنب المضروب ؟

قال: لا.

قال: فهي السوط ؟

قال: لا.

قال أبو الهذيل: فقد أعلمتنا يا حفص أن لا شيء أكثر من لا شيء بعشرين، فانقطع حفص الفرد، فكذلك ينقطع عبدالله بن يزيد البغداذي.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: وإنما أخبر الله عز وجل أم موسى صلى الله عليه برجوع موسى إليها لما علم من اختيار فرعون وأنه لا يقتله وأنه لا تساعده امرأته في قتله، والآجال على ما قلنا غير محتومة، والشاهد على ذلك قول الله عز وجل يخبر عن نوح عَلَيْه السَّلام وقوله لقومه: **{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}** [نوح]، فنقول لك: أليس ترى أنه أوجب لهم أن يبلغوا ذلك الأجل المسمى ما لم يُقْدموا على المعاصي التي توجب تعجيل العذاب من الله جل ثناؤه ؟ ألا ترى كيف يقول: **{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(4)}** [نوح]، ألا ترى أنه لم يكن هنالك تأخير إلا وثم تقديم، ألا تراه مسمى وقد هلكوا دونه بإخبار الله عز وجل في كتابه، وقد دعاهم نوح عَلَيْه السَّلام إلى أن يطيعوا الله جل ثناؤه فيؤخرهم إلى ذلك الأجل، ألا تراه مسمى لم يبلغوه.

أوَ لا ترى أن نوحاً صلوات الله عليه لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتأخير أجل الموت الذي سماه الله عز وجل والله جل ثناؤه يقول: **{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا}** [المنافقون:11]، فالأجل الذي جعله الله عز وجل للموت المسمى لا يطمع أحد فيه وليس له راد، وقد قال الله عز وجل في آية من كتابه يدل فيها على من سلف ويؤدب بها من خلف وفيها حكمه على الأولين والآخرين وهي قوله عز وجل: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ(9) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}** [إبراهيم].

أفلا ترى أن لهم أجلاً مسمى قد وعدوا التأخير إليه فلم يطيعوا الرسل ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم ما شُرط لهم من بلوغ الأجل فأخذهم الله عز وجل

بتعجيل العقوبة فاخترمهم دون ما سمى لهم لو أطاعوا ورجعوا إلى دينه وفي هذا كفاية والحمد لله.

ومن الحجة أيضاً قوله عز وجل: **{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(98)}** [يونس]، أفلا ترى أن الله عز وجل قد كان أعلم يونس صلى الله عليه أن العذاب واقع بهم فأعلمهم يونس بذلك فآمنوا بعد انصراف يونس عنهم، فأخر الله عنهم العذاب بعدما كان قد حتمه عليهم ؛ فهذا أكبر الدليل وأوضح شاهد والحمد لله.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ}** [التوبة:46]، أليس قد كره أن ينبعثوا معه، والانبعاث معه طاعة والتخلف عنه كفر.

فإن قالوا: بلى.

فقل: أفليس الله قد كره أن يطيعوا إذ علم أنهم لا يطيعونه.

فإن قالوا: نعم.

فقل: أليس كل من علم الله منه أنه لا يطيعه فقد كره أن يكون منه غير ما علم ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل ودخلوا معك فيه.

وإن قالوا: إن الله لم يكره ابنعاثهم ولم يثبطهم ؛ تركوا القرآن.

فسلهم عند ذلك: أليس قد أنزل الله هذا القرآن ؟

فإن قالوا: بلى.

فقل: فما معنى ذلك إذ يقول: {**كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ**} ؟ فإنهم لن يأتوك بحجة.

وإنهم عسى أن يقولوا: أخبرونا عن أول هذه الآيات أليس قد قال عز وجل: **{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(42)}** [التوبة]، إنهم يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله وما لا يعلم الله أنهم يصنعونه، ولكنه إنما عنى حلفوا بالله ما لنا استطاعة مال فشهد الله أنهم لكاذبون لقد

كانت لهم استطاعة مال، وتصديق ذلك قوله: **{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}**[التوبة:93]، وقال: **{اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ}** [التوبة:86]، وحلفوا ما لهم طول فشهد الله إنهم لكاذبون.

وقال في بعض ما أنزل الله في كتابه: **{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ}** [النساء:25]، يقول: من لم يكن له مال أن ينكح المحصنات فسمى المال استطاعة الطول، وذلك أنه حين استنفرهم اعتلّوا له بأن ليس لهم طول مال فكذبهم الله.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: أما ما سألت عنه من قول الله عز وجل: **{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ}** [التوبة:46]، فإنا نقول لك: إنما جئت بوسط الخبر الذي ذكره الله عز وجل عن العاصين لنبيه صلى الله عليه، ولم تعقل ما قبله ولا ما بعده من شواهد حجج الله جل ثناؤه المؤكدة وبراءته من ذنوبهم الواضحة إذ قال: **{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً}** [التوبة:46]، ونحن نقول لك: أخبرنا هل افترض الله عز وجل الجهاد على من بعث إليهم محمداً صلى الله عليه، أم لا؟

فإن قلت: لا، أكذبك جميع الخلق من أهل الإسلام .

وإن قلت: نعم، قلتَ في ذلك الحق إن الله عز وجل قد افترض الجهاد على جميع أمة محمد صلى الله عليه، ولم يفرضه على بعضهم دون بعض إلا من عذره الله عز وجل من المريض أو الأعرج أو الأعمى أو الضعيف أو المجنون أو الطفل.

فإذا لزمك هذا القول قلنا لك: أفليس قد أمرهم رسول الله صلى الله عليه بالخروج للجهاد في سبيل الله ؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فأخبرنا عما نحن سائلوك عنه وفيه قطع دعواك جميعاً في العلم والاستطاعة مع الفعل والقضاء والقدر وأنك مبطل في جميع ما ادعيت من ذلك كله مسخط لله جل ثناؤه بما وضعت من باطلك على أهل العدل لأنه يلزمك في قولك أنهم لا يقدرون أن يصنعوا

خلاف ما علم الله منهم، فنقول لك: فهل لهم حيلة على أن يدفعوا ما خلق الله عز وجل من أفعالهم وقضاه وقدره وأراده من أعمالهم كما لم يقدروا أن يفعلوا خلاف ما علم الله سبحانه منهم ؟

فإن قلت: لا يقدرون على خلاف ذلك والخروج منه.

قلنا لك: فما معنى قول الحكيم الذي لا يظلم ولا يجور في قوله: **{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً}** [التوبة:46]، وهم ليس لهم إرادة ولا لهم حيلة في الخروج من خلقه ولا من قضائه وقدره وإرادته ولا إلى ترك ما علم من أفعالهم، ونحن لا نجد لهم أمراً يجب عليهم فيه عذاب ولا يلزمهم به معصية إذ الفعل فعل ربهم بهم وهو الخالق لأفعالهم والمقدر لها عليهم زعمتم، وهو القوي الذي لا يغلب ولا يقهر.

وأخبرونا عن قوله سبحانه: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7]، وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، وقوله: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء].

فهات أخبرنا أنت ما معنى إرساله الرسل، وإنزاله الكتب على قوم لا يقدرون على أن لا يعلم الله منهم فعلاً قبيحاً ولا معصية ولا يقدرون على الخروج من خلقه لأفعالهم ولا تقديره عليهم وقضائه الذي حتم من معاصيهم ؟

وهل رأيت أحداً قط يقيد عبده ثم يأمره بالحضر أو يكلفه الطيران في الهواء والمشي على وجه الماء ؟ أوَيكون هذا من صفة حكيم أو عدل رحيم ؟

فإن قلت: إن أفعالهم خلْق الله عز وجل وإنهم اكتسبوا ذلك الخلق.

قلنا لك: فإن الحجة عليك بعد قائمة، يلزمك أن اكتسابهم هو خلق الله أيضاً إذا كان الله خالق كل شيء على قولكم فاكتسابهم أيضاً هو خلقه الذي هو المعاصي.

وإن قلت: إن لهم فعلاً ولله عز وجل فعل كل واحد منهما غير الآخر.

قلنا لك: فقد لزمك أنك قد رجعت عن قولك وصرت إلى قولنا إن فعل الخالق غير فعل الخلق وإن فعل العباد غير فعل المتعبد، ولذلك استحقوا بأفعالهم الثواب والعقاب.

وإن قلت: بل فعلهم هو فعل الله لزمك أن الله عز وجل هو الفاعل لكل قبيح وفاحشة عز الله عن ذلك وتعالى البريء من أفعال عباده الطاهر من ظلمهم.

وإن قلت: إنه فعل بعضها وفعلوا بعضها لأن من قولكم أنه فِعلٌ من فاعلين لزمكم أنه فعل بعض الفواحش والقبائح وفعلوا بعضها فلا مخرج لك من أي هذا القول دون الكفر أو الرجوع إلى الحق والقول بالعدل الذي هو العدل والحق لا جورك الذي وصفت وسميته عدلاً، ولا عجب أعجب من تسميتك وتكريرك كلما احتججت سميت الجبر عدلاً تعالى الله عما قلت.

واعلم أن معنى الآية التي ذكرت من قول الله عز وجل: **{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ}** [التوبة:46]، فإنا نقول: إنه لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه إلى الخروج والجهاد في سبيل الله لم يريدوا ذلك ولم يجيبوا اتباعاً للهوى وميلاً إلى الردى ولم يعدوا العدة التي بها يقوم الجهاد ويجب الأجر فكان تثبيطهم لِما فعلوا وما حكى الله عز وجل عنهم وعلم أنهم لو خرجوا مع نبيه صلى الله عليه لفعلوا به كما علم أنهم لو أرادوا ما علم الله ذلك منهم ولا علم منهم إلا الخير والطاعة والعدة للجهاد وترك التسمع والتجسس على رسول الله صلى الله عليه فقال: **{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْوَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ(46)}** [التوبة]، ثم قال لنبيه صلى الله عليه: **{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ(48)}** [التوبة].

أفلا ترى أيها المهلك لنفسه ولمن تبعه أن الله عز وجل لم يثبطهم عن دينه ولم يحُل بينهم وبين طاعته والجهاد في سبيله والخروج مع رسوله صلى الله عليه إلا لمعصيتهم أولاً وآخراً التي كان منهم فيها البدء.

فأما أولاً فما كان منهم من ابتغائهم للفتنة وتقليبهم لرسوله الأمور حتى ظهر الحق الذي كرهوا وأعرضوا عنه بكفرهم وظلمهم وعدوانهم الذي استوجبوا به في الدنيا والآخرة الخزي من الله عز وجل وسوء الثناء الذي ذكرهم به في كتابه، لا يزال يُقرأ قبح أفعالهم وابتداؤهم بالظلم والإعراض عن أمر الله عز وجل وأمر رسوله عَلَيْه السَّلام أبداً حتى تقوم الساعة.

وأما آخراً فما كان من كفرهم الذي أضمروه لرسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم من الغش والخيانة والتسمع الذي قال الله عز وجل: {**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(47)**} فسماهم ظالمين، وإنما كره انبعاثهم وثبطهم لما علم من كفرهم وسوء اختيارهم وإفسادهم على رسوله صلى الله عليه لو خرجوا معه، فلهذه الأسباب كره عز وجل انبعاثهم وثبطهم لا ما ذهبت إليه أنت من أن الله عز وجل عما قلت كره انبعاثهم مع رسوله صلى الله عليه وجهادهم لأعدائه لغير علة من العلل ولا حجة لزمتهم وثبطهم عن الجهاد لا لسبب استوجبوه ولا أمر استحقوه إلا ابتدائهم بالكراهية والتثبيط من غير علة وجبت له عليهم ولا ظلم أتوه ولا عدوان بدأوا به تعالى عما قلت علواً كبيراً.

والشاهد لنا في تصديق قولنا وصواب حجتنا قول الله عز وجل: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}** [التوبة:115]، وقوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، وقوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الأنفال:53]، **{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ}** [الرعد:11]، وذلك بعد استحقاقهم له وإعراضهم عن الطاعة.

فأما قبل قيام الحجة فلا يجوز ذلك على العدل الذي لا يجور، كيف وهو الذي يقول وقد أخبر عن قوم ظلموا أنفسهم وجحدوا بآياته: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(14)}** [النمل]، أفلا ترى أنهم إنما جحدوا بعد المعرفة لما جعل الله لهم الاستطاعة إلى تركه وفعله، ونفى ذلك عن نفسه عز وجل.

فإذا كان جحدانهم آياته عنده ظلماً وعلواً فعاب ذلك عليهم ثم أخذهم وعذبهم على أمر لم يكن لهم فيه معنى لزمهم به حجة فلِمَ إذاً سماه ظلماً وعلواً وفساداً، وإلا فأين العدل والحق وترك الجور والظلم ؟

وأما قولك: أليس مَنْ عَلِمَ الله منه أنه لا يطيعه فقد كره منه أن يكون منه غير ما علم ؟

فإن قلنا زعمت: نعم ؛ فقد أعطيناك ما عبنا عليك من جورك الذي سميته عدلاً عز الله عما قلت، وبالله ما نعلم للمشركين حجة على الله عز وجل ولا على رسوله صلى الله عليه تقوم بعذرهم وتقطع من خالفهم أقوى من حجتك هذه التي احتججت علينا بها لأنه يجب للمشركين على قود قولك هذا وفريتك على الله عز وجل ودعواك الباطلة أن مَن علم الله عز وجل منه أنه لا يطيعه أنه قد كره منه أن يكون منه غير ما علم الله سبحانه أن يقول المشركون لمحمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: أخبرنا يا محمد أليس قد علم الله منا أنا لا نؤمن ولا نتبعك أبداً ؟

فما قولك يا عبدالله بن يزيد البغداذي في جواب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لهم هل يجوز له أن يقول: لا، لم يعلم الله أنكم لا تؤمنون ولا تقبلون مني.

فإن جوزت ذلك على رسول الله صلوات الله عليه ؛ كفرت وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: إن الواجب أن يقول لهم رسول الله صلى الله عليه: بلى قد علم الله أنكم لا تؤمنون ولا تتبعونني أبداً ؛ فإذا قال ذلك النبي عَلَيْه السَّلام قالوا له كما قلت أنت: أخبرنا يا محمد فلِمَ أُرسلت إلينا وقد علم أنا لا نؤمن أبداً ولا نتبعك ؟ وكيف يجوز عندك يا محمد في حكمة ربك أن يأمرنا أن نتحول عن عبادة الأصنام إلى عبادته هو وقد علم أن ذلك لا يكون منا أبداً لأنه إن كان منا إيمان أو توبة أو رجعة إلى الإسلام بطل عمله.

فنحن نقول لك أيها المجبر الجاهل المفتري على الله جل ثناؤه: هل مع نبيك هذا المصطفى والمنتجب للوحي والمختومة به الرسل حجة يقطع بها المشركين ويورثها أمته من المسلمين ليحتجوا بها على المدعين إلى يوم الدين ؟

فإن قلت: نعم معه حجة يقطع بها المشركين.

قلنا لك: ما هي هاتها وعرفنا بها إن كنت من الصادقين.
فإن ادعيت غير ما احتججت به علينا في العلم ؛ سقطت حجتك في العلم التي اعتللت علينا بها لأنه صلوات الله عليه إذا احتج على المشركين لم يكن احتجاجه إلا بما يقطع به حجة المشركين وذلك الذي احتج به المشركون قولكم وحجتكم التي احتججتم بها على أهل العدل في دعواكم أنه من علم الله سبحانه منه أنه لا يؤمن أنه لا يكون منه غير ما علم الله، ولو كان منه الإيمان لبطل ما علم الله عز وجل منه أنه لا يؤمن، وهو قول المشركين الذي قلنا لك إنهم احتجوا به على رسول الله صلى الله عليه.
وإن قلت: إنه ليس مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله حجة غير ما ادعيت أنت وإخوانك المجبرة وقلتم به في العلم لزمك أن الرسول عَلَيْه السَّلام لم يحسن يحتج على المشركين وأنهم قد فلجوه في حجته ولم يقدر لهم على جواب غير ما قلتم، فيلزم النبي صلى الله عليه لهم أن إرساله عبث ولعب إذ علم الله عز وجل أنهم لا يؤمنون، ثم بعثه إليهم يطلب منهم ما لا يقدرون عليه، وهذا غاية الكفر والشرك والعبث واللعب وفساد الحكمة وغاية الطعن على الله عز وجل عما قلتم وعلا علواً كبيراً، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً.
ولكنا نقول: إنه كما علم الله منهم أنهم لا يؤمنون كذلك علم الله أنهم يقدرون على الإيمان وعلى أن لا يعلم منهم الشرك لأنه افترض عليهم الخروج من الشرك ولم يفرض عليهم الخروج من العلم لأن الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً، ولا مخرج لأحد من علم الله عز وجل.
والدليل على ذلك: ما قلنا لك في بعض كتابنا هذا من الحجة القاطعة إنا نسألك: هل أراد الله من العباد إنفاذ ما أمر بترك ما علم ؟ أو إنفاذ ما علم بترك ما أمر ؟
فإن قلت: إن الله عز وجل أراد من الخلق إنفاذ ما علم بترك ما أمر ؛ لزمك وأنت مفلوج الحجة أن الله عز وجل أراد إنفاذ ما علم من الظالمين وترك الفرائض التي جاءت بها المرسلون، وفي هذا القول يلزمك الشرك والخروج من دين الإسلام كافة.

وإن زعمت أن الله عز وجل أراد أن تُتْرك فرائضه وكتبه ودينه الذي شرع وأمره ونهيه وطاعته وطاعة رسوله عَلَيْه السَّلام ؛ [أكذبك الله سبحانه] إذ يقول: : **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** [النساء:26]، ثم قال: **{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)}** [النساء].

وإن قلت: إن الله عز وجل أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم ؛ لزمك أنك قد رجعت عن جهلك، وأن الحق معنا، وهذا قولنا إن الله عز وجل أراد من الخلق إنفاذ ما أمرهم به من طاعته بترك ما علم منهم من اتباعهم للهوى والميل إلى الكفر والردى والصد عن الهوى إذ أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً، ولم يُعص مغلوباً.

ولعمر الله إن مسألة واحدة من مسائلنا هذه لتقطع جميع أهل الجبر وتجزي عن الاحتجاج بغيرها ولكن لا بد من جوابك على كتابك كله لتعلم موضع خطئك باحتجاجك علينا في مسألتك هذه بالقرآن وأنت لا تعرف القرآن، ولو عرفت القرآن لم تقل بالجبر.

وأما قولك: إن الله جل ثناؤه لم يكذّب المنافقين في قولهم: **{لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ}** [التوبة:42]، يعني زعمت أنهم لا يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله، وإنما عنى الله عز وجل بذلك زعمت أنهم حلفوا أنهم لا يقدرون على استطاعة المال وزعمت أن الله شهد أنهم كاذبون وقد قال عز وجل زعمت في حجتك: **{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}** [النساء:25].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: فقد لزمك في هذا القول بأن الذي احتججت به علينا أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ إذ أقررت وزعمت من لسانك أن الله عز وجل شهد عليهم أنهم حلفوا ما معهم استطاعة المال وهي معهم على قولك، وذلك عندنا نحن الأمر الذي عاب الله عز وجل عليهم إذ كانت معهم استطاعة المال ثم حلفوا ما هي معهم، وهي معهم قبل الخروج مع النبي صلى الله عليه.

وزعمت أنها التي عنى الله عز وجل ففررت من شيء ووقعت فيه، فإذا لم تقر لنا أنهم إنما حلفوا على أنهم لا يقدرون على الخروج بالأبدان، لأن ليس معهم استطاعة الخروج بالأبدان على قولك وزعمت أن معهم استطاعة المال وقلت: إن الله شهد عليهم بذلك فقد وقعت فيما فررت منه وليس نريد منك أكثر من هذه الآية.

قد لزمك أن الله عز وجل شهد عليهم أن معهم استطاعة المال ولم يخرجوا مع رسوله صلى الله عليه وعلى آله، وهذا قولنا وبه وجبت لله عز وجل عليهم الحجة، وقد شهدتَ للمنافقين بالبراءة ودافعت عنهم، ولزمك في قولك أن الاستطاعة قبل الفعل لقول الله عز وجل على إجماعنا وإجماعك معنا: **{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(42)}** [التوبة]، فأقررت أن معهم المال، ولكون المال معهم لزمهم الخروج مع النبي صلى الله عليه ولزمتهم الحجة لأن كون المال موجوداً عندهم قبل الفعل وهو خروجهم مع النبي صلى الله عليه وعلى آله، فافهم ما وقعت فيه ثم أكدته لنا على نفسك بقولك: وتصديق ذلك قوله عز وجل: **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}** [التوبة:93]، وقال: **{اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ}** [التوبة:86].

فأخبر أنهم حلفوا ما لهم طول فشهد الله إنهم لكاذبون، وهذا هو الحق، وهو الدليل الأعظم على أن الاستطاعة قبل الفعل وهو قولنا وقد وافقتمونا واستشهدتم القرآن، وقد قبلنا هذا الموضع من قولكم لأن من كان له مال فقد لزمه الخروج في سبيل الله مع صحة البدن والخروج بعد ملك المال، فقد صح أن الاستطاعة قبل الفعل ولذلك لزمهم ما قال الله عز وجل فيهم: **{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ}** [التوبة:46]، لما قد فسرناه من أول أمرهم إلى آخره، وفي هذا كفاية والحمد لله ولولا خوف التطويل لزدنا من الحج غير هذا.

وكذلك قوله: **{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ}** [النساء:25]، والطول لا يكون إلا قبل النكاح وإلا فبماذا ينكح إذا كان فقيراً ؟ غير أني أظن أنك

سهوت في احتجاجك بهذه الآية لأنك احتججت بآية تشهد عليك ولا تشهد لك، وكل القرآن على ذلك يشهد للعدل ولأهله ولا يشهد عليهم، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه :**{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(22)}** [المرسلات]، ما يعني بذلك ؟

فإن قالوا: عنى بذلك أنه يخبرنا أنه خلقنا من ماء مهين، وجعله في قرار مكين إلى قدر معلوم يخرجه ويولجه.

فقل: ذلك كذلك ؛ أخبروني الآن عن رجل شق بطن امرأة حبلى فأخرج ولدها ظلماً وعدواناً أليس بقدر معلوم خرج ؟

فإن قالوا: خرج بغير قدر الله ؛ فقل لهم: فما كان يقدّر الله قدراً غير هذا ؟

[فإن قالوا: نعم] فقل: أليس قد يستطيع العباد أن يكون منهم الذي قال الله أنه معلوم أن لا يكون معلوماً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فهذا أعظم الفرية، وقد أعطوك ما كنت تجتزئ منهم بدونه.

وإن قالوا: خرج حين شق بطنها بقدر فقد قدر الله المعصية لأن شقه بطنها معصية وبذلك خرج فقد قدّر الله أن يخرج من بطنها بمعصيته.

فإن قالوا: نعم ؛ فهو قولك الذي عابوا عليك من العدل قد دخلوا فيه.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: قد قال الله عز وجل: :**{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(22)}** [المرسلات]، فنحن نقول: صدق الله في قوله وفلَجَتْ حجته إنه خلق الولد في البطن وجعل له أجلاً غير محتوم ولا مجبور ولا محظور على الخلق التعدي عليه ولا على أمه إلا بالأمر والنهي، ولو كان ذلك محظوراً على الخلق حتى لا يجدون السبيل إليه ولا إلى أمه من قتل أو شق بطن أو ذبح

طفل أو قتل كهل لما قدر فرعون اللعين ولا غيره على شق بطون الحبالى ولا قتل الأطفال ولا إهلاك الرجال.

فإن قلت: إن فرعون فعل ذلك بما خلق الله سبحانه من فعله وقدّره من ظلمه وقضاه من سيرته، وأراده من كفره وعلوه، فليس على فرعون حجة ولا يجب عليه عذاب ؛ لأنه مثل الباب على قود قولكم الي متى شاء صاحبه فتحه ومتى شاء أغلقه.

وإذا احتج فرعون بين يدي الله عز وجل يوم القيامة إذ قال: يا فرعون لم قتلت الأطفال وشققت بطون الحبالى ؟ فقال فرعون: فعلتُ ذلك يا رب بما قضيت عليّ وقدرت من معصيتي وجعلت من فعلي.

فنقول للمجبرة عند ذلك: خبرونا هل صدق فرعون أم كذب في حجته هذه إذا احتج بها يوم القيامة ؟

فإن قلتم: كذب ؛ رجعتم عن قولكم وصرتم إلى قولنا بالعدل.

وإن قلتم: صدق فرعون أن الله قضى عليه قتل الأطفال وشق بطون الحبالى.

قلنا لكم: فما جزاء من صدق بين يدي الله عز وجل في ذلك اليوم ؟ أليس قد قال الله عز وجل ضامناً لمن هو صدق: **{هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** ..**إلى آخر الآية** [المائدة:119]، فيجب في قولكم أن يأمر بفرعون إلى الجنة لأنه صدق وقد وعد الله الصادقين الجنة وهو لا يخلف الميعاد، وكفى بهذا فضيحة وبلاءً.

وبعد فلِمَ قلت في مسألتك هذه: فأخبروني عن رجل شق بطن امرأة حبلى فأخرج ولدها ظلماً وعدواناً زعمت ؛ أخبرنا أنت أين موضع الظلم والعدوان الذي قلت، وهذا الرجل الذي شق بطن المرأة يحتج عليك بأن الله خلق فعله وقدّره عليه وأراده وقضاه، وأن الله سبحانه علم أنه يشق بطن المرأة ثم لا يقْدِر هذا الرجل أن يفعل من ترك شق بطن المرأة غير ما علم الله منه وقدره عليه وأراده منه وخلقه من فعله.

فأخبرنا يا عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانك المجبرة: لم سميت شقه لبطن المرأة ظلماً وعدواناً ؟ وأعلمنا أين الظلم والعدوان ؟ وكيف هيئته حتى نعرفه كما عرفته بحجة قاطعة وبينة عادلة، فإن الجنة لا تُدخَل إلا بالحق، وإن النار لا تدخل إلا بالحق أيضاً ؛ إذ القاضي من شأنه العدل وترك الجور والظلم وقد قال جل ثناؤه: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}** [الأنبياء].

فإن كان شق بطن هذه المرأة فعلاً لله تعالى عما قلتم خلقه وقدره وأراده وقضاه ظلماً وعدواناً فقد ظُلِم الرجل في إضافتك إليه الظلم والعدوان وهو فعل غيره لأنه فعل ربك زعمت فليس لك أن تسألنه عنه لأن الله عز وجل قال: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}**.

وما قولك إن سألناك: أهو فعل الله جل ثناؤه تفرد به دون الرجل الذي ذكرت، أم لا ؟

فإن قلت: نعم ؛ لزمك أن كتابك هذا وحججك باطل وسؤالك لنا عن فعل الله عز وجل خطأ عظيم وكفر بين لقوله: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}**.

وإن قلت: إن شق بطن المرأة فعل للرجل ولله جميعاً ؛ لزمك في حكم الإسلام لو أن رجلين شقا بطن امرأة فأخرجا ولدها أن عليهما جميعاً دية المرأة وغرة في ولدها إلا أن يكون في حكمكم أن الدية لا تلزم إلا أحد القاتلين وتسقط عن الآخر، ومن قال بهذا فقد خرج من حكم الإسلام، وقد قال عز وجل يحكي عن نبيه شعيب صلوات الله عليه وصدقه الذي قال لقومه وهو من عدل الذي بعثه عز وجل: **{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}** [هود:88]، فذلك الدليل على أن الله عز وجل لا يحكم على العباد بعدل ثم يخرج نفسه من ذلك العدل.

وإن قلت: إن عليهما جميعاً الدية لزمك أن على هذا الرجل الذي ادعيت أنه شق بطن المرأة نصف الدية وعلى الله عز وجل نصفها.

وإن قلت: إنه ليس يلزم الله عز وجل شيء من ذلك.

قلنا لك: فكيف حكم علينا بأمر من العدل وأخرج نفسه من ذلك العدل الذي شرع لعباده وأمرهم به، وقد قال: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(44)}** [البقرة].

وإن قلت: إنك لا تقول بواحدٍ من القولين، وإن الرجل هو الذي شق بطن المرأة ظلماً وعدواناً وحده ليس لله عز وجل في فعله فعل ؛ فذلك هو الحق والعدل، وهو قولنا، وقول الملائكة والمرسلين وجميع المؤمنين، ولزمك أن تكفر بكتابك الذي وضعت علينا، وأن تتوب إلى الله عز وجل مما افتريت عليه وألزمته فيه ذنب شاق بطن المرأة ظلماً وعدواناً، وإخراجه لولدها، وإن الله عز وجل زعمت أراد تلك المعصية وقدرها في كتابك، ثم سميت الرجل عاصياً وظالماً ومتعدياً، سبحان الله العظيم عما قلت؛ فأيكما الآن الظالم العاصي المتعدي ؛ أنت أم هو ؟ إذ أوجبنا عليك الحجة القاطعة.

وأما قوله: **{إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(22)}** [المرسلات]، فذلك القدر المعلوم إنما هو إلى مدة إن تركها الظالمون المخيرون المكلفون للفرض لا جبراً ولا قسراً والممنوعون عن الظلم بالكتب والرسل لا كرهاً ولا اضطراراً سلمت وبلغت الأجل الذي سمي لها.

وإن اعتدى عليها معتد فلا حائل بينها وبينه من غير غلبة لله عز وجل إذ أمر جل ثناؤه تخييراً ونهى تحذيرا، فلم يطع كرها ولم يعص مغلوباً، ولا مخرج لك مما قلنا، والحمد لله رب العالمين، فقد سقطت دعواك في ولد المرأة وشق بطنها لأنه لا يجوز في الحكمة والعدل أن يقضي على أحد بشق بطنها أو قتل ولدها ثم يقول: **{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9)}** [التكوير].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ(33)}** [الزخرف]، أليس لو جعل ذلك على الإيمان لآمن الناس كلهم كما أنه لو جعله للكافرين لكفروا كلهم ؟ ولو جعله للمؤمنين مع الثواب في الآخرة لكان الناس أجدر أن يؤمنوا كلهم ؟

فإن قالوا: بلى، فقل: فما منعه أن يفعل ذلك ؟

فإن قالوا: لم يُرِدْه ؛ فقل: أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار فيكفر الناس جميعاً ؟ وهذا باب ليس فيه جبر لأنه لو فعل ذلك لم يكونوا مجبورين لجعله للمؤمنين لبيوتهم السقف من الفضة والمعارج ؛ أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: قد أقررتم بأن الله عز وجل لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار فيكفروا جميعاً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فهذا قولنا إنه لم يرد أن يؤمنوا جميعاً ولا يكفروا جميعاً لأنه قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يرد أن يكون ما علم غير ما علم، ولا أن يكون من العباد ما لا يعلم أنه كائن منهم.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: وأما ما سألت عنه من قول الله عز وجل: **{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ(33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ(34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ(35)}** [الزخرف]، فإنما هذا إخبار من الله عز وجل لم يفعله ولم يرده ولم يحكم به على أحد، وسؤالك عما لم يفعله الله عز وجل خطأ منك، وجهل بكتابه لأنه يقول: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}** [الأنبياء].

فأنت تسمعه عز وجل يقول: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}** ونهى عن سؤاله عما قد فعل فكيف تسأل عما لم يفعل؟ هذا من أعجب العجب وكفى بهذا جهلاً وكفراً بالآية، وهو عز وجل فقد أنزل هذا الوصف الذي وصف وليس لأحد أن يقول: لِمَ لَمْ يفعله، ولو أنه أنفذه، ولو أنه لم ينفذه، فيجب على من يسأل عن ذلك الخروج من حكم الآية والمعصية لله جل ثناؤه فيها وهو قوله: **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}**، وهذا هو الحق.

وأما قوله: {**وَهُمْ يُسْأَلُونَ**} فهذا يوجب عليك أنه لا يسألهم إلا عن أفعالهم التي هو بريء منها ليس له فيها فعل بوجه من جميع الوجوه ولا بسبب من جميع الأسباب إلا أمره لهم بالفرائض ونهيه لهم عن المعاصي، ولو كان له فيها سبب بمقدار شعرة لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يقول: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ؛ فعمَ يسألون إن كان الفعل كله هو خلقه وقدره ؟

فهذا أعظم الدليل وأكبر الحجة لنا عليكم أنه عز وجل لو كان فعل شيئاً من أفعال الخليقة لكان أصح للكلام وأوجب في العدل وأبين للحكمة أبعد من الظلم أن يقول: {**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**} ثم يقف إذ كان جميع ما ادعيت وذكرت وبه احتججت هو فعله وخلقه وتقديره عليهم، ولا يقول: {**وَهُمْ يُسْأَلُونَ**}.

وعمَ يسألون وهو الذي فعل أفعالهم وجبرهم عليها زعمت، وأراد أن يكون قوم مؤمنين فكانوا، وأراد زعمت أن يكون قوم كافرين فكانوا، وعلم زعمت أنهم لا مخرج لهم من الكفر فصاروا بما علم منهم لا يقدرون على الخروج من الكفر بعدما افترض عليهم الخروج من الكفر ؛ فعم يسألون وهو الذي حال بينهم وبين كل طاعة، وأراد منهم كل معصية وبلية على قولك، تعالى الله عن فريتك عليه وجل جلالاً كبيرا.

وإنما معنى الآية أنه عز وجل أخبر أنه لو فعل لهم من سقف الفضة والسرر والمعارج والأمر الذي ذكر عز وجل لم يكن ذلك بدائم لهم ولا مُغنٍ ولكنه عز وجل لم يحب أن يكون له فعل يخرجهم إلى معصية قسراً ولا إلى طاعة جبراً بل خيرهم تخييراً وصير لهم السبيل إلى ذلك، فمن شاء آمن ومن شاء كفر، ولا خيرة لهم في تنعيم أيام يسيرة ثم تصير عاقبته إلى العذاب المقيم، وقد قال عز وجل: {**أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(20)**} [الحديد].

وأما قولك: فلو جعله للمؤمنين مع الثواب في الآخرة لكان الناس أجدر أن يؤمنوا كلهم ؛ فإن قلنا زعمت: بلى، فقلت: ما منعه أن يفعل ذلك ؟

وقد أعلمناك كيف عاب الله عز وجل أن تسأله ما منعه ولم فعل ولم لم يفعل، وأعلمناك ما يدخل عليك في سؤالك لله عز وجل من الفساد ومخالفة الآية، ولسنا نقول: بلى، ولا نجهل عدل الله عز وجل كما جهلته وإنما أنت تحتج علينا ثم تجيب نفسك عنا بالخطأ ولا تدري ما نورده عليك من البرهان القاطع لك بحول الله ونصره.

فاسمع إلى ما قلنا، وأنصف عقلك، واعلم أن الله عز وجل لو جعل سقف الفضة والمعارج والسرر حتى يؤمنوا كما زعمت كلهم لأوجب ذلك عليهم أنهم لم يدخلوا في الإسلام إلا بالجعل والرشوة والعطية من عرض الدنيا الفانية فيسقط أجرهم ويزول حمدهم وشكرهم ولم يجب الثناء من الله عز وجل عليهم ولم يقل: **{الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ}** [البقرة:177]، وقوله: **{يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}** [البقرة:273]، وقوله: **{لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}**[البقرة:273]، ويقول: **{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(17)}** [السجدة].

ولكان مثلهم على قود قولك مثل أجناد السلاطين الذين يقاتلون معهم بالأجرة فلم يجب لهم عليهم منة إذ أخذوا منهم الأجرة والعطاء.

وأما قولك: أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا فإن قلنا زعمت: بلى، قلت لنا: فقد أقررنا بأن الله لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار فيكفروا جميعاً، فإن قلنا زعمت: نعم، قلت لنا: إن ذلك قولك وقول أصحابك إن الله لم يرد أن يؤمنوا جميعاً، ولم يرد أن يكفروا جميعاً ؛ لأنه زعمت قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يرد أن يكون ما علم على غير ما علم ولا أن يكون من العباد ما لا يعلم أنه كائن منهم.

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: فثبت لذاك لقد هلكت وأهلكت يا عبدالله بن يزيد البغداذي مَن قبل عنك جهلك وجبرك وخطأك وفريتك على خالقك، ولم تدبر كتابه ولم تعرف محكمه من متشابهه ولا الشافي الكافي من معانيه الدالة على عدله والبراءة له من

أفعال خلقه والنزاهة عن ظلمهم والقضاء بالفساد عليهم والبعد والتقدس عن القول الخطل الذي ينقض بعضه بعضاً، حاشاه عن ذلك وعلا علواً كبيراً.

ألا تسمع أيها المهلك لنفسه ولمن اتبعه من إخوانه كيف قال عز وجل لنبيه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، وقوله: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات]، وقوله: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، فهذا يكذب قولك ويبطل حجتك أنه أراد أن يكون بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

وقوله: {**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**} يدل ويشهد على بطلان دعواك الكاذبة لأن الرسول إليهم جميعاً يدعوهم إلى الهدى والطاعة يدل ويشهد أن الله عز وجل أراد منهم جميعاً الإيمان والطاعة ولم يرد منهم الكفر والمعصية، ولم يقل إني رسول الله إلى بعضكم دون بعض.

وقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}** [سبأ:28]، والكافة في لغة العرب هو: الجميع الذي لا يبقى منهم أحد لا ذكر ولا أنثى، فهذا يوجب عليك أنه أرسله إلى جميع أهل الأرض ليؤمنوا كلهم، وبطل قولك إنه أراد أن يكفر بعضهم وأن يؤمن بعضهم.

لا بد لك من ذلك إلا بجحود هذه الآيات ومخالفتك جميع الأئمة على إجماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله قد دعا الناس كلهم إلى طاعة الله ولم يكتف ببعضهم دون بعض إلا أن تقول إنه لم يبلغ.

فإن قلت: إنه لم يبلِّغ كفرت وعذرت بعض الناس ولم تعذر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

واعلم أنه لا يجوز على الله عز وجل أن يقول لرسوله صلى الله عليه: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، ثم يكون ذلك القول خديعة وطنزاً واستهزاءً وأمراً على غير حقيقة بعد قوله: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}** [النساء].

فلا يجوز هذا وهو لا يريد أن يؤمنوا كلهم، فأظهر لهم زعمت قولاً في الظاهر ثم دس محمداً لى الله عليه إلى بعضهم حتى آمنوا كما أراد وكفر الآخرون كما أراد وهذه صفة المخادع والمماكر والذي يقول ما لا يفعل، وقد عاب الله عز وجل مثل ذلك على عباده فقال: **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3)}** [الصف]، فكيف يدخل عز وجل فيما عاب ثم يقول لنبيه صلى الله عليه: **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}** [المائدة:67]، ويقول لموسى وهارون صلى الله عليهما حيث أرسلهما إلى فرعون الملعون: **{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)}** [طه]، يأمرهما كما تسمع بالرفق به والحرص على إيمانه وخشيته وتذكيره.

وزعم عبدالله بن يزيد البغداذي ومن قال بقوله من إخوانه المجبرة أن هذا القول على قود قولهم كان على المخادعة وغير الصحة ولم يكن على الحقيقة، ولم يكن من الله عز وجل على ثقة من القول ولا عدل، وإنما كان على طريق الطنز والاستهزاء والأمر الذي لا يريد أن يكون له حقيقة لأنه أرسلهما عليهما السلام إليه بهذا القول وقد علم أنه لا يقدر على إجابتهما ولا اتباعهما زعمتم فأرسلهما في العبث واللعب وترك الحكمة والعدل بغير إيجاب حجة ولا إبلاغ في عذر ولا على أن يعذب بعد استحقاق وكمال حجة وإرسال نبيين أنيسين بالقول اللين والرفق والفعال الحسن الجميل والدعاء إلى الخروج من الكفر، فخلده في العذاب المقيم زعمتم على غير جرم ولا حجة لزمته على قول المجبرة.

فإن قال قائل منهم: إنا نشنع عليهم ونقول عليهم خلاف ما قالوا.

قلنا له: أليس هذا كتاب عبدالله بن يزيد البغداذي أقرب الحجج للذي كتابنا هذا جوابه، يقول فيه: إن الله عز وجل أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين وكرر ذلك في كتابه مراراً واحتج علينا به، فإن الذي حال بين الكفار وبين الإيمان علم الله زعم لأنه لم يرد أن يكون منهم خلاف ما علم مع قوله إن الله عز وجل خلق أفعالهم وأرادها وقدرها وقضاها عليهم ؛ فالويل له ولمن قال بقوله ما جوابه لمن سأله فقال: أخبرونا عن

قول الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، هل تقر أن هذه الآية في القرآن ؟

فإن قال: لا ؛ كفر.

وإن قال: نعم.

قلنا له: فما معنى هذه الآية ؟ فهي قائمة بنفسها شاهدة لنا على من خالفنا بأن الله عز وجل أراد أن يكون الدين كله له إرادة أمر لا إرادة جبر وقسر، بل أراد أن يكون ذلك طوعاً من أنفسهم لأنه لو أراد القهر والجبر لم يُغلَب ولم يكن في الأرض إلا ما أراد ولا في السماء، وإذا كان الدين كله لله عز وجل لم يبق في الأرض كافر واحد وفي ذلك بطلان قولكم إن الله عز وجل أراد الكفر من الكافرين.

ويلزمك أيضاً في دعواك أنه أراد الكفر من الكفار زعمت أن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه بقتال الناس حتى يزول ما علم، وكذلك يزول ما أراد من الكفر.

فإن قلت: إن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه بقتالهم حتى يزول ما علم من كفرهم ؛ رجعت عن قولك وبطلت دعواك، ولزمتك التوبة من فريتك، وصرت إلى قولنا بالعدل وبان جهلك لأصحابك وغيرهم.

وإن قلت: إنه لم يأمر نبيه صلى الله عليه بقتالهم حتى يزول ما علم من كفرهم.

قلنا لك: فما معنى قوله: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، والفتنة في غير موضع من القرآن: الكفر خاصة، معروف ذلك في كتاب الوجوه، فلا تجد حجة تلجأ إليها، ولا وزراً تأوي إليه إلا الكفر بالآية والتكذيب لها أو الرجوع إلى قولنا اضطراراً وقهراً إن الله أمر نبيه صلى الله عليه بقتال الناس حتى يكون الدين كله لله عز وجل ويخرجوا مما علم من كفرهم وظلمهم وجورهم وشركهم وعدوانهم وجميع معاصيهم التي كرهها الله عز وجل وحرمها عليهم فيخرجوا من قبيح ما علم إلى أحسن ما علم، وهذا هو دين الله جل ثناؤه الذي بعث به المرسلين وجاءتهم به الملائكة المقربون.

لا بد لك مما قلنا ؛ إما الكفر بالآية والجحدان لها، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل لا جورك وجبرك الذي سميته عدلاً، عز الله عن ذلك، وعند ذلك تفتضح ويتبين خطؤك وفريتك وخديعتك لأصحابك.

ومن الدليل على تصديق قولنا أيضاً: قول الله عز وجل يحتج لنفسه على الكفار ويتبرأ من عظيم فعلهم وأنه لم يأخذهم بالعذاب إلا بعد الحجة القاطعة والإبلاغ في العذر والإصرار منهم على المعاصي فقال عز وجل: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى(134)}** [طه]، أهذا ويحك قول من أراد كفرهم أو قضى المعاصي عليهم ؟

أفلا تراه كيف لم يهلكهم إلا بعد الإعذار والإنذار وقيام الحجة البالغة ؟

وشاهد ذلك: قوله عز وجل أصدق شاهد وأصح حاكم بيننا وبينك: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، وقوله جل ثناؤه: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117)}** [هود]، وقوله عز وجل:**{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، وقوله: **{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(81)}** [البقرة]، وقوله جل ثناؤه: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40)}** [العنكبوت].

فأي ظلم، أو أي جور أعظم من أنه أخرجهم من العدم إلى الوجود ثم أراد زعمت أن يكفر به بعضهم وأن يؤمن به بعضهم على غير حجة ولا أمر لزمهم به العذاب ولا وجب للمؤمنين به الثواب؟

وإلا فأوجدونا حجة لزمتهم بها حجة هو خلي أو بريء من مشاركتهم فيها ونسلم لك، لا تجد والله ذلك أبداً، إلا أن تجد الحيتان في قعر الرمل، والضباب في لجة البحر، وهذا غاية المحال، والحمد لله رب العالمين.

فهذا جواب ما ادعيت في قول الله عز وجل في آية الزخرف: **{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا**

يَظْهَرُونَ(33)} [الزخرف]، ألا ترى كيف قال عز وجل في آخر القول: **{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(36)}** [الزخرف]، فتراه الذي عشا عن ذكر الرحمن بإعشائه لنفسه واتباعه لهواه.

ثم قال عز وجل: **{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ(37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ(38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(39)}**[الزخرف]، وهذه الصفة فقد أصابتك، ومن قَبِلَ عنك فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ألا ترى كيف هذا القول يوجب عليهم الظلم ويوجب براءة الله عز وجل من أفعالهم كلها لما ينسب إليهم من ظلمهم ولا ينسب شيئاً منه إلى نفسه جل عن ذلك ربنا وتعالى علواً كبيراً.

وأما التقييض الذي ذكر عز وجل وما كان مثله في جميع القرآن فإنما هو عقوبة بعد استحقاق لا عقوبة بلا جرم، ولو كان ذلك لم يصح قوله عز وجل: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، وقوله: **{لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(17)}** [غافر]، وقوله: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف:29]، أتخيير ذلك ؟ أم وعيد من الله ؟

فإن قالوا: تخيير.

فقل: هل سمعتم الله خير قوماً قط ثم عنفهم أن يأخذوا ببعض ما خيرهم الله ؟ أليس إنما يقع التخيير في كلام العرب أن المخير ليس بمذنب إذا اختار، ذلك في كتاب الله قوله: **{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ}**[الأحزاب:51]، فهو إن أرجى أو آوى فلا ذنب عليه ولا تباعة، وقوله: **{فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(39)}** [ص]، فهو إن من أو أمسك فليس مذنباً ولا حساب عليه، فهكذا خيرهم الله.

فإن قالوا: نعم، فهم إن أخذوا بالشرك بالله فلا ذنب عليهم ولا تباعة لأنهم إنما اختاروا ما جعل الله لهم فيه الخيار.

وإن قالوا: ذلك وعيد من الله لهم كقولك افعل أما والله لئن فعلت لتعلمن، وكقول الله سبحانه: **{قُلِ اسْتَهْزِئُوا}** [التوبة:64]، فقد قالوا فيه بالعدل وذلك ما عابوا عليك قد أعطوكه.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: أما سؤالك عن قول الله عز وجل: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف:29]، ثم بلغت إلى هاهنا ثم وقفت عن آخر الكلام الذي فيه الشرط الذي شرط الله عز وجل فلم تذكره حيث قال عز وجل: **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)}** [الكهف]، فنقول لك: إن الله تبارك وتعالى لما بعث رسله وأنزل عليهم كتبه بالأمر والنهي والفرائض والترك للشرك وجميع الظلم ووعد الجنة من أطاعه وأوعد النار من عصاه، وأحكم ذلك كله ووكده في كتبه وعلى ألسنة رسله صلى الله عليهم، وقال: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}**[الذاريات]، فلما أكد ذلك الأمر كله بالحكمة البالغة وجب أن يعلمهم عز وجل أنه غير جابر لهم ولا قاسر على طاعة ولا معصية وأنهم مخيرون بعد الشرط الذي اشترط عليهم لئلا تكون لهم عليه حجة.

وتصديق ذلك قوله: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165]، وهذا تخيير بعد شرط مشروط ولا محيص عنه وليس هو على ما ذهبت إليه أن تخيير لا شرط فيه.

وقلت إنه يجوز في لغة العرب أن المخير في الشيء لا يلزمه ذنب ولا عليه تبعة، ولعمر الله ما يجوز ذلك في لغة العرب ولا في عقولها ولا تعارفها إلا أن يكون فيه شرط ؛ فإن العرب تعرف في عقولها ولغاتها أن رجلاً لو قال لرجل أنا أهب لك أحد فرسي هذين أو أحد

سيفيّ هذين على أن تخرج إلى البصرة وتأتي منها برطب أزاذ في الشتاء، كان هذا التخيير في الفرسين والسيفين يجوز على إنفاذ الشرط.

فأما لو قال: أنا أهب لك أحد الفرسين أو أحد السيفين تختاره ولم يذكر شرطاً ولم يشترط عليه شيئاً لم يكن عليه ذنب فيما اختار ولا تبعة ولا لوم ولا تعنيف، وإنما وقع اللوم والتعنيف والمطالبة على من عصى الله عز وجل من جميع العصاة لأجل الشرط الذي شرط عليهم والفرائض التي افترضها عز وجل ووضعها وأوجب لهم على أدائها الجنة وعلى تركها النار بالحكمة والموعظة الحسنة وطرح الجبر والقهر والقسر ومعرفة كل بما يأتي وما يذر مما يصلحه أو يهلكه والإقرار بالعلم.

ومما يعرف في تصديق حجتنا في التخيير في لغة العرب التي ادعيت لجهلك باللغة قول الشاعر يخير قوماً في الحرب أو الكف عن الحرب فقال:

فأطلقنا أُسارَاهـمْ فراحوا | وكانوا في المنازل مُكرَمينَا
وقلنا ثُمَّ وَعَّزْنا إليهم | إذا أنتم بلغتم سالمينا
فإن شئتم فزورونا نزركم | وإن شئتم فَقَرُّوا راغمينا

فجعل الخيرة إليهم إن شاءوا رجعوا إلى الحرب والقتل والأسر، وإن شاءوا قروا في مواضعهم راغمين، وهذا تخيير بلا شرط فهذا الصحيح في لغة العرب أنه تخيير لا شرط فيه، وأما التخيير بعد الشرط المؤكد فهو قول الشاعر:

أقول لقيسٍ بعدما [قد] دلَلْتُهُ | على خُطَّةِ الرشد التي لا تُعَنَّفُ
إذا شئتَ أن تمضي على ما شرطتُهُ | فَعلْتَ وإلا فالظَّلُومُ الموَقَّفُ

فهذا تخيير فيه شرط مشروط.

وهذا شاهد لنا من لغة العرب التي احتججت علينا بها إذ لا تعرف اللغة، ولو عرفت اللغة لم تقل بالجبر لأن اللغة تكذب قولك وتصدق قولنا، كلا هذين الشاهدين من اللغة يوجب ما قلنا ويبطل ما قلت.

ثم نقول لك: وكذلك يلزمك فيما احتججت علينا فقلت إنه يجب علينا أن يقال لنا: هل سمعتم الله خير قوماً ثم عنفهم إن يأخذوا ببعض ما خيرهم الله، ثم قلت: أليس إنما يقع التخيير في كلام العرب أن المخير ليس بمذنب إذا اختار ؟

وقولنا لك: إنا نقول: معاذ الله وحاش لله ما على المخير ذنب إذا اختار ما قيل له وكان ذلك التخيير بلا شرط قبله يلزمه فيه حجة، ولو خيرهم الله عز وجل فاختاروا أحد وجهين بلا شرط شرطه عليهم ثم عذبهم على ذلك لكان ظالماً لهم، ولخرج من صفة الحكمة والعدل والحق ولفسد التخيير.

ثم نقول لك: وكذلك يلزمك لنا أيضاً أن نسألك فنقول لك: هل سمعت أنت وأصحابك المجبرة في كلام العرب أن عادلاً حكيماً لا يجوز ولا يظلم ولا يعبث ولا يخرج فعله من العقول أمر قوماً قط بأمر لا يقدرون على بلوغه أن يبلغوه ؟ أو هل يجوز لمن هذه صفته أن يقدّر على قوم تقديراً أو يريد منهم أن يفعلوه أو يقضيه عليهم ويخلقه من فعلهم فإذا فعلوه وصاروا إلى مراد غضب عليهم وأنكر فعلهم وسخط قولهم وصنعهم وكادت جباله أن تخر هداً وأرضه أن تنشق غضباً وسماواته أن تنفطر إنكاراً أن دعوا له ولداً قدّر عليهم تلك الدعوى وأرادها من فعلهم وخلقها في ألسنتهم وقضاها عليهم ثم قال بعدما خلقها في ألسنتهم زعمت المجبرة وقضاها عليهم وقدرها وأرادها: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(74)}** [المائدة].

فنقول لك: أخبرنا عن قوله عز وجل: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**} ما معنى هذه الآية؟

فلا تجد بداً أن تقول: إن الله عز وجل ندبهم إلى التوبة والاستغفار وعاب عليهم التقصير في ذلك، وإن لم تقل هذا كفرت بالقرآن.

فإذا قلت ذلك ؛ قلنا لك: أفليس قد علم أنهم لا يفعلون ؟

فإن قلت: بلى قد علم أنهم لا يفعلون.

قلنا لك: فما معنى قوله عز وجل: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(74)**} ثم قال هذا القول وقد علم أنهم لا يتوبون ؟

فإن قلت: إنه قول ليس له معنى ؛ لزمك أن الله عز وجل يقول قولاً ليس له معنى فصار قوله من العبث والنقص إلى مثل قول أهل العبث والنقص ولزمك الكفر بهذا القول.

وإن قلت: إن له معنى.

قلنا لك: فما ذلك المعنى الذي لامهم على ترك التوبة فيه وحضهم على التوبة والاستغفار من قولهم بأنه ثالث ثلاثة وأخبرهم أنه غفور رحيم إن تابوا ؟

فلا تجد حجة من جميع الحجج تلجأ إليها إلا أن تقر أنه ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وأنه يغفر لهم ذلك إن رجعوا عنه وتابوا واستغفروه، وهذا هو الحق وهو قولنا، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك، وأن علم الله عز وجل بكفرهم ليس لهم فيه حجة على الله عز وجل ولا عذر من التوبة وأنهم يقدرون على التوبة حتى لا يعلم الله عز وجل منهم شركاً ولا كفراً ولا قولاً إنه ثالث ثلاثة لأن علم الله عز وجل هو المحيط بكل شيء فما فعلوه من كفر أو إيمان فالله عز وجل يعلمه وفيهم الاستطاعة إلى فعل ما أرادوا، لو أرادوا لم يعلم الله منهم الكفر.

وشاهد ذلك القوي الواضح قوله عز وجل: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(74)**} يوجب عز وجل على نفسه كما تسمع أنهم إن رجعوا عن قولهم إنه ثالث ثلاثة أنه يغفر ذلك لهم، ألا تراه كيف يحضهم على التوبة والاستغفار ولم يذكر لهم ما علم لأن علمه ليس بمانع لهم عن الوبة.

ولو كان قوله: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(74)**} على قود قولكم أنه قد علم أنهم لا يؤمنون فعلمه بذلك هو الذي حال بينهم وبين التوبة ؛ لوجب أنه مستهزئ بهم وأنه يقول من الشرط المؤكد ما ليس له حقيقة ولا تمام، وهذا أقبح ما يكون من الكفر بالله عز وجل وأعظم الفرية عليه وأشد التكذيب لكتابه عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

ثم قال الله سبحانه ...: {**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا(1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا(4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5)**} [الكهف]، فاسمع إلى هذا الموضع من سورة الكهف ما فيه عليك من الحجج القواطع في جميع ما افتريت على الله عز وجل.

أما واحدة فرد عليك في قولك جعل بعض الناس مؤمنين وبعضهم كافرين، أفلا تسمع إلى قوله عز وجل: {**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ**}، فنسب عمل الصالحات إليهم وبذلك وجب لهم الأجر الماكثون فيه أبداً غير مجبورين ولا مقسورين، ولا مخلوقة أفعالهم.

ثم وصف الكتاب الذي أنزل فقال: {**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا(1) قَيِّمًا**} والذي ليس فيه عوج يوجب أنه لا ظلم فيه ولا جور ولا جبر على طاعة ولا معصية ولا خلق فعل متعبد من الناس ؛ إذاً للزمه أشد العوج والتخليط إذا عاقب على فعله وغضب من إرادته وانهدّت سماواته وأرضه وجباله وأمر بما يعلم أن أحداً لا يقدر عليه فأي عوج أوضح من هذا العوج ؟ أو أي جور أبين من هذا الجور ؟ وأي ظلم أشد من هذا الظلم ؟!

ثم قال: {**قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ**} والقيم هو الذي لا عيب فيه ولا ظلم، ولا تباعة لمعتل اعتل فيه بحجة، ولو كان في كتاب الله عز وجل علقة أو تباعة لمعتل اعتل فيه

بحجة واحدة تثبت الجبر له لا غيرها لبطل كله ؛ لأن الحق لا باطل فيه بمقياس رأس الشعرة ولا أقل منه ولا أكثر، الحق أشرف شرفاً وأقوى دعائم وأعز سلطاناً، وأوضح برهاناً، وأمنع أركاناً من أن يوجد فيه مدخل لداخل أو علة لمعتل أو حجة لمفسد ؛ كيف وهو عز وجل يقول: **{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)}** [فصلت].

ثم قال عز وجل: **{إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5)}** [الكهف]؛ فنقول لك: خبرنا عن هذا الكذب الذي عنى الله في هذه الآية ؛ أالله الذي خلقه وأراده وقدره وقضاه ؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: فلِمَ استعظم ما خلق من الكذب وأراده وقدره وقضاه وهو فعلٌ فعله لا فعلُ الكفار ؟ لم تجد لهذا القول أمراً تدفعنا به، ولزمك أنه غضب من فعله، فأخرجته من العدل والحكمة لأن الحكيم لا يعيب فعله ولا يعاقب عليه ولا يغضب منه.

وإن قلت: هو فعلهم ؛ رجعت عن قولك، ومهما قلت لزمتك فيه الغلبة وانقطاع الحجة.

وإن قلت: فعلٌ من فاعلين ؛ لزمك أنه غضب من نصف فعله وقبّحه وأنكره وليس هذا فعل حكيم.

واعلم علماً يقيناً أنه لو كان للمجبرة في كتاب الله عز وجل واحدة توجب لهم علة يقهروننا بها لبطل كله لأنه لو كان بعضه باطلاً يلزم الخصوم فيه الحجة التي لا يجدون لها دفعاً وبعضه حقاً لم يكن ذلك لله عز وجل بحجة على خلقه يوجب بتلك الحجة الخلود في الجنة والخلود في النار، فالقرآن مبرأ من كل عيب ومن كل جبر ومن كل ظلم، ومن كل تناقض واختلاف.

وأما ما قال عبدالله بن يزيد البغداذي ومن قال بقوله من المجبرة من أن الله عز وجل خلق أفعال العباد وقدرها وقضاها وأرادها وأنه علم أن الكفار لا يؤمنون فلم يرد منهم غير ما علم زعموا ؛ فإن ذلك القول كله الذي ادعته المجبرة يوجب للكفار على الله عز وجل

أعظم الحجة بأنه عذبهم في أمرٍ حال بينهم وبينه وقضاه وقدره وأراده منهم، فما يكون العدوان إن لم يكن هذا عدواناً.

وما الفرق بين الحق والباطل ؟ وأين موضع كفر الكافرين ؟ ميزوه لنا حتى يتميز من فعل رب العالمين ؛ فإن ميزتموه قامت على الكفار الحجة ووجب العذاب، وإن لم تميزوه ولم تفردوه من فعل الله عز وجل فحجة الكفار قائمة واضحة على الله جل ثناؤه وتعالى عما قلتم علواً كبيراً.

ألا ترى كيف قال لهم: **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(47)}** [المدثر].

ثم قال في موضع آخر: **{فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ(11)}** [الملك]، ولم يقل أهل النار على الله عز وجل بعد أن صاروا إليها كما قالت المجبرة: إن الله قدر فعلنا ولا قضاه علينا ولا جبرنا ولا خلق أفعالنا.

وأما قولك في أزواج النبي صلى الله عليه، وما خيّره الله جل ثناؤه من إرجاء من شاء منهن وإيواء من شاء ؛ فذلك تخيير صحيح، أي الفعلين فعله النبي صلوات الله عليه وعلى آله لم يكن عليه فيه ذنب ولا تباعة ؛ لأنه تخيير بلا شرط قبله.

وتخيير الناس في الدين الذي اعتللت به إنما هو بعد إحكام الشرط وبعد الوعيد الذي أخبرهم الله عز وجل أنهم إن لم يأتوا بالفرائض على وجهها أن ذلك الوعيد لازم لهم، ثم قال لهم: إن شئتم الآن فآمنوا وإن شئتم فاكفروا، فقد تقدمت إليكم عاقبة الكفار.

وشاهد ذلك: قوله عز وجل لهم يوم القيامة: **{لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ(28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(29)}** [ق]، وقوله: **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}** [الكهف:29]، وقوله: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(61)}** [يس].

فنقول لك: ما تقول في هذه الآيات ؛ هل صدق الله جل ثناؤه فيها أنه قد تقدم إليهم بالوعيد ؟ وأنه غير جابر لهم على ظلم ؟

فإن قلت: نعم قد صدق.

قلنا لك: فأين قولك في هذه المسألة إنا قد قلنا معك بالجبر الذي سميته عدلاً، وإنا قد أعطيناك ما عبنا عليك زعمت.

وأما قوله عز وجل الذي اعتللت به: **{هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(39)}** [ص]، فهو تخيير في نعمة أنعمها عليه بلا شرط في ذلك التخيير، وهو قوله: **{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}** [البقرة:105]، وليس هذا بنظير لقوله عز وجل: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف:29]، ألا ترى كيف قال بعد التخيير: **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)}** [الكهف]، أفلا ترى أيها المهلك لنفسه ولمن تبعه إلى قوله: {**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**}، فلم سماهم ظالمين إن كنت صادقاً ؟ وأين موضع ظلمهم الذي ألزمهم فيه النار المحيط بهم سرادقها ؟ وبأي حجة ألزمهم الشراب الذي كالمهل يشوي الوجوه وسوء المرتفق ؟

فلا بد لك أن تقول: إنه فعله منفرداً به دونهم ؛ فتُلزمه أنه سماهم ظالمين ولم يظلموا، فتخرجه من الحكمة والعدل، وأنه أوجب لهم النار المحيط بهم سرادقها، والماء الذي كالمهل الذي يشوي الوجوه، ظلماً على غير أمر فعلوه، فتكذّبه وتنقض قرآنه، وتُبطل حجته، وتقوم بعذر جميع من عانده.

وإن قلت: بل له بعض فعلهم، ولهم بعضه على قولكم فعل من فاعلين، فيصيرون بذلك على قولك شركاء لله جل ثناؤه في فعله ولزمك الشرك لأن من قولك إنه خلق أفعالهم وقدرها وقضاها وأرادها ثم سماهم ظالمين وهو شريكهم في ذلك الظلم الذي عابه عليهم وأعد لهم عليه النار وهم شركاؤه الذين أدخلهم في فعله وقدره عليهم وأراده منهم وقضاه

عليهم، وقد علم أنهم لا يقدرون على إبطال قضائه وقدره ؛ لأنه حال بينهم وبين إنفاذ أمره حتى لا يبطل علمه زعمت.

وهذا هو الشرك الأكبر والكفر الأعظم والتعطيل الأجل والبراءة من الإسلام، واليهود والنصارى وعبدة الأصنام أحسن حالاً ممن قال بهذا القول واعتقده ديناً وعلّمه الناس ودعا إليه ووضع فيه الكتب بالرد على أهل العدل.

وإن قلت إنك لا تقول بواحد من القولين: لا أنه منفرد بالفعل دون العباد، ولا أنه فَعَلَ بعض أفعالهم، ولا [أنه] حال بينهم وبين أمر دعاهم إلى دخول فيه وعلم أنهم لا يفعلونه ولم يرد أن يكون منهم غير ما يعلم.

فإن رجعت عن هذا كله لزمك أنك كنت مقيماً على الكفر والشرك متمسكاً بالإسلام وأنك لم تكن بمسلم، ولكنه من عدم الجوهر تمسّك بالزجاج الأخضر وأنك قد أهلكت جميع من أخذ بقولك وتعلم منك ودان بدينك، ورجعت إلى قولنا بالعدل .

وذلك أنك تقول القول الثابت الذي هو الحق والعدل وهو دين الله عز وجل ودين ملائكته ورسله عَلَيْهِم السَّلام إن ذلك الأمر الذي أعد الله عز وجل للظالمين من النار التي أحاط بهم سرادقها والماء الذي كالمهل يشوي الوجوه في سوء المرتفق وخلود الأبد هو بما استحقوا واختاروا لأنفسهم واتبعوا فيه أهواءهم الذي ذكر الله عز وجل في كتابه حين يقول: **{فَأَمَّا مَنْ طَغَى(37) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(41)}** [النازعات].

فإن قلت بهذا القول وبرأت الله عز وجل من أفعال عباده ودخلت في الإسلام من ذي قبل فقد سلمت ونجوت، وبطل ما كنت عليه، والحمد لله رب العالمين.

ثم يجب عليك أن تستغفر الله عز وجل من التعليم الذي مضى منك إلى من مات، ومن بقي وسمع كتابنا هذا فعليه التوبة واجبة وأن يُشيع هذا الكتاب في الآفاق ليتوب من يقول بهذا القول الذي وضعتموه لأهل الجبر، وإلا فالنار فلا يعد الله إلا من ظلم وأصر على

الكفر الواضح الذي لا شك فيه، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}** [آل عمران:140]، هل أحب الله أن يستشهد أحد من خلقه ؟

فإن قالوا: نعم.

فقل: أليس إنما تكون الشهادة بأن يُقتل الرجل ؟ أفليس قد أحب الله أن يقتل لأنه قد أحب أن يستشهد والشهادة لا تكون إلا بقتلٍ من عاص ؟ أفليس قد أحب الله أن يكون إذاً المعصية ؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصية فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصي؟

فإن قالوا: لم يحب الله أن يستشهد أحد من خلقه.

فقل: أفليس قد كره الله ما صنع بحمزة بن عبدالمطلب ولم يحب ما يصنع ولا أن يستشهد أحد ممن كان مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أمر الله بما لا يحب لأنه قد أمر بالقتل وفيه الشهادة فقد أمر بما لا يحب، وقوله: {**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**} فهو لا يحب ما قال إني متخذه ومثيبكم عليه الجنة.

فإن قالوا: نعم ؛ فهو تكذيب لكتاب الله، فأبصر مواضع هذه المسائل فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: قد فهمنا ما اعتللت به من قوله الله جل ثناؤه: {**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**}، واعتقادك في ذلك أن الله عز وجل عما قلت هو الذي قتل الشهداء وسفك دماءهم وأراد ذلك من المشركين وقدره عليهم وخلق فعلهم بالمؤمنين وقضاه على الفريقين جميعاً فقتلَ أولياءه وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه صلى الله عليه بأيدي أعدائه المخالفين له والمشركين به والمحاربين له ولنبيه صلى الله عليه ولمن والاه ووالى رسوله من المؤمنين.

وهذا القول يوجب عليك أن حسن نظره ورضاه ومحبته وإرادته لظفر المشركين بأوليائه وأهل طاعته وقتل حمزة بن عبدالمطلب رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين على قولك إلا ما أراد الله عز وجل من قتلهم لأهل طاعته وأنصاره وأوليائه وصفوته، فذلك قولكم أيها المجبرة وعليه وضعت حجتك هذه علينا في اتخاذه الشهداء من المؤمنين وأنه هو الذي أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين زعمت.

ونحن نقول لك: إن إرادة الله عز وجل في قتل المؤمنين على قولك موافقة لإرادة إبليس اللعين في قتل المؤمنين لأن إبليس أراد أن يُقتل الأنبياء والمؤمنون وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين لأنهم أولياؤه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرة والحسرة على أعدائه المؤمنين لأنهم أبغض الفريقين إليه، وكذلك إرادة الله زعمتم [و] في حجتكم هذه علينا أن إبليس أحسن نظراً لأهل طاعته من الله عز وجل لأهل طاعته ؛ لأن إبليس يريد أن يكون الظفر للمشركين على المؤمنين، وإن الله عز وجل عما قلتم أراد قتل المؤمنين وسفك دمائهم وظهور المشركين عليهم وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون في قتلهم.

فبيْنَ إرادة الله عز وجل في أوليائه وأهل طاعته وأنبيائه والأئمة من عباده من زوال الأقدام وظهور الأعداء وبيْن إرادة إبليس في ثبات أقدام أوليائه وظهورهم على حزب الله عز وجل وغلبتهم للمؤمنين فرق عظيم، وهذا لازم لكم وفيه خروجكم من الإسلام، أو الرجوع إلى التوبة.

وإن إرادة إبليس قد وافقت إرادة الله زعمتم في قتل الشهداء، وإن رسول الله محمداً المصطفى صلى الله عليه مخالفةٌ إرادته لإرادة الله في قتل الشهداء لأن النبي صلى الله عليه قد أحب بقاء عمه حمزة وغمه قتله وبلغ منه وأوجع قلبه ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم جميعاً، وغمه أيضاً وبلغ منه ظفر المشركين به وبأصحابه.

إلا أن تقول إن النبي صلى الله عليه كان شامتاً فرحاً بقتل الشهداء فيوافق إبليس في فرحه بقتلهم وشماتته عليهم كما زعمت أن الله عز وجل أراد قتله، وأن يعصيه المشركون في ذلك، فاتفقت إرادة الله عز وجل وإرادة نبيه صلى الله عليه وإرادة إبليس لعنه الله، جميعاً في قتل

الشهداء والرضى به والمحبة لزوالهم من الدنيا وراحة المشركين منهم واختلال موضعهم في الإسلام وظهور المشركين على الرسول صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله على قود قولكم، وهذا أعمى العمى وأكفر الكفر ؛ لأن الصحيح في إرادة إبليس المخالفة لله ولرسوله في أن الله ورسوله لم يريدا ولم يحبا قتل المؤمنين، وأن إبليس أراد قتلهم وظهور المشركين عليهم.

ثم نقول لك يا عبدالله بن يزيد البغداذي: أخبرنا هل كانت العرب أهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة عند فصل الخطاب الذي خاطب الله عز وجل محمداً صلى الله عليه بلغتهم وقال: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4]، فهل كانت العرب والنبي صلى الله عليه وأصحابه من المهاجرين والأنصار رحمة الله عليهم يسمون حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه سيد الشهداء قبل أن يقتله المشركون في يوم أحد ؟

فإن قلت: نعم.

أكذبك جميع أهل الإسلام، وعلموا أنك قلت غير الحق، وشهدوا لنا عليك جميعاً بأنك افتريت الباطل وما لا يُعرف في الإسلام.

وإن قلت: إن النبي صلى الله عليه، وأصحابه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان إنما سموا حمزة رضوان الله عليه سيد الشهداء بعدما استشهد في يوم أحد هو وأصحابه ؛ لزمك أن الله عز وجل إنما اتخذ الشهداء بعدما قتلهم المشركون لا أنه سلط عليهم أعداءه المشركين حتى قتلوهم وأدخلوا بقتلهم الوهن على نبيه صلى الله عليه عز عن ذلك الواحد القهار العدل الذي لا يجوز ولا يقضي بالفساد ولا يرضى لأوليائه وأهل طاعته إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم، وأن تكون لهم العافية والغلبة والظهور والرئاسة، هذه إرادة الله عز وجل في أهل طاعته وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه وهو عز وجل الذي حرم دماءهم غاية التحريم وأكد في قتلهم غاية التأكيد.

وهذا القرآن أكبر شاهد لنا، وأفلج حجيج، قال الله عز وجل: **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا(93)}** [النساء]، فبلغنا أن عبدالله بن العباس رحمة الله عليه قال: لما نزلت هذه الآية ما كاد الله عز وجل أن يقلع عنه يعني القاتل مع قوله عز وجل: **{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا}** [الإسراء:33]، فسماه مظلوماً وجعل لوليه الحكم والحجة.

ولو كان الله عز وجل في قتل المؤمنين سبّب سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها لم يسم المقتول مظلوماً فيكون الله عز وجل قد دخل في ذلك الظلم وعاب ما فعل وزرى فيما نهى عن فعله، عز وجل عن ذلك العدل الذي لا يجور ولا يفعل إلا الحكمة، ولا يريد الباطل ولا يقضي بالفساد، ولا يخلق الكفر، ولا يقتل الأولياء بأيدي الأعداء، ولا يُظفر عليهم الأشقياء، ولا يعذب على ما صنع، ولا يؤاخذ بما قدر، ولا يعيب ما خلق ولا يضطر إلى ما علم، ولا يوجب النار على أمر هو فعله، ولا يغضب مما أدخل فيه وحمل عليه وقدّره، قدوس قدوس رب الملائكة والروح، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

ثم قال عز وجل: **{مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}** [المائدة:32]، أفهذا أيها المهلك لنفسه والمفتري على خالقه قول من أراد قتل أوليائه بأيدي أعدائه، **{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(30)}** [التوبة].

فاتخاذ الله للشهداء إنما هو بعد قتلهم لا قبله جزاءً بما نالهم في جنبه وتشريفاً لهم وتفضيلاً بما وفوا به من الشراء الذي باعوا فيه أنفسهم وأموالهم رحمة الله عليهم ورضوانه.

وإنما اتخذ الله جل ثناؤه شهداء من المؤمنين لما قُتلوا في سبيله مجاهدين للكفار ناصرين للحق دافعين عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله راغبين في الثواب مستبشرين بالبيع الذي قال الله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)} [التوبة].

فأخبرهم عز وجل أن لهم الجنة والملك الذي لا يزول على أن يقاتلوا دون الإسلام أعداء الله المشركين فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله عز وجل الخلود في نار جهنم الأبد الأبيد بما عصوا الله ورسوله وكذبوهما واتبعوا أهواءهم في ذلك وجعلوا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ؛ إذ لم يحملهم الله عز وجل على قتل أوليائه ولم يرده منهم ولم يقضه عليهم ولم يقدّره من فعلهم ولم يخلقه فيهم؛ بل قال جل ثناؤه: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}**[العنكبوت:17]، وقال: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)}** [النساء].

فأخبرنا عز وجل كيف إرادته، وكيف العدل فيها، وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها مع قوله: **{أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}** [التوبة:3]، وليس براءته إلا من فعلهم، وقد فسرناه في صدر كتابنا هذا.

فالله عز وجل إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم لا قبله، أي سماهم وحكم لهم أنهم شهداء تجب لهم الجنة ؛ فأما أن يكون جبراً وقسراً، أو أراد من أعدائه المشركين قتل أوليائه المؤمنين ؛ فحاشاه وتقدس عما قلتم.

والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة فيه قوله تبارك وتعالى: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، فأوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولا فتنة ويكون الدين كله لله عز وجل ولا يبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة في أرضه وأراد أن يبقى دينه الذي ارتضاه لنفسه وفي هذا أكبر الدليل وأبين الحجة على أنه لم يرد قتل أوليائه ولا ظفر المشركين بهم لأنه لو أراد قتل أوليائه فبمن إذاً يقتل أنبياؤه أعداءه {**حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**} ؟

فيلزمك أنه إذا لم تكن فتنة وكان الدين كله لله عز وجل على ما فرض لم يبق على وجه الأرض فتنة ولا مشرك يقتل المؤمنين وعباد الله الصالحين، فهذا يوجب عليك أنك قد أبطلت وأخطأت في قولك إنه عز وجل أراد قتل أوليائه لأنه لو أراد قتلهم لم يُفنِ عنهم أعداءهم بالقتال الذي افترض على النبي صلى الله عليه والمؤمنين تخييراً لا جبراً حتى تكون لهم العافية والملك والسلامة من القتل وفي هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق، وتاب عن الفرية على الله جل ثناؤه.

وإن قلت: إن الله عز وجل لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين، ولم يقضه على المشركين ؛ رجعت عن قولك وصرت إلى قولنا بالعدل، وذلك هو الحق، ولا نعلم لك مخرجاً من هذه الحجج، وفيها بطلان حجتك في قولك: إن الله عز وجل اتخذ الشهداء بإرادته لمعصية الأعداء، وهذا أعظم الفرية على الله جل ثناؤه مع آيات كثيرة تشهد لنا عليك مثل قوله عز وجل: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}** [الأنفال:60]، وفي هذه الآية حجة عليك أيضاً في أن الاستطاعة قبل الفعل لأن إعداد القوة ورباط الخيل إنما يكون قبل القتال لا مع القتال وهذا يبطل قولكم إن الاستطاعة مع الفعل لا قبله.

وقوله عز وجل في التحريض على قتال المشركين وإرادته لفنائهم وبقاء المؤمنين من بعدهم وسلامتهم: **{لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا(84)}** [النساء]، وقوله: **{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}** [التوبة:5]، كل ذلك يدل على أنه يريد قتل المشركين وحقن دماء المؤمنين لا ما قالت المجبرة الكاذبة على الله عز وجل إنه أراد قتل الشهداء والأولياء، وظفر المشركين والكفار والأعداء.

فإن كان الله عز وجل أراد قتل حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله عليه ورحمته يوم أحد، وأراد قتل أبي جهل بن هشام لعنة الله عليه وغضبه يوم بدر ؛ فما الفرق بين الإرادتين ؟ وما الفصل بين الحكمين ؟ وأين الحق والعدل في هذين المعنيين ؟

فالله زعمتم أراد قتل حمزة بن عبدالمطلب وسماه مطيعاً وحكم له بالجنة، وأراد قتل أبي جهل بن هشام وسماه عاصياً وحكم عليه بالنار ؛ لأنكم زعمتم أن الله عز وجل أراد أن يكون بعض الخلق مؤمنين وبعضهم كافرين بلا استحقاق من واحد من الفريقين زعمتم.

ثم قال في كتابه للكفار: **{لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(7)}** [التحريم]، ويحك فأخبرنا ماذا عملوا ؟! وإنما بإرادة الله قتلوا وبإرادته دخلوا النار!! جل الله عما قلتم.

ثم وصف المؤمنين، فقال: **{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ(4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ(5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ(6)}** [محمد]، وهو زعمتم الذي أراد قتلهم وبإرادته قتلوا وبإرادته دخلوا الجنة لا بعمل زعمتم في قود قولكم لأنه زعمتم جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين، ثم قال لهؤلاء: جزاء بما كنتم تعملون، ولهؤلاء: جزاء بما كنتم تعملون، ولم يقل ما قالت المجبرة من أن ذلك الجزاء كله كان بإرادته لا باستحقاق، وكان من فعل الفريقين ولا أنه دخل فيه بمقياس ذرة فما دونها.

أفَتَرى أيها المفتري أن البهائم لو علمت واحتُجّ عليها بدون هذه الحجج هل كانت تستجيز أن تقول مثل قول المجبرة المفترية على الله الزور والبهتان، وهؤلاء المجبرة المفترون على الله جل ثناؤه يسمعون القرآن يتلى عليهم في كل يوم ويحتج به أهل العدل في رد دعواهم، وهم مع ذلك يُصرون ويستكبرون على الجهل والتعامي عن الحق.

وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من خالفه، ولو كان في القرآن آية واحدة توجب لهم علينا حجة أو تقطع لنا مقالة لا نقدر لها على جواب لفسد جميع العدل ولم تقم لأهله حجة، وإنما تعلقوا بآيات متشابهات لم يعرفوا معانيها، وقلدوا كبراءهم ما غرّوهم به في تأويلها مع جهلهم باللغة العربية وتصرفها في القرآن وجهلوا التأويل الموروث عن أهل بيت النبوة عَلَيْهم السَّلام وأبغضوا الحق وأهله ونصبوا لهم العداوة وتعاموا عن قوله عز

وجل: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(33)}** [الأحزاب]، والمطهَّر من الرجس لا يكون في دينه زلل، ولا في قوله ميل، ولا في تأويله للقرآن خطل.

فلم يكن عز وجل ليطهر من يكذب عليه ويكون من عانده أولى بالحق منه وهو عز وجل أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم أن أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه و[بغير] الأمر الذي زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون من قولهم بالعدل والتوحيد، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة ما أذهب الله عز وجل الرجس عمن يعلم أنه يكذب عليه ويعتقد غير دينه الذي ارتضاه، وإذاً لم يطهرهم تطهيراً وهو يعلم أن في الأمة من هو أبصر منهم بالدين وأقوم بالحق وأقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق، ثم يصطفي أهل البيت دونهم ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة وهو يعلم أن في أمة محمد صلى الله عليه من هو خير منهم. ثم طهرهم وأذهب عنهم الرجس وفي الأرض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل ولا مفضل لأهل الفضل ولا معرف بقدر مستحق ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذي قال عز وجل: **{وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(56)}** [يوسف]، وقال: **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}** [القصص:68]، وقال: **{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ}** [إبراهيم:27]، أي سماهم ضلالاً بفعلهم وظلمهم لا أنه أضلهم جبراً وقسراً، وقال: **{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [الزمر:9].

فالواجب عليه عز وجل إذا كان الخلق لا يستوون عنده أن جعل التطهرة وإذهاب الرجس للفرقة التي هي أقوم بدينه وأعرف بحقه وأقوم بطاعته وأعلم بكتابه وأحكم بسنته، وأقوم بعدله وتوحيده وإثبات وعده ووعيده وأولى أن تثبت بالقول الثابت في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

فلما علمنا أن ربنا عز وجل قد طهّر أهل بيت نبينا صلى الله عليه في كتابه وأذهب عنهم الرجس وذلك للسابقين منهم بالخيرات دون غيرهم علمنا أنهم أهل الحق وأهل العلم بالدين والقَوَمة بالكتاب والحكام على الناس وأن من خالفهم هو المبطل الهالك لأن الله عز وجل أكرم وأعدل وأحكم من أن يذهب الرجس ويطهر من الدرن والعيوب من يكذب عليه ويخالف كتابه ورسوله صلى الله عليه، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم.

فقد صح وثبت والحمد لله أن الحق والدين الصحيح والمذهب المرضي مع القوم المطهرين في القرآن المذْهَب عنهم الرجس، وأن الباطل والضلال والجبر والتشبيه والخطأ والفساد مع القوم الذين عاندوهم ولم يُطهَّرُوا في القرآن، ولم يُذهَب عنهم الرجس ؛ فوجب أن الحق المحق مع القوم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومن قال بقولهم على الحقيقة ؛ لأن الله عز وجل لا يغلط ولا يخطئ ولا يجور، ولا يضع الصفوة في غير أهلها ولا يعطي الحجج القاهرة من يكذب عليه، كما لا يجوز أن يعطي الله عز وجل المعجزات من يكذب عليه ممن يدعي النبوة وليس بنبي، ويدعي له العوام وجهال الناس ذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخير الذي سأل الله في زعمهم فأرسل معه النيل يسير إذا سار ويقف إذا وقف.

ولو جاز أن يكون هذا حقاً لم يكن بين معجزة فرعون وبين معجزة موسى عَلَيْه السَّلام فرق تجب به نبوة موسى صلوات الله عليه من إلقائه العصا وفلق البحر وغير ذلك من الآيات.

فافهم هذا أنت يا عبدالله بن عمر أكرم الله وجهك. أعني ولينا عبدالله بن عمر أكرمه الله.، واعلم يا أبا محمد أكرمك الله أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبدالله بن يزيد البغداذي ليوقفوك أن معهم الحجج في إثبات الجبر ما لا يقدر له أحد على نقض ولا رد جواب، فقد أتاك من حجج الله وتصديق كتابه ما فيه الشفاء لكل مسلم، والمعرفة بكذب من كذب على الله عز وجل وافترى عليه وتأول كتابه على الكفر به والإلحاد في صفته

وإقامته لعذر المشركين وجميع العاصين، وإسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد إلى رب العالمين، عز عن ذلك أكرم الأكرمين.

فأنعم النظر فيما رسمنا لك وعلّمه المسلمين وأشهره فيما قِبَلك ليعرف الناس الحق من الباطل والمحق من الكاذب إذ لا يسع غير ذلك، وحرّج على من وصل إليه كتابنا هذا كتمانَه حتى يبينه للناس، **{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا(28)}** [الفتح].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** [المائدة:13]، أليس قد جعلها قاسية ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك بأن الله جعل بعض قلوب العباد قاسية ؛ فسلهم عند ذلك فقل: خبرونا عمن جعل الله قلبه قاسياً أيكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل.

وإن قالوا: لم يجعلها الله قاسية ؛ فقد تركوا الكتاب ؛ فسلهم: أرأيتم قوله: جعلنا، هل أنزل الله هذا ؟

فإن قالوا: بلى، فقل: فإنه قال: {**جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**}.

فإن قالوا: إنما عنى بذلك جعلها قاسية بالنقض لأنه قال: **{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** [المائدة:13].

فقل لهم عند ذلك: إنا لا نبالي على أي الوجهين جعلتم كلامكم لأنه عندنا لنا فيه حجة فلا نبالي قلتم الطبع قبل النقض أو بعده، أخبرونا الآن إذ زعمتم أنه طبع بعد النقض وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذه بمعصية وأن الله لا يفعل ذلك إلا بعد النقض لأن من وصف أن الله يطبع ثم يكلف فقد وصف الله بالجور.

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع بعد النقض ؛ أكلفهم الإيمان من بعدما طبع على قلوبهم ؟ فسلهم عند ذلك عن اليهود والنصارى وجميع الكفار أليسوا ناقضين؟

فإن قالوا: بلى.

فقل: أفليس قد طبع الله على قلوبهم ؟

فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع، فقد يطبع الله على قلوب قوم ثم يكلفهم الإيمان ؟

فإن قالوا: نعم، فقد يفعل الله ذلك ؛ فهذا قولنا أجبناهم إليه.

ثم سلهم: أليس قد تزعمون أن من قال: إن الله قد كلف العباد ما لا طاقة لهم به فقد وصف الله بأنه يظلم العباد ؟

فإن قالوا: نعم.

فقل: أفليس المؤمنون حين قالوا: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** [البقرة:286]، أليس قد قالوا: ربنا لا تظلمنا ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا يظلمهم ؟ وأخبرونا عمن سأل الله أن لا يظلمه أعرف الله أم لا ؟

فإن قالوا: نعم إنه يعرف الله ؛ فقل: أفليس يعرف الله من لا يدري لعل الله سيظلمه ؛ فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به في غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يحملهم ؛ فذلك العدل قد أقروا به.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** [المائدة:13]، ونسيت العدل في ذلك ووقع عندك في اعتقادك أن الله تبارك وتعالى العدل الذي لا يجور ولا يُقسّي قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول في دينه [قد أقسى قلوبهم]، لو كان ذلك فعله عز وجل لما افترض عليهم الإسلام، ولا الاقتداء بمحمد عليه أفضل السلام، ولا جاز في عدله ولا حكمته، ولا نفي الجور والظلم عن نفسه أن يقول: **{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ}** [الزمر:22]، وهو الذي أقساها وحال بينها وبين الطاعة بالطاعة بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه عز وجل الذي أقساها لم يكن لإرساله لنبيه صلى الله عليه معنى في مجيئه إليهم ليثبت عليهم الحجة فيقول لهم: **{فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}** [آل عمران:31]، فقد أرسلني الله عز وجل إليكم لأن تدعوا قساوة القلوب وترجعوا إلى الإيمان بالله والإقرار بأني رسول الله.

وإنما المعنى في قوله: **{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم في أول الآية فقال: **{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ}** [المائدة:13]، فبهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة وسماهم قساة القلوب بفعلهم، لا أنه أقسى قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم وحرفوا القول عن مواضعه، ولا يزال الرسول صلى الله عليه يطلع على خائنة منهم، فهذا الذي به قامت عليهم الحجة، ولم تقم على الله جل ثناؤه لهم حجة.

وإنما سماهم عز وجل قساة القلوب تسمية لا أنه جبرها على القساوة جبراً، فالذي أراد من ذلك عز وجل من الجعل الذي غلطتم فيه جعل الحكم والتسمية لا جعل الجبر وذلك جائز في لغة العرب، تقول العرب: ضللني فلان أي سماه ضالاً، وكفّرني فلان أي سماه كافراً، قال الكميت:

فطائفَةٌ قدْ كفروني بحُبِّكُمْ وطائفةٌ قالوا مُسِيءٌ ومذْنِبُ

فعلى هذا القياس يخرج الكلام .

فعبدالله بن يزيد البغدادي يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله ويثبت عذرهم في نقض العهد والكفر وتحريف القول والخيانة، ونحن نحتج لله عز وجل ونذودهم عن قوله، **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**[النساء:165].

والمجبرة المفترية على الله جل ثناؤه يطلبون إبطال قوله: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**، وتكون الحجة لهم على الله، ويذودون في كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، **{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(32)}** [التوبة].

فانظر أي الفريقين يحتج لله عز وجل، وأيهما يحتج عليه ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى به قلوبهم لسلموا من النار ونجوا من العقوبة ؛ سبحان الله العظيم! ما أقبح هذا القول وأشنع هذا من مذهب، قوم يسمعون القرآن ويقرون به أنه من عند الله عز وجل ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار ونفيهم العيب عن جميع العصاة وإلزامهم العيب والجور لربهم عز عن ذلك وتعالى.

ألا ترى كيف قال في القوم الذين أراهم الآيات ليؤمنوا به فلم تزدهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله عز وجل إليه حيث يقول: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}** [البقرة:74].

أفلا ترى أن قسوة القلوب إنما هي منهم بعدما رأوا الآيات وبان لهم الحق وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم لا هو عز وجل، إنما أسماهم بما فعلوا واختاروا وضرب لهم المثل العظيم في الحجارة أنها ألين من قلوبهم القاسية التي أقسوها عن طاعة الله عز وجل عدواناً وظلماً وحمية وعصبية على الكفر.

وقد أعلمناك أن الجعل في كتاب الله جل ثناؤه على وجهين: جعلُ حكمٍ وتسمية، وجعلُ جبرٍ وقسر وحتم لا مخرج منه لأحد من الخلق.

فالجعل الذي هو جعل الحكم والتسمية مثل قوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}** [القصص:41]، وقوله: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}** [السجدة:24]، وقوله: **{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** [المائدة:13]، ذلك كله مما ليس لله عز وجل فيه جبر لخلقه ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم وحكم عليهم بفعلهم.

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذي لا مخرج لأحد منه ولا حيلة فيه ولا محيص عنه فهو ما لم تعقله أنت وأصحابك المجبرة ولم تأخذوه من عين صافية ولا منهل روي ولا وراثة عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب من اغترف من البحر المالح الأجاج، فذلك قوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا}** [الأنبياء:32]، **{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ}** [الإسراء:12]، **{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}** [الأنبياء:30]، **{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(13)}** [النبأ]، و**{[إِنَّا] جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا}** [الزخرف:3].

وهذه من حجتكم على أهل التشبيه في إثبات التوحيد، إذا قالت لكم المشبهة إن القرآن كلام الله نطق به بآلة كآلة المخلوقين احتججتم عليهم بأنه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد ويسقط دعواكم فيه لما تقولون به من الجبر، فلا يزال الكلام يدخل عليكم في اعتقادكم للجبر بما يبطل عليكم ما قلتم به من التوحيد ؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدل ؛ لأن من وصف الله عز وجل بالجبر فقد شبهه بالمخلوقين، وقد مضى جوابنا هذا من فساد التوحيد عليكم بما فيه الكفاية إن عقلتم.

لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل لأنه لا يوحد الله عز وجل من شبّهه بالجارين لأنه مشبه كالمشبهين.

وأما قوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}** [المائدة:13]، فإنما هو جعل حكم وتسميةٍ لا جعلُ خلقٍ ولا جبر، ولو كان جعلَ خلقٍ وجبر لم يجز أن يقول للكفار: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، فيلزمه عز وجل عما تقولون أنه هو الذي خلق ذلك الإفك لأن أفعال العباد على زعمكم مخلوقة.

فافهم هذا الباب الذي غلطتَ فيه وأهلكت من اتبعك وإلا لزمك أن الله عز وجل خلق إفك الأفاكين ثم عذبهم على خلقه لا على أمر فعلوه هم ولا خلقوه.

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين على قولكم إذ زعمتم أنه خلقٌ لله واكتساب من العباد.

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذي خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب إن كان ثَمَّ عدلٌ أو حكمُ حقٍ لا جور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان على قولك هذا إذ قالوا: إن الأوثان أرباب معه عز وجل وإنهم عملوها بأيديهم ثم زعموا أنها التي ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم إنه خلق الشرك والكفر وأقسى القلوب ثم خلد من فعل ذلك في العذاب الأليم.

ثم نقول لك: خبرنا عمن خلق أعيان العباد ؟

فإذا قلت: الله.

قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم وغلى عورات النساء وجميع القبائح ؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: فلم عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولم يعذبهم على خلقه لأعيانهم التي خلق في رؤوسهم ؟

فلا تجد حجة تجيبنا بها، وكيفما ادعيت من أمر في النظر إلى المحارم لزمك مثله في خلقه للأعيان.

وكذلك الأسماع والألسنة والأيدي والأرجل، نقول لك: أليس قد خلق الله عز وجل يد السارق؟

فإذا قلت: بلى.

قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لأستار الكعبة وأكفان الموتى وأموال المؤمنين ؟!

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فما عذرك وما حجتك إذا سألناك: لِمَ عذبه على سرق أستار الكعبة وأكفان الموتى وأموال المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التي بها سرق وظلم ؟

فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من جميع الحيل ؛ إلا أن ترجع عن قولك وتصير إلى العدل فتقول: إن السرقة فعل العبد ولذلك أمر بقطع يده، وإن السرقة ليست خلقاً لله،

وإن اليد هي خلق الله جل ثناؤه ولا عذاب على العبد فيها، وهذا هو الحق والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلق الله، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذبْه على خلق يده كما عذبه على سرقته ؟

فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لما عذب على بعض خلقه ولم يعذب على بعضه، وهذا غاية الفلج وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله عز وجل يحكي عن الكفار: **{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ(19)}** [الزخرف]، فنقول لك: كيف جعل الكفارُ الملائكةَ إناثاً ؟ وكيف هذا الجعل الذي ذكر الله عز وجل ؟ فإنه لا بد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم بما قالوا فيهم إنهم إناث غير ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك والتصديق لنا أن الجعل في كتاب الله عز وجل على وجهين.

فإن قلت: جعلوهم جعل خلق لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة ؛ فأي هذين الوجهين قلتَ به غُلبت وسقطت حجتك في قولك إن الله عز وجل هو الذي جعل قلوب الكفار قاسية جبراً وقسراً وحتماً ؛ لأن الله عز وجل هو الجاعل للأجساد لا جاعل لها غيره وذلك قوله: **{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ(8)}** [الأنبياء].

وكذلك جميع المعاصي الله عز وجل منها بريء لم يجعلها جعل خلق ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا وتقليد الرؤساء والحمية على الكفر والخطأ والرغبة في التافه الأدنى، وليس لله عز وجل في فعلهم فعلٌ قل ولا كثر، صغر ولا كبر، عز الله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

ومن الدليل على تصديق قولنا وبرهان حقنا أن الله عز وجل لم يخلق أفعال العباد ولم يقض على خلقه بالفساد ولم يُرد الإلحاد ولم يقدّر العناد، ولا العبادة للأنداد: أن يقال لك يا

عبدالله بن يزيد البغداذي ولمن قال بقولك من المجبرة: خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة أيهما عندكم أفضل خلق الله جل ثناؤه الذي ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل أم خلق الله الذي للعباد فيه اكتسابه وفعل ؟

فإن قلتم: إن خلق الله الذي للعباد فيه اكتساب وفعل أفضل.

قلنا لكم: فقد أوجبتم في قولكم ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والأكبار أفضل من الملائكة والنبيين والمرسلين والأئمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل، وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله عز وجل من اعتقده ودان به، قد بان خطؤه، ولم يجز خطابه وانقطعت حجته وانهتك ستره، ولا ينبغي الكلام عندنا لمثله.

وإن قلتم ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم: بل نقول إن خلق الله الذي ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل أفضل.

قلنا لكم: فقد أوجبتم في قولكم هذا أن الخنزير والكلب والحمار والقرد والبغل واليهودي والنصراني خير من الإيمان ودين الإسلام، وكفرتم بالله العظيم جل عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً.

وإن قلتم: لسنا نقول إن واحداً منهما أفضل من الآخر، ولكنا نقول: هما سواء.

لزمكم أنكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير واليهودي والنصراني سواء هم عندكم وعلى قولكم والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم عَلَيْه السَّلام والمؤمنين والشهداء والصالحين، والمشعر الحرام سواء هو عندكم ومن ذكرتم.

فليس لكم ولا لأحد من جميع إخوانكم المجبرة أهل الفرية على الله جل ثناؤه من هذه الثلاثة الأوجه مخرج ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا سبب من الأسباب، وفي هذا تقوم الحجة بالحق ويسقط الباطل، ويبين من المحق ومن المبطل.

إلا أن ترجعوا إلى القول على الله سبحانه بالعدل ونفي الجبر وتقولوا بقولنا بالعدل وهو دين الله عز وجل، فتقولون: إن الله جل ثناؤه بريء من أفعال العباد كلها، وإنه لم يخلق

منها شيئاً قل ولا كثر، صغيراً كان ذلك أو كبيراً، ولا حسناً منها ولا قبيحاً، ولا طاعة منها ولا معصية.

وتقولون إن ذلك كله أمر ونهي لا جبر ولا حتم ولا قسر، وإنما أمر الله جل ثناؤه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر والنهي محتوم أي مفروض لا جبراً ولا قسراً، يصدق ذلك قوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(90)}** [النحل]، وقوله: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ}** [البقرة:43]، و**{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** [البقرة:183]،**{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}** [آل عمران:97]، ولم يقل عز وجل إنه خلق واحداً من هذه الأشياء التي افترضها وأمر بها. وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}** [النساء:58]، ولم يقل: خلق تأديتكم للأمانات، وإنه عز وجل أرسل رسله بالدعاء إلى الإيمان فسارع إليه المؤمنون غير مكرهين ولا مجبورين.

وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصي، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبورين.

وتصديق ذلك وشاهده: قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وعلى آله: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ}** [هود:112]، ولم يقل كما خلقتُ فعلكم وجبرتكم، ولم أرد إيمانكم.

وقوله عز وجل للظالمين: **{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}** [الأعراف:166]، ولم يقل: عما خلقت فيهم وأردت منهم، ولو خلقه فيهم وأراده منهم لم يجُزْ في الحكمة ولا في العدل أن يقول {**فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْه**}، وكيف يعتو من فعلَ عتوَّه غيرُه، في أي لغة وجدتم هذا ؟ أم في أي نحو ؟ أم في أي قرآن ؟! أم في أي حرية أو مروة ؟! أم في أي سيرة؟ أم في أي سُنّة ؟! أم في أي عقل، أو جميل أدب؟! إلا في سيرة سَدُومَ وسنته وأدبه وأحكامه

التي هي سخري للصبيان ويتحدث الناس بها في المجالس تعجيباً من جور سدوم وقبح كمه وسخافة عقله.

فيا سبحان الله العظيم !! لقد جعلتم أيها المجبرة المفترون أحكام الله جل ثناؤه وأفعاله كأحكام سدوم وأفعاله!! بل سدوم عند أهل المعرفة أكف عن كثير مما أسندتم إلى الله العدل الذي لا يجور، **{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100)}**[الأنعام]، ثم زعمتم أنه غير جائر، وهذا خروج من المعقول، فليت شعري كيف يكون الجور إلا ما قلتم وعليه اعتمدتم. وهذه حجة لا مخرج لكم منها في قولكم بخلق الأفعال وعندها بيان فضيحتكم، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله عز وجل: **{وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ}** [المائدة:13]، فإن ذلك ليس بنسيان من وجه النسيان الذي لا يجب فيه العقاب لأنه قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال: ((رفع القلم عن ثلاثة ؛ عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يبلغ، وعن الناسي حتى يذكر))، وأما هذا النسيان الذي ذكر في القرآن فهو الترك تعمداً لا نسيان سهو وذلك التعمد يجب على صاحبه العقاب وهو نسيان الترك متعمداً.

شاهد ذلك قوله عز وجل: **{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}** [التوبة:67]، أي تركوا أمر الله فتركهم من رحمته، والله عز وجل لا ينسى ولا يؤاخذنا بالنسيان إلا نسيان العمد الذي ذكرنا مما يجري في اللغة، فافهم هذه اللغة العربية التي جهلتها واحتججت فيها بأول الآية في قساوة قلوبهم ولم تذكر أول القصة ولا آخرها، وجئت بالوسط في الآية، ورجوت أن تتعلق في الوسط بحرف تتفرج إليه وتتزين به عند أصحابك وتفتري على الله عز وجل فيه ما قد قلت ؛ فانظر ما حل بك، والحمد لله الموضح لدينه والمعز لكتابه، وهو القوي العزيز.

وأما قولك: إنا سوف نحتج عليك في هذا الموضع بأن الله عز وجل لم يُقسِ قلوبهم إلا بما نقضوا من الميثاق.

فذلك لعمر الله من أقوى حجج الله عز وجل وحججنا عليك ؛ لأن الله جل ثناؤه لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب إلا بعد ما اختاروا القساوة وصدوا عن الحق.

والشاهد لنا على ذلك: قول الله عز وجل: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}** [التوبة:115]، وأنت تقول أنت إنه أقسى قلوبهم بغير جرم ولا ذنب كان منهم.

والضلال منه أيضاً إنما هو ضلال حكم وتسمية، شاهد ذلك: قوله عز وجل: **{وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ(26)}** [البقرة]، وقوله: **{وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ}** [إبراهيم:27].

فأين ما جبرهم عليه زعمت من قساوة قلوبهم ؟ بعد هذه الحجج التي لا مخرج لك منها ولا لمجبر مثلك أبداً، فلكم الجهد في إبطال ما قلنا، فإن جئتم بحجة ولن تجيئوا بها أبداً سلمنا لكم، ومحال أن يقوم الباطل أبداً، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولنا: إنك تسألنا زعمت عن طبع الله عز وجل على قلوبهم بعد النقض لعهدهم وإنه يلزمنا أنه مطبوع على قلوبهم ثم كلفهم الله عز وجل الإيمان بعدما طبع على قلوبهم،

وشاهد ذلك عندك زعمت في كتابك: أن اليهود والنصارى اليوم قد طبع الله على قلوبهم وهم مع ذلك الطبع مكلفون للإيمان والخروج من الكفر، فإن أقررنا بذلك زعمت فهو قولك زعمت والعدل عندك زعمت.

فاسمع إلى جوابنا وليس قولنا إن الطبع الذي طبع الله عز وجل على قلوبهم طبع جبر ولا قسر فيلزمه الجور والظلم والخروج من قرآنه الذي قال فيه: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7]، وقوله: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، وقوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39)}** [النجم]، و**{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(8)}** [الزلزلة].

وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية حَكَمَ عليهم عز وجل وسماهم مطبوعاً على قلوبهم بما اختاروا من الضلال وتركوا الحق وما جاءت به الرسل صلى الله عليهم.

ولو كان الأمر على ما ذهبت إليه لم يكن اليهود والنصارى اليوم مكلفين الإيمان، وكيف يكلفون الإيمان وقد حال الله بينهم وبينه بالطبع على قلوبهم زعمت، وفي هذا الخروج من حكم القرآن والتجوير لرب العالمين، وهذا يوجب على أهل الإسلام أن لا يقاتلوا الروم ولا يسبوا حرماتهم ولا يغنموا أموالهم ولا يسفكوا دماءهم ولا يدعوا يهودياً ولا نصرانياً إلى الدين أبداً ؛ لأنهم في قولكم قد طبع الله على قلوبهم ولا حيلة لهم في الرجوع إلى الإيمان من أجل ذلك الطبع الذي قام به عذرهم في قولكم.

وهذا أعظم الجور وأبين الكفر ؛ إذ أنزل الله عز وجل علينا قرآناً مع نبي صادق يقول لنا فيه: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** [الأنفال:39]، فكيف يكون الدين كله لله وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر حتى لم يقدروا على الخروج من الكفر في زعمكم.

ونحن فلا ننسب إلى ربنا هذا عز وتعالى أن يكون هذا في حكمه أو في ملكه وإتقانه عز الله وجل عن هذا القول الذي قلتم.

وكذلك قوله في اليهود: **{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(29)}** [التوبة]، وإنما الطبع على قلوبهم اسم سماهم به بفعلهم وحُكمٌ حَكم عليهم به بفعلهم.

شاهد ذلك قوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44)}** [يونس]، وكذلك قال عز وجل: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** [الصف:5]، أي حكم عليهم بأنها زائغة عن الحق، لا أنه هو أزاغها عن الهدى، ولو أزاغها عن الهدى لم تلزمها حجة إذ لا طاقة لها بالمزيغ لقلوبها ولا قوة لها عليه، ولو كان ذلك منه عز وجل لم يكن بينه وبين إبليس فرق في عداوة بني آدم وصدهم وإضلالهم وإقساء قلوبهم وإمالتهم عن الهدى جل الله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

تم الجزء الأول

يتلوه الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: أليس قد تزعمون أن من قال إن الله قد كلف العباد ما لا طاقة لهم به فقد وصف الله بأنه يظلم العباد ؟

فإن قلنا: نعم.

قلت: فاسألهم عن المؤمنين حين قالوا: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** [البقرة:286]، أليس قد قالوا: ربنا لا تظلمنا ؟

فإن قالوا: نعم، فقل: افليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا يظلمهم.

وخبرونا عمن سأل الله أن لا يظلمه أعرف الله أم لا ؟

فإن قالوا: نعم إنه قد عرف الله ؛ فقل: أفليس يعرف الله من لا يدري لعل الله سيظلمه ؟ فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا إنهم إنما فعلوا ذلك لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به في غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يكلفهم ذلك ؛ فذلك العدل قد قالوا به.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله عز وجل يحكي عن المؤمنين إذ قالوا: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** [البقرة:286]، وزعمت أن ذلك التكليف كان من الله عز وجل وأنه عندكم وفي دينكم قد كلفهم ما لا طاقة لهم به في غير ظلم زعمت من الله لهم، وأنا إن أقررنا لك بذلك فإنه عندك العدل، فقد لزمَنا وأقررنا به زعمت.

فعند ذلك نقول لك على قود قولك: ما تقول فيمن ادعى أن الله عز وجل كلف قوماً أن يقلعوا النجوم من السماء، فلما لم يقدروا على ذلك عذبهم بخلود الأبد فيالنار الكبرى وهو غير ظالم لهم ؟ فما تقول يكون ردك على السائل في هذا الباب ؟

فإن قلت له: إن هذا عدل غير جور.

قال لك: أفليس قد وصف الله نفسه بالعدل ونفى عنه الجور وجعل في عقولنا معرفة العدل والجور ومعرفة الحق والباطل والحسن والقبيح حتى لا يسقط علينا منه صغير ولا كبير وهذا كله ما لا يجوز فساده أبداً ولا قلبه عن وجوهه ولا عن معانيه التي جعلها الله عز وجل في عقول بني آدم أبداً، لو جاز ذلك لبطل الحق ولم يفرق بينه وبين الباطل.

فإن أنت لم تقر لنا بهذا القول، قلنا لك: فما حجتك على من قال لك إنك بقرة وأنت تظن أنك رجل، وما يدريك لعل الدين والحق عند الله عز وجل غير الدين الذي أنت عليه ؟ وما يدريك لعل السماء هي الأرض والأرض هي السماء ؟

هذا يلزمك إذا أبيت إلا التجاهل والخروج من المعقول والصحيح الذي لا فساد فيه من التعارف الذي أوجب الله عز وجل به الحجة، ثم صرت أنت إلى إبطال المعقول والتعارف لقولك: إن الله عز وجل عذب قوماً على ما أراده منهم وقضاه عليهم وهو غير ظالم لهم.

وكذلك زعمت أنه خلق الزنا والسرقة على غير معنى ولا أمر ينسب إليه به أنه فعل الزنا والسرقة، وهذا الخروج من المعقول وليس من قال بمثل هذا القول يخاطبه الرجال إذ أبى إلا التجاهل والخروج من الحق وقد عاب الله عز وجل الظلم ونهى عن المظالم، وقال: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(44)}** [البقرة].

فكيف يجوز على الحكيم الأكبر والإله الأعظم أن يدخل فيما عاب أو يصير إلى ما عنه نهى ؟! وقد حكى عن نبيه صلى الله عليه حيث يقول لقومه: **{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}** [هود:88].

وبعد هذا فنحن نحب أن تعرفونا الفرق بين تحميله للمؤمنين ما لا طاقة لهم به في غير ظلم زعمتم، وبين الظلم والجور حتى نعرفه كما عرفتموه، وأين موضع العدل في هذا الباب الذي هو ظلم عند أهل العقول والمعرفة وليس هو عندكم بظلم ؟

فلا تجدون فرقاً في ذلك أبداً لأن هذا العدل الذي زعمتم أنه عدل وليس بظلم لا يقبله منكم إلا جاهل مثلكم لأنه لا يجوز في المعقول ولا في التعارف أن يقول رجل لجماعة من الناس: عندي لكم رجل أعمى خسيف يبصر النجوم مع نصف النهار ويدخل الخيط في الإبرة مع نصف الليل في الليلة الظلماء ؛ لأن هذا من القول ما لا تقبله العقول ولا يجوز عند ذوي الألباب ؛ لأنه محال ولا يجوز مثله على الرجال.

ولم يجعل الله عز وجل لنا العقول إلا لأن لا يجوز عليها الفساد، وما لا يُعقل من أن يكون العادل يفعل الجور ثم لا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً، هذا الخروج عن العقول المركبة التي جعلها الله عز وجل حججاً بها يثيب وبها يعاقب.

وكذلك لو قال رجل إن الأمير قتل اليومن من المشائخ العبّاد في المسجد الأعظم مائة شيخ من المؤمنين العباد الصالحين في غير جرم أتوه ولا ذنب اكتسبوه وكان فعل الأمير ذلك بهم في غير ظلم ولا جور ؛ لم يكن هذا القول بسائغ لقائله عند الناس، ولا بجائز في لغة العرب ولا في عقولها ولا في التعارف الذي به لزمت الحجج وانقطع عذر كل معتذر بباطل.

فإن قلتم: إن الله يجوز عليه ما لا يجوز على المخلوقين.

قلنا لكم: فكيف يجوز على الله سبحانه أن يفعل الظلم ثم لا يسمى ظالماً فهو إذاً يلزمكم ويجب عليكم إن صح ما قلتم أن يجوز عليه أن يُدخل الأنبياء والصالحين والأئمة الراشدين والشهداء والمؤمنين النار، ويدخل المشركين والكافرين والعصاة الظالمين الجنة، ولا يكون ذلك منه بظلم ولا جور.

وكذلك لو قال رجل: إن الله عز وجل أمر قوماً أن ينزفوا ما في البحر من مائه حتى لا يتركوا فيه قطرة واحدة، فلما لم يقدروا على ذلك أوجب عليهم الخلود في النار ولا يكون ذلك منه بظلم لهم بعدما عرَّف الخلق وأنزل عليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل تخبرهم أنه عادل، وأنه لا يريد ظلمهم، وأنه قال: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، و**{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**

وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)} [النساء].

فهذا خبره عن نفسه عز وجل، وعمن خالف أمره، وهو الذي قال: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)}** [النساء]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}** [النساء]، وقوله عز وجل: **{أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ}**[النور:50].

فالويل لك كيف يكون الحيف إلا ما قلت، وكيف يعقل الحيف والجور والظلم إلا ما ذكرت وبه احتججت على الله عز وجل، وألزمته إياه، وبرأت أعداءه منه، وأقمت عذرهم، وخالفت الكتاب.

فأي حيف أعظم وأجل من أن يكلفهم الله عز وجل ما لا طاقة لهم به، ثم لا يكون ذلك جوراً ولا ظلماً وهو يخلدهم بذلك في العذاب المقيم والنكال الأليم الذي لا راحة لهم منه، ولا انقطاع لسرمده، ثم يخبرنا عز وجل عن قولهم يوم القيامة لمالكٍ خازن النار حيث يقول: **{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(78)}** [الزخرف].

ويلكم ألا تتدبرون القرآن كما أمركم الله عز وجل ؟! أهذا تحميل ما لا يطاق ؟ أم المجيء إليهم بالحق فتركوه وكرهوه وأعرضوا عنه ظلماً وعدواناً؟

ثم نقول لك: أخبرنا عما أخبر الله عز وجل في كتابه من احتجاج مالك خازن النار ؛ أصدق في قوله أم لا ؟

فإن قلت: صدق في قوله ؛ انقطعت حجتك، وفسد عليك قولك إن الله حمّل العباد ما لا يطيقون في غير ظلم ولا جور، وفلجناك وأنت صاغر ؛ لأن الله عز وجل إنما أخبرنا بفلج مالك لهم وإيجابه الحجة لله عز وجل عليهم ورضي بقول مالك خازن النار وأخبر به نبيه صلى الله عليه لعلمه بصدق حجة مالك وفلجه لجميع من دخل النار.

وإن قلت: كذب مالك فيما احتج به عليهم ؛ لزمك أن الله عز وجل احتج بالباطل ؛ فإن الذي قال مالك لأهل النار: {**لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ**

كَارِهُونَ(78)} [الزخرف]، كان باطلاً ولم يكن الله عز وجل جاءهم بحق، ولا لزمتهم لله عز وجل حجة، وقائل هذا كافر بالله العظيم، وخارج من دين الإسلام، فلا بد لك من القول بأحد هذين الوجيهن، وفيه بطلان ما قلت، وفساد حجتك.

ثم نقول لك من بعد هذا: أيها المغرور في دينه والجاهل بكتاب ربه إن القوم الذين قالوا: **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(286)}** [البقرة]، وهذا كله لم تأت به في حجتك إلا بـ(الطاقة) وحدها، فقد زدناك أمثالها في المعاني التي تحتاج إلى التأويل ويبين فيها فضل أهل العدل على أهل الجبر.

ولو فطنت لتذكرتها لتقوي بها حجتك في الجبر والمدِلّ بالعلم لا يبالي من أي طريق قدم السائل عليه.

واعلم أن الذين دعوا بهذا الدعاء وسألوا الله عز وجل هذا السؤال هم المؤمنون ولم يقله ولم يدع به الكافرون ولو كان الأمر في هذا الدعاء على ما توهمت واعتقدت من جهلك وفريتك على الله عز وجل العادل الذي لا يظلم لكان القول على ما ذكرت أنهم سألوه أن لا يظلمهم، والمؤمنون أعرف بالله عز وجل وبعدله وحكمته وصدق وعده ووعيده من أن يطلبوا منه أن لا يظلمهم.

ولكنه عز وجل افترض عليهم الدعاء والتضرع وعاب على من لم يتضرع إليه، فقال: **{فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ(76)}** [المؤمنون]، وقال: **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** [غافر:60]، وقال: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(55)}** [الأعراف]، وقال: **{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}** [الأعراف:205].

فافترض عليهم الدعاء بالغدو والآصال دائباً ما عاشوا، وقال: **{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}** [الإسراء:110]، وقال: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ(193) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ(194)} [آل عمران].

وقد علم المؤمنون أن الله عز وجل سيصدقهم فيما وعدهم على رسله وأنه لا يخزيهم يوم القيامة، ولكن الدعاء من الله عز وجل بمكان وهو فريضة لازمة جهلت معناها، ومثل هذا في القرآن ما يكثر عدده، وفيما ذكرنا كفاية.

فلما افترض الله عز وجل على المؤمنين الدعاء كان من شأنهم ودينهم وشريف مذهبهم أن قالوا: **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** [البقرة:286]، والنسيان هاهنا الترك متعمدين لأنه قال في تصديق ذلك: **{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}**[التوبة:67]، والله عز وجل لا ينسى ولا يؤاخذ بالنسيان الذي هو النسيان لا العمد.

ثم قالوا: {**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**}، فقد جاء في التفسير أنهم سألوه عز وجل أن لا يمتحنهم بغيبة محمد صلوات الله عليه وعلى آله كما امتحن بني إسرائيل بغيبة موسى صلى الله عليه.

ثم قالوا: {**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**} يعنون النار التي لا طاقة لهم بها أي لا تعذبنا بالنار التي لا طاقة لنا عليها.

فإن قال قائل: أوليس هم مؤمنون والمؤمنون فقد أمنوا من العذاب فما معنى طلبتهم أن لا يعذبوا؟

قلنا له: قد أعلمناك أن الله عز وجل افترض على الأنبياء والمؤمنين الدعاء وليس هذا الدعاء جهلاً منهم أن الله عز وجل يعذبهم بغير جرم كما قال عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانه المجبرة ثم لا يكون ذلك ظلماً لهم.

وكذب عدو الله عبدالله بن يزيد البغداذي ما يُعرف الظلم إلا المؤاخذة على غير جرم، ولا يفعل الظلمَ إلا ظالمٌ، فسألوه أن لا يعذبهم بالنار وهو ما لا طاقة لهم به.

والشاهد لنا على ذلك الواضح: دعاء الملائكة عَلَيْهِم السَّلام لعباد الله المؤمنين حيث أثنى الله عز وجل عليهم بذلك وأخبر نبيه صلى الله عليه في كتابه بفعل الملائكة صلى الله عليهم وحُسن دعائهم للمؤمنين على معرفة الملائكة بعدل الله جل ثناؤه، وأنه لا يخلف الميعاد وأنه لا يعذب المؤمنين وأنه قد أوجب لهم الجنة حكم لهم بها، لا شك في ذلك عند الملائكة ولا خلف في صدقه، فقال عز وجل: **{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(8)}** [غافر].

وقد علمت الملائكة صلوات الله عليهم أن الله عز وجل لا يعذب المؤمنين ولا من اتبع سبيله وأنه يقيم عذاب الجحيم ويدخلهم جنات عدن التي وعدهم، لا شك فيه عند الملائكة لكنهم دعوا إذ كان الدعاء عند الله عز وجل بمنزلة شريفة، وهو الأمر الحسن المقبول المفترض.

وإن أنكر عبدالله بن يزيد البغداذي وأصحابه هذا التأويل أنكرت عليه المشبهة دعواه في العرش وقالوا له: قد تسمع إلى قول الله عز وجل: **{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ}** [غافر:7]، وحمل العرش عنده تشبيه إن كان موحداً.

فإن أنكر التأويل في الدعاء أنكروا عليه التأويل في العرش، وإلا فما جعله أحق بالتأويل من الناس، ومن هاهنا أعلمناك أنك لا تقوم بالتوحيد لجهلك بالعدل، فافهم ما لزمك في احتجاجك بأن الله عز وجل يحمل العباد ما لا طاقة لهم به في غير ظلم زعمت.

فاعرف ما لزمك فلا مخرج لك منه بحيلة محتال، فهذا هو العدل لا جبرك الفاحش الذي سميته عدلاً.

ومن الحجة لنا عليك: قوله عز وجل: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ(193) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ(194)}** [آل عمران].

فنقول لك: ألا تسمع إلى قوله سبحانه يحكي عنهم أنهم قالوا: **{رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ(194)}**، وأنه صادق فيما وعدهم على رسله لا شك عندهم في ذلك، أنه لا يخزي المؤمنين يوم القيامة ؛ لأنه قال: **{وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ(89)}** [النمل]، وقد سمعوه يقول: **{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ(102)}** [الأنبياء]، وقوله: **{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا}** [التحريم:8].

أفلا ترى بعدما وثقوا بهذه الآيات التي ذكرنا أنهم سألوه إتمام النور والمغفرة بعد اليقين أنه لا عقاب عليهم، فكل هذا شاهد لنا في دعاء المؤمنين بأنه عز وجل فرض عليهم الدعاء فدعوا وهم واثقون أن الله عز وجل لا يخلف الميعاد ولا يخزي المؤمنين يوم القيامة وهو الذي يقول عز وجل: {**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**} [التحريم:8]، وهذا كله مثل ما اعتللت به من دعاء المؤمنين: **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** [البقرة:286]، يعنون النار.

فأما أن يكون المؤمنون جهلوا العدل واعتقدوا الجبر كما جهلته واعتقدت أن الله عز وجل يُحمّل العباد ما لا طاقة لهم به وهو عندك أن يعلم منهم أنهم لا يؤمنون ثم يأمرهم بالإيمان

ويفرضه عليهم وهو لا يريد زعمت أن يؤمنوا فيفسد علمه زعمت لأنك أقمت العلم مقام الشيء المانع الحائل بينهم وبين الدخول في الإيمان وهذا أعظم كفر قاله ملحد.

وقد مضى في صدر كتابنا هذا من الحجج عليك في العلم ما لا مخرج لك منه ولا حجة لك تدفعه، ولا طاقة تفسده، ولا عذر لك من التوبة أنت وأصحابك من الفرية على الله عز وجل بعد سماعه وفيه الكفاية الكافية الشافية والحمد لله رب العالمين.

ألا تسمع إلى قوله عز وجل: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ(27) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(28) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(29) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ(30) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ(31) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ(32) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(33) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ(34) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(35) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(37)}** [الجاثية].

فنقول لك: فوالله لو لم يُنزل الله جل ثناؤه على نبيه صلى الله عليه في باب العدل والبراءة له من خلق أفعال العباد والقضاء بالفساد غير هذه الآيات وحدها لكان فيها من الكفاية والشفاء والدلالة على العدل وإسقاط الجبر وأنه لم يحملهم فوق الطاقة ولم يرد منهم الكفر ولم يُحْبِبْه من فعلهم، ولم يَحُلْ بينهم بعلمه وبين النجاة، فإن علمه بكفرهم لم يحل بينهم وبين ترك ما علم من اختيارهم، وأنه يعلم أنهم يقدرون على الخروج من الكفر كما علم أنهم يقدرون على أن يختاروا الدخول في الإيمان ففي ذلك من الكفاية الشافية ما يجزي كل

من له أدنى لب أو تمييز عقل، أو تفكر أو يسير من نصفة، وإن في هذه الآيات لأوضح البرهان وأبين البيان.

ألا تراه عز وجل كيف ألزمهم فعلهم وتبرأ منه وأسنده إليهم، والمجبرة تقول هو منه وهو أراده وخلقه بلا حجة ولا كتاب مبين إلا التجاهل والإصرار على العمى، فنعوذ بالله من الحيرة في دينه والغلط في عدله والخروج من توحيده إنه منان كريم.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا}** [الأنعام:125]، ما يعني بذلك ؟ فإنهم يزعمون أن الله لا يريد أن يضل أحداً، وأن من وصف الله بهذا فقد وصفه بالظلم، فسلهم عن قول الله عز وجل في هذه الآية: {**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**} أليس إنما يقول إن من أراد الله أن يضله يجعله كذلك ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس الله يقول ذلك ويصف نفسه بذلك ؟

فإن قالوا: إن الله لا يصف نفسه بهذا، فقل: فما يعني بذلك ؟

فإنهم لن يجدوا حينئذ بداً من أن يقولوا: إن الله قدير أن يضل العباد بلا ظلم منه لهم، وإنما وصف ذلك من نفسه لأنه قد أضل قوماً بما علم أنهم يفعلونه، فذلك العدل فقد تركوا حينئذ قولهم.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله عز وجل: {**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**}، وقد أعلمناك أنك لم تلق العلماء ولم تعرف تأويل الكتاب، وإنما سمعت جاهلاً مثلك فأخذت عنه دينك تقليداً بلا تمييز ولا كشف ولا سؤال لأهل الذكر الذي أمرك الله عز وجل أن تسألهم فقال: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(7)}** [الأنبياء]، وهو محمد صلى الله عليه وهو الذي عنى الله بالذكر لأنه قال: **{قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(10) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ}** [الطلاق].

وقد أعلمناك في صدر كتابنا هذا أن الجعل في كتاب الله عز وجل على وجهين ؛ أحدهما: جعل حكم وتسمية، والآخر: جعل حتم وجبر وقسر لا مخرج منه، وهذا الجعل الذي سألت عنه جعل حكم وتسمية لا جعل حتم ولا جبر ولا قسر.

فإذاً لم تلزمهم حجة لأنه عز وجل سماهم وحكم عليهم بأنه جعلهم بفعلهم ضيقة صدورهم حرجة، ولو أرادوا الحق لاتسعت صدورهم في طلب الهدى وقبول القرآن، ولذلك عنفهم وعاب فعلهم لأنه من قلّ علمه وعطل عقله ضاق صدره ومن كان علمه متسعاً مستعملاً عقله اتسع صدره.

لأنه أخبر عن نفسه عز وجل أنه يريد بخلقه اليسر ولا يريد بهم العسر، وهذه الإرادة هي إرادة الحكم الذي حكم عليهم به وسماهم بفعلهم .

وشاهد ذلك: قوله عز وجل: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}** [التوبة:115]، وقوله: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى(134)}** [طه]، وقوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ(31)}** [غافر]، وقوله: **{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(33)}** [النحل].

وأما قولك: إنا نسأل فيقال لنا: أليس إنما يريد الله أن يضله ؟

فهذه الحجة عليك لنا لأنا نحن نقول: إن كان من تأويل الآية فمن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً بلا سبب كان منه ولا معنى ولا جرم تقدم من فعله ولا أمر دعا إليه فتركه ولا نهى عنه فلم ينته عن فعله وإنما أضله بلا حجة لزمته له.

فإن كان هذا هكذا فالقول قولكم ووجب بلا شك أن التأويل للآية: فمن يرد الله أن يضله لا محالة يجعل صدره ضيقاً حرجاً.

ولكنه ينتقض عليكم بما ذكره عن نفسه عز وجل في القرآن المبين الذي قال الله فيه: **{تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل:89]، وقال: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام:38]، ألا تسمع إلى قوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل

عمران]، وقوله: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39)}** [النجم]، وقوله: **{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}** [المائدة:89]، وقوله: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى(134)}** [طه]، وقوله: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، وقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(107)}** [الأنبياء]، وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)}** [النساء]، وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44)}** [يونس].

وفي هذا ما لا يحصى من الحجج، ولولا طول الكتاب لأوسعنا في شرحه، أفلا ترى كيف يحتج عز وجل عن العدل ونفي الجور والظلم والابتداء لخلقه بتضييق الصدور وإقساء القلوب والتحميل فوق الطاقة على غير جرم.

وكان الواجب لو كان هذا على ما قلتم أن يعذب من أراد أن يعذبه بلا جرم اجترمه ويدخل الجنة من أراد بلا عمل عمله ولا يعبئ إليهم الرسل يلبسون الدروع ويلقون الرماح وحد السيوف ويحصنون المدن ويخندقون الخنادق ويعقدون الرايات ويجمعون العساكر ويسفطون الدماء وتسفك دماؤهم على أمر قد جبر الخلق عليه قبل إرسال الرسل وإيراد المواعظ والكتب.

وإلا فأي حكمة تسوى هذه الحكمة التي ذكرتم ؟ وأي عدل حكيم يسوى هذا الرب العظيم الذي وصفتم بالعبث والجور على عباده والجبر لهم على الأمور التي كرهها ثم يعذبهم عليها في خلود الأبد ويفترض عليهم الفرائض ثم يحول بينهم بين أدائها لئلا يفسد علمه زعمتم تعالى الله العدل الرحيم العلي الحكيم البريء المتنزه القدوس عما قلتم وبه دنتم

وإليه دعوتم وعنه احتججتم، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

ثم نقول: أخبرنا عن الأمر الذي عبته أنت وأصحابك على أهل التشبيه في قولهم واحتجاجهم في قوله عز وجل: **{خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}** [ص:75]، وقوله: **{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)}** [طه]، وقوله: **{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}** [القمر:14]، وقوله: **{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}** [الفتح:10]، وقوله: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى(5)}** [طه]، وقوله: **{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}** [القلم:42]، وقوله: **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}** [آل عمران:28]، وقوله: **{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}**[الحجر:29]، وقوله: **{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ}** [غافر:15]، وقوله: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ}** [البقرة:210]، وقوله: **{كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ}** [النور:39]، وقوله: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا(164)}** [النساء]، وما أشبه هذه الآيات في القرآن.

أليس إنما غلطت المشبهة في تأويلها ؟ فشبهت الله عز وجل بخلقه وخرجت من توحيده، أليس هذا من قولكم واحتجاجكم على المشبهة ؟ وأن لذلك عندكم تأويلاً جهلته المشبهة وغلطت فيه ؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فكذلك غلطت وجهلت أنت ومن قال بقولك في الآيات التي اعتقدت بها الجبر والفرية على الله عز وجل بلا برهان ولا بينة فلا فرق بينك وبينهم في ذلك إذ جهلت تأويل هذه الآيات وتفسير كتابه جميعاً من أوله إلى آخره، واتخذت تأويلك بزعمك علماً، وحينئذ هلكت وأهلكت وشبّهت كما شبهوا ولم يصح توحيدك.

والدليل على صدق قولنا ما قد نقضناه عليك من التوحيد فيما جهلت من العدل في غير موضع وكله قد جمعه هذا الكتاب، وكل ما جهلت من العدل في الآيات التي تعلقت بها فاعلم يقيناً أنها على مثل ذلك القياس الذي تعلقت به المشبهة لأن العدل حكم واحد لا

خلل فيه كما التوحيد حكم واحد لا خلل فيه ولا فساد في واحد منهما ولا علقة ولا حجة لمبطل ؛ لأنهما أصل دين الله عز وجل الذي تعبّد به النبيين والأئمة الصادقين، وجميع الأمة من الأولين والآخرين، ولا يصح الإسلام إلا بهما.

ولو أنك تعلقت علينا بحرف واحد حتى لا نقدر له على جواب ولا نخرج منه بحجة لفسد جميع العدل ولم يقم حق ولبطل قوله عز وجل: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(18)}**[الأنبياء].

فالحق حق في نفسه لا باطل فيه، والباطل باطل في نفسه لا حق فيه، ولو كان الأمر على ما ذكرت واعتقدت واحتججت به في كتابك لكان الحق والباطل ممتزجين لا يخلص واحد منهما من الآخر ولا يبين عدل من جور ولا حكمة من ظلم، ولا صواب من عبث، ولا فساد من صلاح، ولا حق من باطل، ولا حسن من قبيح، ولا محق من مبطل، ولا نبي من متنبئ، ولا حكم الرحمن من حكم الشيطان، ولا هدى من ضلال.

فكل حجة لك هي في معنى واحد من الجور والتشبيه ونفي العدل عن ربك، فما أقبح حالك وأفحش مقالك، لأنك أتيت فيه على الجور والظلم والفساد والخروج من الحكمة وإبطال الربوبية.

وجوابنا عند إثبات العدل بشواهد الكتاب وتهذيب الحق ونفي الجبر والجور والظلم، فقد رأينا جوابك إلى آخر كتابك بحول الله وعونه، وليس الجعل من الله عز وجل إلا على ما ذكرنا لك من أنه جعل حكم وتسمية والجعل الآخر جعل حتم وجبر وقسر لا بد من ذلك، وإلا لزم كل مدعٍ بطلان الكتاب والخروج من العدل والحكمة ؛ لأنه لا بد لكم على قود قولكم من تجوير الخالق عز وجل وتكذيب رسله وكتبه وتناقضها واختلافها، وقد قال: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء]، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل وترك قولكم من الجبر والفرية على الله عز وجل والطعن على حكمته، وشماتة اليهود والنصارى بكم ؛ لأنهم لا يقولون بالجبر كما قلتم.

وأما قولك إن الله عز وجل جعل صدورهم ضيقة حرجة وكذلك جميع ما أسندت من الظلم إلى الله سبحانه إنما يكون منه إلى عباده زعمت بغير ظلم ولا يسمى ظلماً.

قلنا لك: فما حجتك على من قال لك: وكذلك هل يجوز أن يُدخل الله النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين والمؤمنين النار ؟ وأن يُدخل المشركين والكافرين وجميع الظالمين والعاصين الجنة ولا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً ؟

فإن قلت: إن ذلك شيء لا يجوز.

قلنا لك: من أين قلت بأنه لا يجوز ؟

فإن قلت: لأن الله عز وجل عدل لا يظلم ولا يجور ؛ رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

وإن قلت: إنه جائز أن يدخل الله الأنبياء والمؤمنين النار، ويدخل المشركين والكافرين الجنة ولا يكون ذلك منه بظلم تركت القرآن صراحاً وخرجت من حد من يُكلّم عند جميع الناس وبان جهلك وفارقت الإسلام وخرجت من قوله عز وجل: **{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** [الأنعام:12]، مع آيات كثيرة قد أوجب فيها على نفسه الجنة للمطيعين والنار للعاصين، ثم قال: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}** [النساء]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(122)}** [النساء]، وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(31)}** [الرعد].

وقد كفاك آخر الآية التي ذكرت في ضيق الصدور وحرجها قوله عز وجل: **{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(125)}** [الأنعام]، فوجب أنه إنما جعل ذلك التضييق والحرج حكماً حَكَمَ به عليهم وتسمية سماهم بها لما استحقوه بتركهم لدينه وأنهم لم يستعملوا عقولهم التي وهبها لهم وركبها فيهم في طلب الحق والنجاة من النار، فهذا هو جواب ما سألتنا عنه، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}** [المائدة:41]، ما يعني بذلك ؟

فإن قالوا: إن الله لم يرد تطهير قلوب بعض العباد ؛ فذلك العدل قد أقروا به.

وإن وجهوا تأويلها على غير هذا، فسلهم: أليسوا يستطيعون أن يكون منهم ما لم يرد الله أن يكون ؟

فإن قالوا: بلى، فقل: أفليس قد يريد الله أن يكون أمر، ويريد إبليس أن يكون غيره، وإرادتهما فيه على وجه واحد ليس على وجه جبر ولا قسر فيكون ما يريد إبليس أن يكون ولا يكون ما يريد الله أن يكون ؟

فإن قالوا: نعم، فقل: لِمَ ذلك، أمن عجز من إرادة الله وقوةٍ من إرادة إبليس؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس قد يريد الله أن يكون أمر على وجه وود إبليس أن لا يكون ذلك الذي أراد الله على وجه ما أراد الله وإرادتهما على وجه واحد فيكون ما يريد إبليس ولا يكون ما يريد الله أن يكون ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أليس قد أراد الله وأحب أن يكون ما أراد أن يكون، ولم يرد ولم يحب أن يكون ما أراد إبليس، فغلبت إرادة إبليس ومحبتهإرادة الله ومحبته وكانت أقوى منها ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فهذا من أعظم الافتراء على الله لأنهم يُسألون عن ذلك أليس قوة إبليس أقوى من قوة الله، فقد يكون بعض خلقه أقوى منه في بعض الأمور ؛ ولن يعطوك هذا.

فإن قُطِعوا به ولم يجيبوك فيه وقالوا: بل يكون ما أراد الله أن يكون، ولا يكون ما أراد إبليس أن يكون، وإرادة الله ومحبته أقوى من إرادة إبليس ومحبته ؛ فكذلك [قولنا]، تعالى الله وتبارك ما أراد الله أن يكون فسوف يكون كما أراد الله أن يكون لا يعجزه شيء ولا شيء أقوى منه، ولا مثل لله، ولا شبيه، ولا ند ؛ تبارك ربنا وتعالى.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله جل ثناؤه: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}** [المائدة:41]، وقلت: ما يعني بذلك متعنتاً لنا، ورازياً علينا ؛ فاسمع ما نرد عليك بحول الله وطوله من إثبات العدل ونفي الجور والقول على الله جل ثناؤه بالحق، وبالله نستعين وعليه نتوكل.

وإنا نقول لك: اعلم علماً يقينا لا كذب فيه أن ليس في جميع القرآن من أوله إلى آخره آية واحدة يثبت بها الجبر ولا يتعلق أهله منها بشعرة واحدة، وليس من سورة إلا وفيها العدل قائم واضح شاهد لله عز وجل بعدله ونفي الجور عنه.

ونحن نسألك فنقول لك: ما تقول إن سألك سائل فقال لك: هل لله سبحانه حق فيه باطل أو باطل فيه حق ؟

فإن قلت: لا يجوز ذلك ؛ جئتَ بالحق ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك وصرت إلى قولنا بالعدل.

وإن قلت: نعم لله حق فيه باطل أو باطل فيه حق أكذبت القرآن وكفرت بالرحمن وصرت إلى قول عبدة الأوثان لأنه عز وجل يقول وقوله الحق: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(18)}**[الأنبياء]، وهذا أكبر الدليل أن ليس لله عز وجل حق فيه باطل ولا باطل فيه حق، وذلك عن الله عز وجل منفي.

ثم نقول لك أيضاً: خبِّرنا عن قول الله سبحانه: **{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(54)}** [يس]، هل أنت مقر بهذه الآية ؟

فلا بد لك من نعم ؛ فإذا قلت ذلك، قلنا لك: فهل صدق الله جل ثناؤه في هذه الآية أنها حق كما قال وأنه يوم القيامة لا يظلم أحداً شيئاً ولا يجزيهم إلا ما كانوا يعملون ؟

فإن قلت: لا ؛ كفرتَ.

وإن قلت: نعم ؛ لزمك أن جميع ما عددت وسطرت في كتابك وتأولت من الفرية على الله عز وجل باطل قد كذبت فيه إذ أقررت أنه لا يظلم ولا يجزي إلا بما عملوا.

فإن قلت: إنه ما فعل من ظلم لم يكن بظلم.

قلنا لك: فهذا كلام المجانين وقد احتججنا عليك في بطلان ذلك في هذا الكتاب بما لا تدفعنا أنت ولا غيرك أبداً.

ثم نقول لك: هذه الآية التي سألت عنها من قوله عز وجل: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}** [المائدة:41]، هي من وسط كلام تركت ما قبله وما بعده، وما عليك فيه من وجوب الحجة وثبات العدل وفساد دعواك في الجبر والفرية على الله.

وذلك أن القرآن عربي نزل بلسان العرب، قال الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4]، وقد تكون الآية من المتشابه وغيره ترد على المسؤول وتفسيرها في أول القصة أو في آخرها أو في أول السورة أو في آخرها، أو يوجد تفسيرها في سورة أخرى غير السورة التي هي فيها مثل قوله عز وجل: **{وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ(6) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(7)}** [الحجر]، فخرج جوابها في سورة أخرى وهو قوله عز وجل: **{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(2)}** [القلم]، رداً عليهم فيما قالوا على رسوله صلى الله عليه من الجنون فنفاه الله عز وجل عنه.

ومثل قوله عز وجل: **{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}** [النساء:3]، فخرج جوابها في موضع آخر، ومثل هذا كثير في القرآن يطول شرحه.

فأما الآية التي سألت عن وسطها وتركت ما قبلها من قوله الذي يوجب له عز وجل على عباده [الحجة] والبراءة من الجور والظلم وخلق أفعال العباد وإرادته لكفرهم وقضائه الفساد عليهم قوله عز وجل في أول الكلام، وتبيان حكمته وعدله جل ثناؤه: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ}** [المائدة:38]، ولم يقل جزاءً بما قضيت عليهما ولا ما قدرت من فعلهما، ولا ما أردت من سرقتهما ولا ما خلقت من فعلهما، ثم قال: **{نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(38)}** [المائدة]، يعني بالنكال إقامة الحد على من سرق لأنه عزيز حكيم، والحكيم لا يفعل إلا الحكمة والعدل.

ثم قال: **{فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ**، فنسب الظلم والإصلاح إليه ثم قال: **فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(39)}** [المائدة].

وزعمت أنت وإخوانك المجبرة أن من علم الله منه أنه لا يتوب أن الله لا يريد منه التوبة لأن في ذلك زعمتم فساد علمه، ولو كان الأمر على ما قلتم ما جاز في الحكمة أن يقول: {**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(39)**}، كأنكم ما سمعتم هذا القول في كتاب الله قط، ولا قرأتموه ولا فكرتم فيه ساعة واحدة حباً للمكابرة، وعصبية على الجهل وتقليداً للكبراء، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ثم قال عز وجل على إثر هذا القول الذي شرحنا من القرآن: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(40)}** [المائدة]، فوالله ما عنى عز وجل أنه يغفر لكافر ولا مشركٍ ماتا على الإصرار، ولا لغيرهما من الظالمين ممن أصر على الظلم والعدوان، ولا أنه يغفر لمؤمن لم يأت بجميع فرائضه وإنما عنى بذلك أهل الاستحقاق لأنه عز وجل يشاء أن يغفر للمؤمنين ويشاء أن يعذب الكافرين والمشركين.

تصديق ذلك: قوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء:48]، يعني لمن تاب ورجع إلى الحق وأقلع عن الخطايا.

وقوله: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}** [الأعراف:156]، ويقول: **{إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(56)}** [الأعراف].

ثم قال مع هذا: **{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ}** [المائدة:41]، فاسمع أنت إلى هذه الصفة وهذا العدل من الله عز وجل إنه عزّى نبيه صلى الله عليه أن لا يحزنه مسارعتهم في الكفر الذي اختاروه وآثروا فيه الهوى على اتباع الحق وأنهم آمنوا بالقول بالأفواه لا بالصحة من القلوب واعتقاد الضمائر.

ثم قال عز وجل: **{لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}** [المائدة:41].

فإن قال قائل: فما هذه الفتنة في هذا الموضع نحن نجد أن الله يريد فتنة الناس ؟

قلنا له: إن الفتنة تُصرَف في كتاب الله عز وجل على عشرة أوجه واضحة في القرآن ؛ فمنها: عذاب، ومنها: فتنة سيف، ومنها: فتنة محنة، وهذه الفتنة في هذه الآية يجوز أن تكون عذاباً، والدليل على ذلك قوله عز وجل: **{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(13)}** [الذاريات]، وليس في الآخرة فتنة إلا العذاب ؛ لأن الفتنة عندك هي الحرب، وليس في الآخرة حرب ولا إغراء ولا سيف.

والفتنة أيضاً هي محنة، والدليل على ذلك: قول الله عز وجل في موسى صلى الله عليه: **{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}** [طه:40]، وموسى صلى الله عليه غير مفتون بالفتنة التي ذهبت إليه المجبرة والعوام.

وكذلك قوله عز وجل: **{وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(24)}** [ص]، أي أيقن أنا امتحناه لأن الظن في مواضع من القرآن يقين ؛ من ذلك قوله: **{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}**[الكهف:53]، فظنهم في هذا الموضع يقين، وذلك جائز في لغة العرب، قال الشاعر وهو دريد بن الصِّمّة الجُشَمي:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَي مُقاتِلٍ   سرابيلهم بالفارسيِّ الْمُسَرَّدِ

يعني قلت لهم أيقنوا بألفي مقاتل.

وكذلك قوله عز وجل في الفتنة: **{الم(1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)}** [العنكبوت] أي وهم لا يمتحنون، **{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}** [العنكبوت:3]، أي ولقد امتحنا الذين من قبلهم.

ولو كان الله عز وجل يفتن الخلق على ما ذهبتم إليه لم يكن بين فعله وبين فعل إبليس فرق في الغش للخليقة والحسد وإرادة التلف والخلود في النار ؛ فسبحان الله العظيم وتعالى عما قلتم علواً كبيراً !! فهذا هذا.

ثم قال عز وجل في أثر هذه الآيات التي أوجب فيها على الظالمين الحجة وقطع عذرهم وألزمهم الخطأ بمعصيتهم وبرأ نفسه عز وجل من ظلمهم وفعله، وألزمه إياه عبدالله بن يزيد البغدادي وإخوانه المجبرة فقال عز وجل: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(41)}** [المائدة]، فيا لك الويل هل يكون من الله عز وجل الخزي والعقاب على غير جرم ولا ذنب، وإنما أراد بهذا القول عز وجل أنه لم يرد أن يطهر قلوبهم التي نجسوها وأصروا على نجاستها فلم يطهروها بالدخول في الإيمان، فأخبر جل ثناؤه أنه لم يرد أن يطهرها ولا يحكم لها بالتطهرة وهم لم يطهروها ولم يحسنوا النظر لها، ولو طهرها ولم يطهروها لكان ذلك هو نفس الجبر والقسر ولم يجب لهم حمد ولا شكر ولا حسن ثناء ولا أجر.

فهذا ما سألت عنه، فأنعم فيه النظر، والعجب كل العجب كيف استجزت في ملك الله عظمة سلطانه وعدله وقوله **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44)}** [يونس]، أن تقلب ذلك القول كله، فنسبته إلى الله عز وجل وقد سمعته يقول: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(41)}** [المائدة]، فاسمع أول الكلام إلى ما قاد فخرج فيه صحة العدل وبيان كذبك على الله عز وجل وفريتك عليه ما ليس من دينه فهو البريء من ذلك جل ثناؤه.

بل ليت شعري فيما استحقوا الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة، في أمر هو فعله أم هم فعلوه بأنفسهم ؟

فإن كان هو الذي فعله ؛ فقد صح فيه الجور.

وإن كانوا هم الذي فعلوه ؛ فهذا القرآن يشهد بفعلهم، وبراءة الله عز وجل مما قلت.

ثم قلت: إنه لا يكون ذلك منه ظلماً لهم ولا جوراً عليهم ؛ فليت شعري كيف يكون الظلم عندك وعند جميع الناس إلا ما لا يعقل ولا سبيل إلى الوقوف عليه، فسبحان الله العظيم، وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

فأخبرنا أيضاً عن قولك: إن الله عز وجل عما قلت أراد من الكفار الكفر، ولم يرد منهم الإيمان ؛ أقولك أصدق أم قول الله عز وجل حيث يقول: **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى(23)}**[النجم]؟

فإن قلت: إن الله عز وجل في هذه الآية أصدق منك فيما ادعيت ؛ لزمك أنك قد رجعت إلى قولنا بالعدل، ولزمك أنك كنت مبطلاً في دعواك لا بد لك من ذلك.

وإن قلت: إنك أصدق من الله عز وجل، كفرتَ عند جميع أهل الإسلام ووجب عليهم قتلك من آخر ساعاتك لا بد لك من ذلك.

وأما قولك: إنا نقول إنا نستطيع أن يكون منا ما لم يرد الله عز وجل أن يكون.

فإن قلنا: بلى زعمت ؛ قلت لنا: أفليس قد يريد الله أن يكون أمر، ويريد إبليس أن يكون غيره وإرادتهما زعمت على وجه واحد ليس على وجه جبر ولا قسر، فيكون ما يريد إبليس أن يكون ولا يكون ما أراد الله أن يكون.

وقد فهمنا ما أردت كله واختصرنا عن التطويل في الكلام الفاسد الذي لا وجه له ؛ فاسمع إلى قولنا، وأنعم النظر فيه:

فإنا نقول: إنه قد يكون منا ما لم يُرِد الله عز وجل ونستطيع أيضاً أن يكون منا ما أراد الله فالذي يريد الله عز وجل منا الطاعة والذي لا يريده منا المعصية ولم يجبرنا على واحد منهما جبراً ولم يقسرنا عليها قسراً، ونحن مخيرين غير مجبورين على شرط منه عز وجل أن الجنة واجبة للمطيعين وأن النار واجبة للعاصين، وقد يفعل الخلق وهو أكثر فعلهم ما لا يريد الله عز وجل من الكفر وجميع المعاصي، ويفعلون ما يريد إبليس منهم من جميع الشرك والكفر والمعاصي، وليس ذلك بمُدْخِل على الله عز وجل عجزاً ولا وهناً ولا ضعفاً ولا نقصاً ولا عيباً ولا غلبةً ولا قهراً، على أنه عز وجل الذي قال: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ**

وَمَا يَفْتَرُونَ(112)} [الأنعام]، وقال: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}**[السجدة:13]، وقوله: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}** [الأنعام:107]، وقوله: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}** [يونس:99]، وقوله: **{وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ}** [محمد:4]، يريد أنه يفترض على المؤمنين جهاد الكافرين.

ومثل هذه الآيات كثير في القرآن يخبرنا عز وجل أنه لو شاء فعل ذلك الذي سمينا قسراً وجبراً، ولو فعله لم تقم له قائمة ولم يعجزه شيء، ولم يقو على أمره ولم يعانده معاند، ولم يحُل دون إرادته حائل إذ هو عز وجل الذي لو أراد أن يُفني جميع من تحت أديم السماء بذرّة من هذه الذر لأهلكهم كلهم جميعاً في أسرع من لمح البصر.

إلا أنه عز وجل أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً، ولم يُعص مغلوباً، وهذه الآيات إنما دل بها على أن فعل من فعل ظلماً وعصى الرسل وخالف الكتب لم يكن ذلك عن عجز وغلبة ولا أن مراد إبليس الضعيف الذليل غلب مراد الله القوي العزيز.

ولا أنا قلنا ذلك ولا جهلناه كما جهلت الحق، ولكنه لما كان التخيير صار إلى إرادة إبليس من جنوده وأوليائه من أحبه وقال مثله، وهم أنتم ومن أشبهكم من العاصين، وصار إلى مراد الله عز وجل أولياؤه وأحباؤه وحزبه المؤمنون، وهم أهل القول على الله عز وجل بالعدل والتوحيد ونفي الظلم والتشبيه.

فهذا هو الحجة ودليل ذلك وشاهده من كتاب الله عز وجل لا تحصيه من الشواهد مثل قوله عز وجل: **{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(20)}** [سبأ].

وقوله عز وجل يحكي عن حجة إبليس على الكفار التي علم الله عز وجل أنه قد صدق عليهم فيها حيث يقول: **{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(48)}** [الأنفال].

وقوله عز وجل يحكي عن فلج إبليس للكفار ويبرئ الله عز وجل من فعلهم وفعل نفسه، وعبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانه المجبرة يلزمون الله عز وجل أفعال المشركين والكفرة المعاندين والدهرية الأخسرين والزنادقة الكاذبين وعباد النور والظلمة المعاندين وعباد البددة الأرذلين وجميع الظالمين والعاصين، وهذا القرآن أكبر شاهد وأعظم حجة وأوضح برهان حيث يحكي عز وجل عن قول إبليس واحتجاجه عليهم يوم القيامة حيث يقول: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)}** [إبراهيم]، أفلا تسمع إلى قوله: إنهم هم أشركوه باتباع الهوى والإعراض عن الهدى ؟

ثم نقول لك: أخبرنا هل صدق إبليس فيما حكى الله عز وجل عنه في هذه الآية على الكفار أم كذب عليهم ؟

فإن قلت: صدق إبليس؛ لزمك أنك لنا ظالم ومحاجتك لنا كفر بالله العظيم، وأن كل ما ادعيت قد كذبت فيه وبان جهلك وفريتك على الله عز وجل.

وإن قلت: بل كذب إبليس ولم يصدق فيما حكاه الله عز وجل عنه في هذه الآية ؛ لزمك أن الله تبارك وتعالى أخبر عن إبليس وعن احتجاجه على أعداء الله عز وجل بالكذب والمحال والباطل، وأنه أنزل على نبيه صلى الله عليه قرآناً لا معنى له ولا حجة فيه على أعدائه، وأن الله عز وجل قد احتج في هذا الموضع بحجة باطلة فاسدة، ولا وجه لها، وكفرت بهذا القول وخرجت به من الإسلام، وهذا أقوى وأوضح وأبين عند كل سامع ذي لب وفهم من قولك: إنا نعظم الفري على الله عز وجل، ومن تكريرك في أن قوة إبليس أقوى من قوة الله يلزمنا ذلك زعمت ؛ فاسمع ما حل بك من النكال في الدنيا قبل ورودك إلى الآخرة.

ثم نقول لك: أليس إنما أراد الله عز وجل من أبي جهل الكفر في قولك، وإن محمداً صلى الله عليه أراد منه الإيمان ؛ فأيهما أولى أن يكون ولياً لله وصفوة ؛ الذي وافق إرادته أو الذي خالفها ؟

وقوله عز وجل ينفي عن نفسه ما أسندت إليه المجبرة ويعلمنا أنه لم يضلل خلقه ولم يرد كفرهم، وأن إبليس هو الذي أراد ذلك منهم وأنهم أطاعوه باتباع أهوائهم بعد البيان والإعذار والإنذار، فقال عز وجل: **{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(16) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(17)}** [الحشر]، وقوله: **{فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(48)}** [الأنفال].

فأي ظلم تراه يلزمهم إن كان الأمر على قولك إن الله عز وجل أراد أن يكون بعض الناس ظالمين وبعضهم مؤمنين عز الله عن ذلك ؟

ومن أراد الرد عليك فيما احتججت به من أمر إبليس الحجة الواضحة، فاسمع إلى قولنا فإنا نرد عليك السؤال الأول فنقول لك: أخبرنا عن محمد رسول الله صلى الله عليه ما أراد من الكفار حيث بعث إلى جميع أهل الأرض ؛ هل أراد منهم الكفر أو الإيمان ؟

فإن قلت: أراد منهم الكفر ؛ أكذبك الله عز وجل في قوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(107)}** [الأنبياء]، وقوله سبحانه: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(128)}** [التوبة]، ويلزمك الكفر إن قلت: إن رسول الله صلى الله عليه أراد الكفر من الكفار.

وإن قلت: أراد منهم الإيمان كان ذلك هو الحق، وهو قولنا وقول المسلمين جميعاً ؛ فنقول لك عندد ذلك: فأخبرنا ما أراد الله من الكفار ؟

فإن قلت: أراد منهم الكفر ؛ لزمك من التكذيب ما يشهد عليك به القرآن مثل قوله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [النساء:64]، وقوله: **{لِتُخْرِجَ**

النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ(1)} [إبراهيم]، وقوله: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** [الأعراف:158].

وقوله: **{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** [النساء:80]، وقوله: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}** [آل عمران:19]، وقوله: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(85)}** [آل عمران]، وقوله:**{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}** [آل عمران].

ثم نقول لك: فما أراد إبليس من الكفار ؟ هل أراد منهم الكفر ؟ أم أراد منهم الإيمان ؟

فإن قلت: إن إبليس أراد من الكفار الإيمان ؛ أكذبك عز وجل حيث يقول: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ(6)}** [فاطر]، وقوله عز وجل: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(60)}** [يس]، وقوله: **{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(91)}** [المائدة]، وهذه الآية أيضاً رادة عليك ومكذبة لك في قولك إن الله عز وجل عما قلت أراد الكفر من الكافرين.

وإن قلت: أراد إبليس الكفر من الكافرين.

قلنا لك: صدقت، ولكن انظر ما يلزمك من الهلاك والفضيحة الفاضحة ؛ فإنه يلزمك أن إرادة محمد رسول الله صلى الله عليه مخالفة لإرادة الله سبحانه ؛ لأن محمداً صلوات الله عليه أراد من الكفار الإيمان والله عز وجل أراد منهم الكفر على قولك، وكذلك الشيطان أيضاً أراد منهم الكفر، فأيهما الموافقةُ إرادته لإرادة الله عز وجل أمحمد نبي الله صلى الله عليه ؟ أم إبليس عدو الله لعنه الله ؟

فإنه لا بد لك أن تقول: إن إرادة إبليس موافقة لإرادة الله عز وجل وإرادة محمد صلى الله عليه مخالفة لإرادة الله عز وجل، هذا لازم لك إلا أن ترجع عن هذا القول فنفلجك وأنت مقهور مغلوب ؛ فاختر من هذا ما بدا لك.

واعلم أن الموافق أولى أن يكون رسول الله عز وجل ووليًاً وصفياً من المخالف لله جل ثناؤه، فإبليس أحق بالرسالة والاصطفاء والولاء في قولكم ودينكم واعتقادكم من محمد بن عبدالله رسول الله صلوات الله عليه لموافقته لإرادة الله عز وجل ومخالفة محمد صلى الله عليه لإرادة الله عز وجل، وهذا القول لازم لك بالحجة الواضحة ولكل مجبر على وجه الأرض لا مخرج لكم منه إلا بالتوبة والرجعة عن هذا البهتان العظيم والجهل الكبير.

وما في حسابي أن حمية الجاهلية التي اعتصم بها أهل الأصنام خارجة من قلوبكم إلى القول بالعدل، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

واعلم أن الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة إنما يقعان بعد إثبات الحجة وإبلا غ الرسل وأئمة الهدى عَلَيْهم السَّلام، والحمد لله رب العالمين .

وأما الآية التي ذكرناها قبل هذا الموضع التي قال فيها عز وجل: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)}** [السجدة]، فتفسير قوله: {**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**}، فهذه الآية من أحكام الآخرة، وليست من أحكام الدنيا.

وشاهد ذلك الواضح: قوله عز وجل في آخر الآية: **{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(14)}** [السجدة]، وأنت وإخوانك المجبرة تلزمونه ذنوبهم وخلق أفعالهم وإرادة الكفر منهم، وأنه لم يرد زعمت منهم أن يؤمنوا فيبطل علمه ونسيت ترغيبه لهم في التوبة والرجوع إلى الحق فهربت من أمر ووقعت في أعظم منه.

ولو كنت نظرت في باب العلم نظراً شافياً لعلمت أن الله عز وجل ليس لأجل العلم أثاب ولا عاقب، ولا خلق جنة ولا ناراً ولا أرسل الرسل، ولا أنزل الكتب، ولا حذر ولا أنذر ولا

أعذر ولا بشر، ولا عنه سأل، ولا به أخذ، ولا أنزل فيه قرآنا ولا حجة مع نبي، ولا تجد في العلم حجة توجب لك أن العلم حائل بين العباد وبين الطاعة أبداً ما بقي الدهر.

فاعزل العلم من فريتك على الله عز وجل ناحية فقد هلكت وأهلكت من أخذ عنك وتعلم منك وقلدك أمر دينه وأذهل عقله، فلا يبعد الله إلا من ظلم، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].

فاسمع إلى قوله عز وجل: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا(60)}** [النساء]، أهذا ويحك قول من أراد منهم الكفر وقدره عليهم وخلقه من فعلهم ؟! سبحان الله العظيم وتعالى عما قلتم علواً كبيراً!!.

ألا ترى كيف تضربون وجه القرآن وتردون عليه مكابرة للعقول وتركاً لاستعمال النظر وتدبر القرآن فالله المستعان.

والدليل على أن الله جل ثناؤه عدل لا يجور على خلقه ولا يقضي عليهم بالفساد: إقرارُ المخالفين لنا أنه عز وجل غني، فلما صح أنه غني، نظرنا ما سبب جور الجائر وما الذي حمله على الجور ؛ فإذا الجائر لم يحمله على الجور إلا استجلاب منفعة لنفسه أو دفع مضرة عنها، ولولا ذلك لم يجر ولم يظلم، وإذا ذلك الفعل لم يفعله إلا فقير محتاج غير غني عن فعل ذلك، وإذا الواحد الرحمن الكبير المتعال القوي القادر القاهر عز وتعالى غني على الحقيقة لا على المجاز، وهو غني عن عباده ولا يحتاج إلى شيء من جميع الأشياء كلها والغني عن عباده لا يستجلب لنفسه منفعة ولا يدفع عنها مضرة، فصح وثبت أن الجور والظلم عنه منفي إذ لا فاقة تلزمه ولا حاجة تضطره إلى استجلاب منفعة ولا دفع مضرة تقدس عن ذلك رب العالمين الذي لا يأمر بالجور ولا يرضاه ولا يقضي بالفساد ولا يخلق أفعال العباد ولا يقدر عليهم العبادة للأنداد، ولا الموالاة للأضداد، ولا قتل أهل الرشاد، ولا القول بالإلحاد، ولا ما ادعوا من الصواحب والأولاد، قدوس قدوس رب العرش العظيم.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)}** [هود]، أليس هو فعال لذلك ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: أفليس قد أراد أن يكون الناس جميعاً مؤمنين ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل لهم: فما لهم لم يكونوا كما أراد الله أن يكونوا ؟

فإن قالوا: إنه لم يرد أن يكونوا مؤمنين إرادة قسر، وإنما أراد أن يكونوا مؤمنين على وجه التفويض إليهم ؛ فقل لهم عند ذلك: أليس لله إرادتان ومحبتان إحداهما لا تكون كما أراد أن تكون، والأخرى تكون كما أراد وأحب ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: أفليس تختلف إرادة الله ومحبته ؟

فإن قالوا: نعم ؛ أعظموا الفرية على الله حيث زعموا أن إرادة الله ومحبته مختلفة إحداهما قاهرة والأخرى مقهورة، واحدة نافذة والأخرى ليست بنافذة.

فإن قطعوا بها فليس لها وجه إلا ما أراد الله فهو كائن، فلم يرد الله أن يؤمن الناس جميعاً ولا يكفروا جميعاً، وإن ما أراد الله أن يكون فهو كائن كما أراد أن يكون، فذلك العدل قد أقروا به.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: وسألت عن قول الله سبحانه: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)}** [هود]، وزعمت أنا إن قلنا: إن لله عز وجل إرادتين ومحبتين لزمنا زعمت أن له إرادة قاهرة والأخرى مقهورة، وأنا قد أعظمنا على الله عز وجل الفرية إن قلنا: أن إرادته ومحبته مختلفة وأن إحداهما نافذة والأخرى غير نافذة، وقلت إنه يلزمنا إن قلنا ذلك أنا نوجب عليه الضعف والقهر.

وإنما يجب الضعف على من عجز عن إنفاذ إرادته وقُهر عن بلوغ أمره وحيل بينه وبين مشيئته ومحبته فهذه صفة العاجز المقهور، والضعيف المكثور ؛ فأما من أراد الأمر والخلق لما خلق والابتداع لما ابتدع والإنفاذ لما أمرهم الله عز وجل ولم يجعل فيه الخيرة إلى عباده ولا الظلم لأحد من بريته فخلق ما أراد ونفذ ما أحب مما تولى صنعه فتلك إرادته التي حتم

نفاذها وقضى كونها وقهر سلطانه فطرته مثل السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والجبال والأشجار والأمطار والأنهار والأجسام والأعراض، وما كان من خلقه الذي لم يشاور فيه أحداً، ولم يشاركه فيه شريك، ولم يعانده فيه معاند، ولم يعبْ كونه على أحد، ولم يعذب عليه مضاداً ولا عاصياً وحتمه حتماً لا حيلة فيه، فذلك خلقه عز وجل وإرادته النافذة غير المقهورة ولا المردودة.

وأما الأمر الأخر الذي أراد أن يكون من عباده بالتخيير منه لهم لا بالجبر ولا القسر ولا الحتم، فهو: ما أمرهم به من الطاعات واجتناب المحرمات التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم، ونزلت بها الكتب من الفروض الواجبة المحتومة عليهم وأمرهم أن لا يتعدوا حدوده في ذلك بلا جبر ولا قسر بل خيرهم في ذلك تخييراً، وقال لهم: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ(14)}** [الانفطار].

ولو جبرهم جبراً على الطاعة لم يكن لهم حمد ولا أجر كما لم يكن للسماوات والأرض حمد ولا أجر لما فطرها عليه من الفطرة.

وكذلك لما وقع من التخيير لبني آدم وجب الثواب والعقاب، ولو كان جبر الكفار على الكفر ثم عذبهم لم يكن بعادل ولا صادق في قوله: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، مع آيات تكثر وتطول.

منها: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل عمران]، **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117)}** [هود]، وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44)}** [يونس]، فهذا قوله وخبره الذي لا ينتقض.

وأما الدليل أن له إرادة نافذة لا مرد لها: فقوله عز وجل: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(40)}** [النحل]، بلا فاقة إلى ذلك القول ولا حاجة إلى قول: كن فيكون، إنما المعنى فيه أنه كلما أراد شيئاً كان ذلك الشيء بلا امتناع طرفة عين ؛ لأنه حتم وقسر وجبر وليس ثَمَّ حاجة ولا افتقار إلى قول (كاف ونون).

وأما الإرادة الأخرى فهي أنه أراد من العباد الطاعة وترك المعصية مخيَّرين غير مجبورين ليجب الثواب والعقاب بالحكمة الظاهرة، وإتقان الصنع، وقوام العدل الذي لا خلل فيه.

فالدليل على تلك الإرادة والشاهد لها: قوله عز وجل للكفار لما ادعوا له الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً، فقال: **{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ}** [الرعد:33].

وزعمت أنت وأصحابك المجبرة أن الله عز وجل أراد من الكفار أن يدّعوا له الصواحب والأولاد والشركاء والأنداد، فقد نسبوا إليه عز وجل ما لا يعلم، فيلزمكم أيها المجبرة أن له إرادة لا يعلمها، ومن كانت له إرادة لا يعلمها فهو أجهل الجهال، وإرادته أحول المحال، وهذا فأبطل مقال، وأضل ضلال.

وكفى بهذه الحجة القاطعة لنا عليك إن عقلت وعزلت الهوى ؛ لأنه أراد ما لا يعلم في قولكم، وهذا أحول المحال الذي لا محال أوضح منه، وفي هذه الحجة وحدها انقطاعك في الإرادتين جميعاً، وبيان غلبتنا لك وسقوط حجتك والحمد لله رب العالمين.

وقوله عز وجل: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)}** [النساء]، وذلك الأمر الذي أراده الذين يتبعون الشهوات هو إرادة الله أيضاً زعمت ؛ لأنه عندك وفي قولك خلقها وقدرها.

فعند ذلك نقول لك أخبرنا عن إرادة الله عز وجل الذي ذكر من النبيين لعباده والهادية للسنن الماضية من الحق أليس هي إرادة الله جل ثناؤه ؟

فإن قلت: لا ؛ كفرت بالقرآن.

وإن قلت: نعم.

قلنا لك: فهل هي إرادة حق وعدل ورشد وصواب ؟

فإن قلت: لا ؛ كفرت وزعمت أن إرادة الله عز وجل للبيان لعباده والهداية لهم إلى سنن الذين أنعم عليهم من قبلنا أنها غير حق ولا رشد ولا عدل ولا هدى.

قلنا لك: هذا خروجك من الإسلام جملة.

وإن قلت: إنك لا تقول ذلك وإنها إرادة عدل ورشد وهدى وصواب.

قلنا لك: هذا هو الحق، وهو قولنا.

ثم نقول لك: فأخبرنا عن إرادة الذين يتبعون الشهوات، أليس هي عندك أيضاً إرادة الله التي أراد منهم أن يفعلوها ؟

فإن قلت: لا ؛ لزمك أنك رجعت عن قولك، وبان جهلك، وأن الله عز وجل لم يرد منهم أن يتبعوا الشهوات وأن يميلوا ميلاً عظيماً، وأن للكفار إرادة هي غير إرادة الله، وذلك هو الحق، وهو قولنا وقول الأنبياء والمرسلين، وقول الملائكة المقربين، وبان خطؤك وفريتك على الله وإخوانك المجبرة.

وإن جسرت وأدركتك الحمية على العمى والكفر وتقليد الرجال أمر دينك، فقلت: بل إرادة الذين يتبعون الشهوات هي إرادة الله أرادها منهم أن يكونوا متبعين للشهوات.

قلنا لك: فأخبرنا عن إرادتهم هذه التي أضفتها إلى الله عز وجل ما هي ؟ هل هي إرادة رشد وحق وعدل وصواب ؟

فإن قلت: لا ؛ لزمك أن الله عز وجل يريد غير الرشد والصواب والعدل والحق، أو رجعت عن قولك ولزمك أنك كنت مقيماً على الفرية على الله عز وجل.

وإن قلت: إنها إرادة رشد وعدل وحق وصواب ؛ لزمك أن إرادة الكفار والمتبعين للشهوات المريدين للميل هي إرادة رشد وحق وعدل وصواب، ولا فرق بين إرادة الله وإرادتهم على زعمك في الصواب والرشد والعدل.

ويلزمك أيضاً أن الله عز وجل عاب عليهم في كتابه إرادة الصواب والرشد والحق والعدل، وأنه لم يعب عليهم جوراً ولا خطأً ولا ظلماً، وهذا أعظم كفر قال به كافر وأعظم فرية افتراها مشرك، وفي هذا بيان خطأ ما قلت وسقوط قولك.

ولو كانت كل إرادة من العباد هي إرادة الله عز وجل للزمك أن الله تبارك وتعالى عز عن قولكم حيث قال: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)}** [هود]، أنه أراد الفواحش كلها وقتل الأنبياء

وأئمة الهدى وإرادته زعمتَ فعله فيلزمك أنه فاعل الفواحش، تبارك الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وقوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل عمران]، يكفينا عن غيره من القول لو وجد عقولاً تقبله.

وقوله: **{فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}** [الجاثية:17]، فالبغي منهم والاختلاف منهم، وأنت وإخوانك المجبرة تقولون أن جميع ذلك من الله عز وجل خلق وإرادة وقضاء وجبر سبحان الله جل عن ذلك العزيز الرحيم الذي لا يحب الفساد، ولا يظلم العباد.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}** [فصلت:17]، أخاصة هي لثمود أم عامة للناس ؟

فإن قالوا: إنها خاصة لثمود ؛ فقل لهم: فأخبروني عن من لم يخصه الله بالهدى أيستطيع الهدى ولم يخصه الله به ولم يعطه إياه ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل لهم: إذاً يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فهم إذاً أقوى من الله حين يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه ؟

وإن لم ينفذوا هذا وفروا منه وقالوا إنها عامة للناس جميعاً ؛ فقل: أفليس قد هدى المشركين إلى ما هدى إليه المؤمنين ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: قد هداهم الله عز وجل جميعاً ؟

[فإن قالوا: إنما] يعنون قد دعاهم جميعاً ؛ فقل: إنا لا نسألكم عن هذا أهذا عدل ؟ ونحن نقول: إن الله قد دعا الناس جميعاً وذلك معنى هذه الآية {**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**} يعني دعوناهم إلى الهدى، ونحن نلزمكم أن الله قد خص بالدين قوماً دون قوم، وأن المؤمنين لم يكونوا يشكون في توحيد الله ولا في القيامة، وأن الكفار كانوا شاكين جهلاً لقوله عز

وجل: **{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}** [فصلت:54]، وقوله عنهم: **{لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ}** [البقرة:118]، وقوله: **{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}** [النجم:30].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله سبحانه، وهو أصدق القائلين: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}** [فصلت:17]، قطعت آخر الكلام الذي فيه انقطاع دعواك، وذلك أنك علمت أنك مقهور وأن في آخر الآية فضيحتك وبراءة الله عز وجل من فريتك وما أسندت إليه وألزمته من كفر ثمود وبرّأتهم منه.

فافهم أيها الأعمى القلب والمفارق للحق [واسمع] إلى حجة الله جل ثناؤه على ثمود التي أوجبت عليهم الخلود في النار الكبرى بفعلهم وظلمهم واختيارهم واتباع أهوائهم لا فعله هو وتقديره عز عن ذلك تعالى فقال يخبر محمداً صلى الله عليه عن كفرهم واختيارهم للعمى على الهدى وتركهم للهدى، عنى بالهدى البيان البيان والدعاء الذي أقررت به، فقال عز وجل: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}** [فصلت:17]، استحباباً لا كرهاً ولا جبراً ولا قسراً.

ونحن نقول لك: ما تقول في قول الله عز وجل: {**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**}، هل صدق الله جل ثناؤه عليهم أنهم استحبوا العمى على الهدى أم لا ؟

فإن قلت: لا لم يصدق عليهم؛ كفرت وخرجت من الإسلام جملة.

وإن قلت: إن الله عز وجل قد صدق على ثمود أنه قد هداهم فاستحبوا العمى على الهدى واختاروه على الطاعة لزمك أنك تركت قولك ورجعت عن فريتك على الله عز وجل واحتججت بآية من القرآن هي عليك لا لك، (من سل سيف البغي قتل به).

وأما قولك: هل هي خاصة في ثمود أم عامة للناس ؟

فإن جميع ما في القرآن من العدل يجري مجرى واحداً، وعدل الله عز وجل فيه واحد، وإن جميع ما دعا الله عز وجل إليه جميع الكفار واستحبوا فيه العمى على الهدى إنه عام لفاعليه كلهم وقد يخص الله عز وجل قوماً بمخاطبة يدخل فيها غيرهم مثل قوله: **{يَاأَيُّهَا**

الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6)} [الانفطار]، يريد بذلك جميع الناس كلهم، وهي من حجتنا في العدل حيث قال جل ثناؤه: {**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6)**}، يعني ما الذي غرك من الطاعة له، ولو كان هو الذي غره ما سأله عما غره هو به.

رجع الكلام، وقوله عز وجل: **{وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا}** [الإسراء:59]، ولم يقل فقضيت عليهم الظلم والعقر لها بل قال عز وجل: **{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ(29)}** [القمر]، ولم يقل: فعقرتُ ناقتي، ولا قضيت عليهم عقرها ثم ألزمتها قداراً وقومه وعذبتهم بالنار في خلود الأبد على عقري لها وإرادتي لعقرها وعنّفت ثموداً وعبت فعلها، عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً.

وأنت المخطئ في قولك في هذا الموضع عن الاختصاص بالدين، وتريد أن الله عز وجل خص به بعضاً دون بعض، وهذا من قولكم وهو مما لا يجوز ؛ لأن الناس كلهم في الدعاء إلى الدين سواء والإعطاء للطاقة على أخذه فهم فيه سواء، والتعريف بجميع الدين فهم فيه سواء لم يجبرهم عليه جبراً، ولم يفضل بعضهم على بعض بأن أعطى بعضاً ديناً وحرمه آخرين حاش لله من ذلك وعز وجل رب العالمين.

الدين واحد، والدعوة واحدة والأمر بالدين واحد، وليس الله عز وجل يمنع أحداً عن دينه، ولا يحول بينه وبين أخذه ؛ بل لطف بهم في الدعاء، وسألهم الدخول في الطاعة بأرفق الرفق وأحسن الدعاء وأبين رحمة وأوجب حجة وأكمل عدل وأبعد ظلم وجبر وهزل.

ألا ترى كيف قال لموسى وهارون صلى الله عليهما: **{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)}** [طه].

وأما زعمك أنا نفر من طريقك وحجتك ؛ فلعمري إن الكفر أحق ما فر منه المؤمن، فأما مسائلك ورد جوابها فليس مثلنا ممن يفر عن مثلك، والحق هو القاهر للباطل.

وأما قولك: إنك تسألنا زعمت فتقول: أفليس قد هدى الله المشركين لما هدى إليه المؤمنين ؟ فإن قلنا لك: نعم، قلت لنا زعمت: قد هداهم الله جميعاً، يعنون قد دعاهم جميعاً،

وهذا عندك زعمت معنى هذه الآية: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}** [فصلت:17]، فأمسكت عن آخر الكلام وهو: {**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**} [فصلت:17].

ونحن نقول: إن الهدى من الله عز وجل هو الدعاء إلى الدين لا الجبر ولا القسر ولا الحتم، وأنت تجعل الهدى إدخالاً في الهدى كرهاً وجبراً، وكذلك الكفر تجعله إدخالاً فيه جبراً وقسراً، ولم تجد في كتاب الله عز وجل آية واحدة تشهد لكم في القرآن بذلك بل الآيات كلها كاملة تشهد لنا بأنه عز وجل لم يعاقب ولم يُثِب إلا بما فعل الخلق لا بما فعل هو جل ثناؤه.

والهدى هو الدعاء، وأي هدى أعظم من الدعاء الذي دعا الله عز وجل خلقه إليه فاستحب من استحب منهم العمى على الهدى، فالهدى هو الدعاء وليس لك فيه حجة تُسقط العدل بوجه من جميع الوجوه.

ثم قلت في آخر مسألتك: ولكنا إنما نسألكم عن التعريف للهدى، أليس قد عرف المشركين زعمت جميعاً من توحيده ورسالة رسله ما عرف المؤمنين ؟

فإن قلنا لك: نعم، قلت لنا: فإن الله يكذب قولنا زعمت بقوله: **{إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}** [فصلت:54]، وقوله: **{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي}** [ص:8]، وبقوله: **{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ}** [البقرة:118]، وبقوله: **{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}** [النجم:30]وأشباه ذلك من كتاب الله عز وجل.

والمؤمنون زعمت لم يكونوا في شك من ذكر الله ولا في شك من القيامة زعمت، ولا في مرية من لقاء ربهم، وإنا لا نجد زعمت هاهنا مخرجاً ولا حجة ندفع بها ما قلت ؛ لأن تنزيل القرآن يكذبنا زعمت، وقد كتبت هذه في أول مسائلك زعمت، فقلت: إنه قد دخل فيها شيء أحببت تفسيره.

فالجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: ونحن نجيبك فنقول لك إن الله عز وجل قد عرّف المشركين جميعاً من توحيده ورسالة رسله ما عرّف المؤمنين ولا يجوز غير ذلك في عدل الله عز وجل، وإلا لم تلزم المشركين حجة.

ألا ترى كيف قال: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)}** [المؤمنون]، وقوله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}** [سبأ:28]، وقوله عز وجل: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}**[الأعراف:158]، وقوله: **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}** [المائدة:67]، وقوله: **{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(13)}** [الليل]، وقوله: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}** [الحديد:26]، ثم قال: **{لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}** [الحديد:25]، لم يخص أحداً دون أحد بتعريف ولا هدى.

وقال: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}** [البقرة:213]، وقوله: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(33)}** [التوبة].

أفلا ترى أنه أراد أن لا يكون في جميع الأرض كلها دين إلا دينه وحده، ولا دين معه تخييراً وأنه دعا جميع الخلق إلى تعريف ذلك الدين، شاهد ذلك: قوله عز وجل يدل على أنهم قد عُرِّفوا الدين كله حيث يقول: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل:14]، وقوله: **{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(38)}** [العنكبوت]، وقوله: **{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}** [البقرة:144]، وقوله: **{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}**[الأعراف:166].

ثم قال عز وجل الحجة القاطعة التي ليس لأحد بعدها عذر وهي قوله عز وجل: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165].

فأي جهة أقوى من حجة من خُصّ بأمر على صاحبه، وكُلف صاحبه من العمل مثل ما كلف فلما قصر خُلِّد في العذاب المقيم، وقد عُرّف صاحبه من التوحيد ورسالات الرسل زعمت ما لم يعرّف الآخر، وكذلك يقضي قائدكم سدوم في مجلس قضائه !!.

فأما رب العالمين العدل الذي لا يجور فليس هذا حكمه عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

وأما قولك تعتذر عن المشركين وتحتج لهم على رب العالمين، وأنه قصدهم بالجهل وخص المؤمنين بالعلم والهدى مثلما ذكرت أنهم في مرية وشك وذلك مبلغهم من العلم وقولهم لولا يكلمنا الله وجميع ما دفعت به عنهم من الآيات التي جهلت معناها وألزمت الله عز وجل كفرهم وأنهم لم يؤتوا في كفرهم إلا من قِبَله إذ جهلت تأويل المتشابه، ولم تكن من أهل العلم الراسخين فيه فذهبت عن الهدى مذهباً بعيداً ثم قلت لمن غررته من أصحابك وتباعك وأهلكتهم في دينهم: إنا لن نجد هاهنا مخرجاً ولا حجة زعمت لأن تنزيل القرآن يكذبنا على قولك زعمت ؛ فاسمع الآن ما يأتيك من القرآن وغيره من الحجج القواطع بحجة الله عز وجل.

أما قوله عز وجل: **{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}** [فصلت:54]، وجميع ما ذكر ت من الحجج ؛ فذلك الذي فعلوه من المرية والإعراض عن ذكر الله عز وجل والشك في لقائه وأنه مبلغهم من العلم فذلك كله الذي اعتللت به إنما اختاروه بعد إبلا غ الرسل لهم ما حملت إليهم وبعد تعريف التوحيد والفرائض واجتهاد الرسل في دعائهم ونصيحتهم لهم وتعليمهم لهم والحرص عليهم والرفق بهم، فلما صدوا وعتوا واختاروا العمى والجهل على الهدى والطاعة واستعملوا الشك والارتياب والتجاهل بعد البيان سماهم الله عز وجل بما اختاروا من ذلك، ونسب إليهم ما عملوا وقص ذلك عنهم في كتابه.

لا أنهم جهلوا الله عز وجل ولا رسله ولا توحيده ولا خلقه لهم ولا أنه ربهم ولا تبليغ الرسل إليهم.

والشاهد لنا على ذلك وإبطال حجتك: قول الله عز وجل: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}** [الزخرف:87]، وقولهم في الأصنام: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ**

زُلْفَى} [الزمر:3]، وقوله عز وجل: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ(9)}** [الزخرف]، وقوله عز وجل: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(14)}** [النمل]، وقوله عز وجل يشهد عليهم بالبصائر: **{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(38)}** [العنكبوت]، وقوله عز وجل: **{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ(49) قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(50)}** [غافر].

ألا ترى كيف قال: أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات، وأكبر البينات تعريف التوحيد والعدل؟

ألا ترى كيف أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ؟ فأي شك في التوحيد والعدل أو في القيامة بعد إقرارهم بأن الرسل قد جاءوهم بالبينات كما قال الله عز وجل.

كأنك لم تسمع الله جل ثناؤه يقول: **{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}** [الأعراف:166]، وقوله: **{ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل:14]، وقوله: **{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ}** [فاطر:43]، وقوله في فرعون اللعين: **{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [القصص:39]، فأين كانت أذناك عن هذا كله يا أيها الهالك في دينه ؟

وقوله عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(56)}** [غافر]، وقوله عز وجل: **{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(59)}** [غافر].

وكل ما ذكر الله عز وجل عنهم من شك أو مرية أو ارتياب أو جهل أو تجاهل فإنما ذلك كله بعد لزوم الحجة لهم وإبلاغ الرسل إليهم، ووضوح القرآن وقطع عذر جميع من تحت أديم السماء.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(83)}** [غافر]، أفلا ترى أنه عز وجل أخبر أن عندهم علماً ثم قال: **{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ(84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}** [غافر]، وكذلك لم ينفع فرعون إيمانه لما رأى بأس الله عز وجل.

وقوله سبحانه: **{قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ(135)}** [الأعراف]، أولا ترى أكبر شاهد عليك أنهم إنما اختاروا الكفر على الإيمان اختياراً ؛ فلما رأوا بأس الله عز وجل تركوا ما اختاروا من الشرك حين عاينوا العذاب وعُرِضوا عليه، وحيث أرادوا الإيمان آمنوا كما كفروا حيث أرادوا الكفر.

وهذا أكبر شاهد في إثبات العدل وإبطال الجبر في هذه الآية التي قبل هذه الآخرة لنا عليك ثلاث حجج واحدة: في اعتلالك بالعلم، والأخرى قولك: إن الاستطاعة مع الفعل. والثالثة: قولك إنهم مجبورون على الشرك جبراً.

فتراهم حيث أرادوا ورأوا بأس الله عز وجل فأيقنوا بالعذاب كفروا بما كانوا به مشركين حيث أرادوا الرجوع عن الشرك فصح أنه لا جبر كان لزمهم.

والأخرى أنهم كانوا مستطيعين للإيمان قبل فعل الإيمان لما آمنوا حيث أرادوا.

والحجة الثالثة: أنه قد لزمك أن العلم لم يحملهم على الشرك، وأن قولك: إن الله لا يريد أن يؤمنوا فيبطل علمه زعمت [باطل]، أفلا تراهم قد آمنوا حيث أرادوا كما أراد الله منهم أن يؤمنوا تخييراً لا جبراً، ولم يحل العلم بينهم وبين التوبة.

ألا تسمع كيف حكى الله عز وجل عنهم حيث يقول: **{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ(84)}** [غافر]؛ فأي برهان أوضح ؟ وأي حجة أقوى من هذه الحجة الدامغة لكل مجبر على وجه الأرض؟

ثم قال جل ثناؤه: **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ(85)}** [غافر].

وكذلك قال عز وجل في إيمان فرعون سواءً سواءً إنه آمن حيث أراد وكفر حيث أراد ولم ينفعه إيمانه ؛ لأن السُّنَّة قد جرت من الله عز وجل أنه لا يقبل التوبة عند حضور العذاب لأنهم كانوا يستطيعون الإيمان قبل ذلك ؛ ألا ترى كيف قال: **{وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ(43)}** [القلم]؛ لأن الاستطاعة موجودة فيهم قبل الفعل، وإنما يقبل الله التوبة والناس في مهل والإيمان لهم ممكن لأنهم يقدرون عليه ويستطيعونه، ولذلك لم يقبله عز وجل عند حضور العذاب والأخذ بالكظم، وهذا أكبر دليل وأقوى حجة على أن الاستطاعة قبل الفعل، ولذلك لزمتهم الحجة.

وقوله عز وجل: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)}** [فصلت]، أفلا ترى أيها المغبون في عقله أن الصاعقة أخذتهم بكسبهم لا بما ذكرت من أن الله عز وجل أخذهم بلا كسبهم وزعمت أنه أراد منهم الكفر.

ألا تسمعه كيف يقول: {**فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}، ولم يقل: بما خلقت من فعلهم ؛ سبحان الله العظيم ما أعظم ما قلتم على الله عز وجل!!

ومن الحجة عليك في عذرك للمشركين أنهم في مرية وشك، وأنه لا علم لهم ولا بصيرة عندهم، واحتججت بقوله عز وجل: **{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}** [النجم:30]، فأين نسيت قوله عز وجل: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(14)}** [النمل].

وزعمت أنا لا نجد في هذا الموضع حجة ندفع بها قولك جهلاً منك بكتاب الله عز وجل وإعجاباً بالخطأ.

وقوله عز وجل: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(28)**} [فصلت]؛ فهل تسمعه عز وجل يقول كما قلت أو ينسب إلى نفسه ما نسبت إليه من أنه أراد ذلك منهم وقضاه عليهم وخلقه من فعلهم وزعمت أنهم لا عقول لهم ولا بصائر عندهم ولا معرفة توجب عليهم حجة، فأي ظلم أظلم أو جور أجور من ظلم من عذب من هذه صفته، بل عذرتهم وألزمت خالقك خطاياهم، ألم تسمعه عز وجل يخبر أنه خلدهم في النار {**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(82)**} [التوبة]، وجزاءً {**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**} [البقرة:95]، و{**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(17)**} [السجدة]، و{**جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(28)**} [فصلت]، وتبرأ عز وجل مما ادعيت عليه وألزمته من خلق أفعالهم وقضاء الفساد عليهم.

وقوله عز وجل: {**سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(53)**} [فصلت]، ثم قال عز وجل: {**أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ(54)**} [فصلت].

أفلا ترى أيها المغرور إلى المرية إنما اختاروها لأنفسهم واتبعوا الأهواء فيها مكابرة لعقولهم بعدما تبين لهم الحق الذي أعلمك الله عز وجل أنه أراهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، ولزمتهم فيه الحجة وتبين لهم فيه الحق، ثم اختاروا التعامي عن ذلك الحق، فاحتج الله عليهم وعلى غيرهم من الظالمين أنه لا عذر لأحد بعد البيان وإرسال الرسل عَلَيْهِم السَّلام.

وقوله عز وجل: {**أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ(18)**} [الشورى]، أفلا ترى أنهم إنما يمارون بالمشاقة والمكابرة، لا أنهم جُبِروا على ذلك، ولا قُسِروا عليه.

وقوله عز وجل: **{قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا}** [القصص:48]، أفلا ترى أنهم قد كانوا يعلمون بما أوتي موسى، وزعمت أنت أنه لا علم عندهم.

وقوله عز وجل: **{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(183)}** [آل عمران].

ولنا في هذا الباب من الرد عليك من شواهد القرآن ما يطول به الكتاب.

وأما ما ذكرت من المؤمنين أنهم لم يكونوا في شك من ذكر الله جل ثناؤه، ولا في شك من توحيده، ولا في شك من القيامة، ولا في مرية من لقاء ربهم ؛ فنحن الآن نقول لك: خبرنا عن هؤلاء المؤمنين هل هم مجبورون على ما ذكرت لا تخيير لهم كما قلت، أم مخيرون تخييراً ؟

فإن قلت: إنهم مخيرون تخييراً.

قلنا لك: قد لزمك أنك قد رجعت عن قولك وصرت إلى قولنا بالعدل.

وإن قلت: إن الله عز وجل جبرهم على الإيمان جبراً، وعلى أنهم لا يشكون في توحيده، ولا في القيامة، ولا في لقاء ربهم، أعني المؤمنين.

قلنا لك: أخبرنا متى جبرهم الله على هذا الذي ذكرت ؟ أكان ذلك الجبر منهم لهم وهم مشركون قبل أن يؤمنوا أم وهم مؤمنون ؟

فإن قلت: إن الله عز وجل جبرهم على الإيمان بعد ما كانوا مشركين.

قلنا لك: فقد أكذبك الله عز وجل بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ(3)}** [الزمر]، وقوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا(107)}** [النساء]، وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(6)}**[المنافقون]، وقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا(167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا(168) إِلَّا طَرِيقَ**

جَهَنَّمَ} [النساء]، وقوله: **{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ}** [العنكبوت:38].

فاسمع إلى هذه الآيات في مسألتك عن ثمود خاصة كيف جاءك فيه الجواب القاطع لك في براءة الله عز وجل من كفرهم وإضافته لكفرهم إليهم وإلى ما زين لهم الشيطان وصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، فلم يستعملوا تلك البصائر في طاعة الله عز وجل.

وأنت وإخوانك المجبرة تقولون: إن الله عز وجل هو الذي صدهم عن السبيل وأراده منهم وقضاه عليهم وخلقه من فعلهم ؛ فانظر مَن المفتري على الله عز وجل منا ومنكم، والراد لكتابه صراحاً، **{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(111)}** [البقرة].

ثم يلزمك بعد ذلك أنه لا حمد لهم ولا شكر ولا أجر تجب به الجنة لو كانوا مكرهين على الإيمان وإذاً لم يجز في حكمة الحكيم الصادق أن يقول: **{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(17)}** [السجدة]، ولم يقل: **{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(18)}** [الذاريات]، وقال: **{بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)}** [الحاقة]، وقال: **{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا(30)}** [الكهف].

وإن قلت: إنه جبرهم من بعدما هم مؤمنون.

قلنا لك: فقد لزمك أن أصل إيمانهم كان بلا جبر، وبطلت دعواك.

ثم زعمت أنه جبرهم بعدما اختاروا هم الإيمان زعمت وصار فعلهم للإيمان باختيارهم لا بجبره لهم على الإيمان، ثم جبرهم زعمت على أن لا يكون منهم شك في توحيده ولا قيامته، ولا مرية من لقاء ربهم زعمت بعدما لزمك أن إيمانهم كان بلا جبر ولا قسر.

ويلزمك أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً، وكل مجبور على شيء لا تجب له مكافأة ولا يعقل هذا الذي قلت في لغة العرب ولا في خطابها ولا غير ذلك.

وشاهد ذلك قوله عز وجل: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(60) فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(61)}** [الرحمن]، وقوله: **{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا}** [الأنعام:164]، وقوله: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا**

يَرَهُ(8)} [الزلزلة]، وقوله: **{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا(63)}** [مريم]، وقوله: **{وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}** [النساء:100]، ولو كان مجبوراً لم يوجد في العقول أن له أجراً، إلا أن تزعم أنه يجوز في اللغة أن باب دارك إذا أغلقته عليك أن له حمداً أو شكراً، وإذا فتحته وجب له حمد وشكر وأجر، وأنت المحرك له والفاتح.

فإن كان لعمرك هذا يجوز في لغة العرب ولا يذم قائله فلا بأس بما قلت، وإن لم يجز عند العرب وكان قائله في العقول مذموماً لم يجز ما قلت، وهذا القرآن أكبر شاهد عليك، قال الله عز وجل: **{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)}** [آل عمران]، والأجر لا يكون إلا للعاملين، ولا جيب للمجبورين.

وقوله عز وجل: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39)}** [النجم]، وقوله: **{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا(19)}** [الإسراء]، فهل تراه أدخل الجنة أحداً بلا عمل، أو أدخل النار أحداً بلا عمل، ولا تجد ذلك أبداً إلا أن تجد سمكاً في الهواء وطيراً في أسفل الماء، فإن وجدت ذلك فسوف تجد آية توجب لأحد من بني آدم الجنة أو توجب عليه النار بلا عمل عمله ولا أمر استحقه إلا أن يكون طفلاً أو مجنوناً لا عقل له أو معذوراً ممن عذره الله في القرآن، فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً، ولو جهدت جهدك ؛ لأن الباطل لجلج والحق أبلج، وكفى بهذا باهراً وكاسراً عليك.

ومن الدليل لنا على أن الله عز وجل قد عرّف المشركين من الدعاء إلى توحيده ما عرّف المؤمنين: إقرار أبي طالب بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه بأن الله عز وجل هو الذي أرسل محمداً، وأن محمداً رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأن الله ربه وخالقه، من ذلك قوله:

ألا أبْلِغا عني على ذات بيننا　　　لؤيّاً وخُصّا من لؤيّ بني كعْبِ

ألم تعلموا أنَّا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ في أول الكتبِ
وأنَّ عليه في العباد محبَّةً ولا خير ممن خصه الله بالْحُبِّ
وأنَّ الذي سودتمُ من كتابكم لكم كائنٌ نحساً كراغية السَّقْبِ
وهي أبيات اختصرناها.

أفلا ترى إلى إقراره بالله عز وجل وبوحدانيته ونبوة نبيه وإقراره بموسى صلى الله عليه وإقراره بناقة ثمود حيث قال:

وأنّ الذي سودتم من كتابكم لكم كائنٌ نحساً كراغيةِ السّقْبِ
وراغية السقب هي ناقة ثمود.

يقول لقريش: إن الكتاب الذي كتبوه على النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم وعلى بني هاشم في قطيعة الأرحام سوف يكون نحساً عليهم كما كانت الناقة نحساً على ثمود، وله أيضاً:

والله لا أخذلُ النبي ولا يخذله من بنيَّ ذو حسبِ
حتى ترون الرؤوس عاثرةً منا ومنهم بالْقُطَّعِ القُضُبِ
وترجعُ الخيلُ بعد شَدَّتِها مردودةً نحو وجهةِ الهربِ
نحن وهذا النبي أسرتُهُ نضربُ عنهُ العداةَ بالشُّهُبِ
بمُرْهَفَاتٍ عن هاشِمٍ وُرِثَتْ بيضٍ خفافٍ وعبدِ مطلبِ
إنا إذا رام ضيمَهُ أحدٌ لم يذُقِ الموتَ ألأمُ العربِ
إنَّ علياً وجعفراً ثقةٌ عند شِدَادِ الأمورِ والْكُرَبِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمِّكُما أخي لأمِّي من بينهم وأبِي

أفلا ترى إلى هذا الإقار وجودة المعرفة بالله عز وجل وبرسوله وأنه غير منكر لذلك ولا جاهل به، ولكن منعته العصبية وحمية الجاهلية أن يفارق دين الأصنام، ولقد علمت ما جاء في الأخبار حيث سأله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُسْلم ويضمن له على الله الجنة، فقال: يا ابن أخي إني لأعلم أن ما قلت حقّ غير أني أخاف أن تقول نساء قريش جزع أبو طالب عند الموت، والدليل على صدق ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوَسَّدَ في التُّرَابِ دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضَةً أبشِرْ وقَرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمتَ أنك ناصحي ولقد صدقت بما زعمت يقينا
وعَرَضْتَ ديناً قد علمِتُ بأنهُ مِنْ خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذاري سُبَّةً لوجدتني سمحاً بذاك مُبِيْنا

وقد كان في قريش وغيرها من هو على مثل رأي أبي طالب كثير غير قليل مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة وما روي عنهما من التصديق بالنبي صلى الله عليه في كتاب المغازي حيث أخبرهما عداس غلامهما عن النبي صلى الله عليه.

ولولا طول الكتاب لفسرنا كثيراً من ذلك، فأبو طالب قد علم وصح عنده أن محمداً صلوات الله عليه وعلى آله وسلم رسول من الله لا شك في ذلك عنده، وأن الله الواحد الذي بعثه وإلهه الذي خلقه، ألا ترى إلى قوله في شأن الصحيفة حيث يقول:

ألا هل أتى إخوانَنا صنعُ ربِّنا على نأيهم والأمر بالنّاس أَرْوَدُ
ألم يأتهم أنَّ الصحيفة مُزِّقَتْ وكلُّ الذي لم يرضهُ اللهُ مُفْسَدُ
تداعى لها إِفْكٌ وسحرٌ مُجَمَّعٌ ولم تُلْفِ سِحراً آخر الدهر يَصْعَدُ
تَرَاوَجَهَا من ليس فيها بِمُثْبِتٍ فطائرُها في رأسها يتردَّدُ

فلم يك في شك من الخالق ولا من النبي صلى الله عليه، ولكن منعته الحمية واتباع الهوى بلا جبر ولا قسر، فلم يرد أن يؤمن، وهو قد عرف الحق أين هو ومع من هو.

فإن قال قائل منكم أو من غيركم: إنما امتنع أبو طالب من الإيمان لأن الله لم يرد أن يؤمن لما علم أنه لا يؤمن، ولو أراد منه الإيمان لكان ذلك يوجب على الله أنه أراد منه أن يبطل علمه.

قلنا لكم: فنحن نزيدكم في تأكيد الحجة لكم في ذلك من القرآن حتى نعطف عليكم بما لا مخرج لكم منه بحول الله وقوته:

قال الله عز وجل في آية من كتابه نزلت في أبي طالب وهي قوله: **{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(26) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(27)}** [الأنعام]، أفلا ترى أن فيه الاستطاعة ثابتة قبل الفعل.

فنقول لكم: أليس قد أخبر الله عز وجل عن قول أبي طالب يوم القيامة إذا وقف على النار وقد علم أنه لا يؤمن ؟

فإذا قلتم: نعم.

قلنا لكم: فأخبرونا عن قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لعمه أبي طالب عند الموت: ((يا عم قل لا إله إلا الله وأقر بأني رسول الله أضمن لك بها على الله عز وجل الجنة غداً))، فقال: إني لأعلم أن الذي قلت كما قلت، ولكني أخاف أن تقول نساء قريش جزع أبو طالب عند الموت.

فنقول لكم: أرأيتم لو أسلم أبو طالب كما طلب منه النبي صلى الله عليه هل كان النبي يفي له بما ضمن له على الله عز وجل أم لا يفي له به ؟

فإن قلتم: لم يكن ليفي له بما ضمن له ؛ كفرتم بضمان رسول الله صلى الله عليه، وألزمتموه أنه طلب من عمه أمراً لا يجوز عند الله، وأنه الله يخفر فيه ضمانه، وخرجتم من

قوله: **{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** [النساء:80]، وقال:**{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}** [النور:54]، وقال: **{وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}** [الحشر:7].

وإن قلتم: نعم لو أسلم أبو طالب لوفى له رسول الله صلى الله عليه بذلك الضمان لا شك فيه ولا مرية.

قلنا لكم: فنراكم الآن قد أوجبتم ولزمكم أن علم الله عز وجل لا يحول بين أحد من الناس كلهم وبينطاعة الله، بعدما أنزل في أبي طالب هذه الآية لم ييئس رسول الله صلى الله عليه من توبته ورجعته لعلمه أنه مخير قادر على التوبة غير مجبور على الكفر، ولا مقسور ولا مخلوق فعله ومقضي عليه ظلمه، ولا مقدَّر عمله ولا مراد كفره، ولا العلم مانع له من الرجوع إلى الحق.

فلما كان الأمر على ما قلنا بواضح الحجة والصدق الذي لا كذب فيه طلب إليه رسول الله صلى الله عليه أن ينطق بتوحيد الله، أن يعتقده في قلبه ويقر أنه رسول الله ويضمن له على الله عز وجل الجنة، فكره ذلك وأخذته الحمية ولو فعله فقاله بلسانه واعتقده في قلبه لم يُمْض الله عز وجل عليه حكم الآية لأنه قد فتح باب التوبة وجعل إليه السبيل، وسهّل إليه الطريق، ومكَّن فيه الاستطاعة، ولم يحُلْ بين أحد وبين الطاعة بعلم ولا غيره من جميع الأشياء.

فهذه من أكبر الحجج عليك وأقطعها لمقالتك وفريتك على الله جل ثناؤه، فافهم ما سألتنا عنه من قول الله عز وجل: **{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)}**[فصلت]، ألا ترى إلى قوله: {**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}، أو لا ترى إلى قول صالح صلى الله عليه: **{وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ(64)}** [هود]، فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم، ويحك فهل تجد الله عز وجل أخبرك أنه شرك في فعلهم في شيء من جميع ما افتريته عليه.

وفي هذا كفاية لمن عقل، وأنت تجعل لهم الحجة على الله جل ثناؤه، وتخلصهم من العمى الذي اختاروه وتضيفه إلى ربك حتى يفلجوا ويبطلوا القرآن، **{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(32)}** [التوبة]، فاسمع ما ورد عليك من الحجج التي لا مخرج لك منها، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات]، أليس قد زعمتم أن كل من خُلِق لشيء فقد جبر على ذلك، وأن الله لم يخلق الجن والإنس لجنة ولا لنار ؟! فأخبروني عن قول الله سبحانه: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}**، أليس إنما خلقهم للعبادة ؟

فإن قالوا: نعم.

فقل: فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم الله ؟

فإن قالوا: إنه إنما عنى بهذا أي إنما خلقتهم لأن آمرهم بالعبادة ؛ فإن قالوا كذلك، نقول: فقل أفليس قد يجوز لنا أن نقول: خلقوا للنار على غير وجه الجبر ؟

فإن قالوا: بلى، فقل: فلِمَ عبتم ذلك علينا ؟

وإن قالوا: لا ؛ فقل: فكل مخلوق لشيء إذاً فهو مجبور عليه، وقد جبر الله الناس على عبادته فعجز عن ذلك تعالى عما يقولون علواً كبيراً، الله أعز وأقهر [من] أن يريد شيئاً فلا يكون أو يجبر شيئاً على شيء فيعجزه.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلى الله عليهما: وسألت عن قول الله سبحانه: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات]، وقلت: إنا نقول: إن من خُلِق لشيء فقد جبر عليه وكفى بهذا الكلام عليك فضيحة ونقضاً وثلباً عند أهل العلم، وما تأتي من الجهل والعمى والتخليط، لا أنت تحسن أن تسأل كما يسأل الرجال، ولا أنت تأتي بقولنا في العدل على وجهه.

وليس العجب منك، العجب ممن أطاعك على قولك من الجهال، واعتقد جهلك وتخليطك في السؤال ولم يميزوا عليك وذلك لإعجابهم بك فأنت وهم كما قال الله عز وجل في فرعون: **{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(98)}** [هود].

فهل بلغك قط أن عدلياً يقول إن الخلق لم يخلقوا لجنة ولا لنار ؟

وزعمت أن من قولنا: أن كل من خلق لشيء فقد جبر عليه ؛ فنحن نقول لك الآن: فما قولك أنت ؛ أكل من خلق لشيء فليس هو بمجبور عليه ؟

فإن قلت: نعم ليس من خلق لشيء هو مجبور عليه بطلت دعواك كلها في جميع ما قلت من أن الله عز وجل جبر العباد على الكفر والإيمان، وخلقهم وأراد منهم أن يكون بعضهم كافراً وبعضهم مؤمناً، كذا قلت.

وإن قلت: إن الله عز وجل جبر الكفار جبراً على الكفر وكذلك فعل بالمؤمنين جبرهم على الإيمان ؛ أكذبك الله عز وجل في كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل صلى الله عليه حيث يقول: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ}** [النساء:64]، وقوله: **{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]، وقوله: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)}** [المدثر]، وقوله: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(65)}** [النساء].

أفلا ترى أنهم لا يصح لهم إيمان حتى يصيروا على هذا الشرط، أفهذا قول من جبرهم على طاعة أو معصية ؟

وأما قولك لنا: فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم ؛ فهذه المسألة راجعة عليك لأنك أنت المجبر ونحن العدليون.

ونحن نقول لك: أخبرنا عن خلقهم لهم للعبادة ؛ ما بالهم لم يعبدوه كلهم ؟ وإنما عبده الأقل منهم ؛ لأنه قال: **{فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(89)}** [الإسراء]، وقال: **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(59)}** [غافر].

فإن قلت: كذلك أراد منهم وقضى عليهم أن يكون بعضهم مؤمناً، وبعضهم كافراً، وهو لعمر الله قولك، قد احتججت به في كتابك هذا.

قلنا لك: فأخبرنا عن قول الله عز وجل: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات]، أصدق فيه أم لم يصدق ؟

فإن قلت: لم يصدق ؛ كفرت وحلّ قتلك.

وإن قلت: صدق.

قلنا لك: فما بال العباد لم يعبدوه كما خلقهم للعبادة ؟

فإن قلت: غلبوه وعجز عنهم ؛ كفرت وخرجت من دين الإسلام، فلا بد لك بالاضطرار وأنت راغم الأنف من أن تقول: لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته لا من عجز ولا من ضعف.

فنقول لك: فأخبرنا ما العلة التي قعدت بهم عن العبادة فأخرجتهم عن الطاعة والعبادة التي خلقوا لها ؟

فلا تجد علة تعتل بها ولا حجة تجيبنا ولا وزراً تلجأ إليه إلا الإقرار بأنهم مخيرون في العبادة غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين، وذلك هو الحق لا بد لك من ذلك أحببت أو كرهت لاضطرار الحجة الخانقة لك التي لم توجدك سبيلاً إلى كذب على الله عز وجل ولا فرية عليه.

فافهم هذه الحجة الدامغة لك ولأصحابك المجبرة التي غرقتم في بحرها، فإن مثلك مثل الشاة التي تنحثّ على الشفرة لتذبح بها.

ثم نقول لك من بعد هذا: إن الله عز وجل خلق الجن والإنس والملائكة ليعبدوه مخيرين لا مجبورين ولا مكرهين، ولو أراد لجبرهم على العبادة جبراً وقسراً وقهراً فلا يكون تحت أديم السماء أحد إلا عابد لله عز وجل.

وشاهد ذلك قوله لنبيه صلى الله عليه: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(99)}** [يونس]، فأخبره عز وجل أنه لو شاء لآمنوا كلهم جميعاً جبراً وقسراً حتماً ثم لا يكون لهم حمد ولا أجر، ولكان في ذلك الكفاية عن إرسال الرسل وإنزال الكتب.

وقوله: {**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**} يعني أنه لا يقدر على إكراه القلوب وجبرها على الإيمان وغيره إلا الله القوي القادر، وليس النبي صلى الله عليه ولا غيره من جميع الخلق يقدر على إكراه القلوب، وإنما يقدر على إكراههم بالسيف كما أمر حتى يعبدوا الله حقاً حقاً.

وقوله: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}** [الأنعام:107]، يقول: إنه لو أراد أن يجبرهم حتى لا يقدروا على الشرك لفعل ذلك، وما كان من نظائر هذا كله في معنى واحد يقتضي أنه عز وجل لو أراد ما عصاه مخلوق جبراً وقسراً، ولكنه خير تخييراً ليعمل كل منهم ما أراد وما اختار، ولذلك بان العدل والحكمة واستحق الثواب والعقاب إذ جعل الأمر بالدين فرضاً افترضه على عباده تخييراً لا جبراً وهذا هو الحكمة والعدل.

والدليل لنا على ذلك والشاهد لنا فيه: قوله عز وجل: **{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(42)}** [الأنفال]، وقوله عز وجل: **{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}** [آل عمران:179]، وكفى بهذا القول حجة شافية لمن عقل وأنصف، ولو لم تكن بينةٌ لم تلزم حجة ولم تثبت حكمة ولم يقم عدل، فهذا جواب مسألتك، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولك: إنه يجوز أن تقول: إنهم خلقوا للنار على غير وجه الجبر ؛ فليس هذا قول من له عقل ولا أدنى معرفة يحتاج أن يناظر بهما الرجال ومناظرة الرجال لا تكون بالمحال ؛ لأنه

ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب، وإنه يلزمك إن جاز عندك أن يخلق الله عز وجل خلقاً للنار على غير وجه الظلم والجبر ويدخل المشركين الجنة على غير وجه الجور والجبر ولا فساد في ذلك ولا خروج من حكمة ولا عدل، وهذا أعظم ما يكون من العمى والتجاهل والكفر والاستخفاف بدين الله جل ثناؤه، وبكتبه.

كذلك يلزمك أن يقول القائل لليل: هذا نهار، وللنهار: هذا ليل، وللقائم: هذا قاعد، وللقاعد: هذا قائم، وللنائم: هذا يقظان، ولليقظان: هذا نائم ؛ وهذا قول المجانين ؛ فأما الأصحاء فلا يقولون كما قلت، وإنما الجأك إلى هذا القول الاضطرار وعدم الحجة والجهل بمعاني اللغة العربية، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قوله عز وجل: **{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}** [آل عمران:178]، أليس قد أراد الله أن يملي لهم ليعصوا ؟ أفليس قد أراد الله أن يملي لهم لتكون المعصية ؟

فإن قالوا: بلى ؛ قل: أفليس قد أراد الله عز وجل أن يملي لهم لما هو شر لهم لأن الإثم شر لهم من الطاعة، فقد صنع الله بهم ما هو شر لهم ؛ لأن الإملاء شر لهم لأنهم يزدادون إثماً ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فقد أراد الله لبعض العباد أن يكون منهم الشر لما علم منهم ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد تركوا قولهم إن الله لا يريد بالعباد ما هو شر لهم، ودخلوا في قولك.

وإن قالوا: إن الإملاء والإثم خير لهم ؛ قل: أفليس المعصية خير للعباد، والمعصية خير لهم من الطاعة، وثواب المعصية خير لهم من ثواب الطاعة ؟ وإنما نعني الذين أملى الله لهم ليزدادوا إثماً.

فإن قالوا: نعم إن المعصية خير لهم من الطاعة ؛ فإن الله عز وجل يكذب قولهم بقوله: **{قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا}** [الحج:72]، وبقوله: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ}** [آل عمران:180]، وأشباه هذا من كتاب الله عز وجل.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: **{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}** [آل عمران:178]، وقلت إن الله سبحانه أملى لهم ليزدادوا إثماً وأرادهم بذلك جبراً وقسراً بلا سبب ولا أمر استحقوه، وهذا قولكم وإليه يؤول مذهبكم.

وزعمت أن الله عز وجل أملى لهم لتكون المعصية منهم، والله تبارك وتعالى لا يبدأ أحداً من خلقه بظلم ولا جور ولا يجبره على أمر يدخل به النار ولا يريده منهم ولا يقضيه عليهم، وإلا فأين قوله عز وجل: **{إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(65)}** [الحج].

وإنما تكون الآية في القرآن على وجه حكم الله عز وجل بها على مستحق استحقه باختياره لنفسه، واتباع هواه ولها آيات تفسرها وتدل على معانيها، والله عز وجل يقول: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}**[النساء].

وأنت وإخوانك المجبرة لا تعقلون ذلك ولا تهتدوه إلى معاني العدل فيه، فأنتم تخوضون في سكرة وحيرة تريدون أن تقوموا بعذر جميع الكفار، وأن الله عز وجل إنما أملى لهم زعمت ليزدادوا كفراً به ومعصية له، وليس الحكيم يريد أن يُعصى ولا يكفر به سبحان الله ما أعظم هذا من القول.

وإنما أملى لهم عز وجل لكمال الحجة، ولأنه تبارك وتعالى قد فتح باب التوبة رحمةً منه لخلقه وتفضلاً وتعطفاً وتطولاً عليهم وجعله سبباً للرجوع إلى الطاعة، فمن أراد أن يتوب تاب لا مكرهاً ولا مجبوراً، ومن أراد أن يصر على الكفر أصر لا مكرهاً ولا مجبوراً، فصار ذلك الإملاء حجة عليهم لأن الله عز وجل يقول: **{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ(37)}** [فاطر]، فسماهم ظالمين وصار ذلك التعمير حجة عليهم، وذلك الإملاء شراً لهم إذ لم يقلعوا عن المعاصي ويسارعوا بالتوبة والإنابة والأمر ممكن.

ومثل ذلك قوله عز وجل: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(64)}** [النساء]، وهذه الآية مما يحتج بها القرامطة على الجهال من العوام يقولون لهم إنما عنى بقوله: {**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**} يعنون بذلك المهدي لقوله زعموا: {**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ** يا محمد، **فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ**، ثم قال: **وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**} يعنون الذي يجيء بعدك، وهذا كفر بالله العظيم وجهل باللغة العربية.

والحجة عليهم في ذلك قول الله سبحانه: **{حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ}** [يونس:22]، أفلا ترى أنه يخاطبهم بقوله: **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ**، ثم صار آخر الكلام إلى قوله: **وَجَرَيْنَ بِهِمْ**، وهذا ما لا تعقله القرامطة، ولا تهتدي إلى اللسان العربي فيه لأن هذا جائز في اللغة لغة العرب موجود في مخاطباتها، يقول الرجل لأمير وهو مواجهه: أعز الله الأمير قد فعلتَ بي كذا وكذا، وإن رأى الأمير أعزه الله أن يفعل لي كذا وكذا ؛ فهذا جائز في اللغة، قال الشاعر يرثي رجلاً:

يا لهفَ كفِّي صارَ غُرَّةُ خَالِدٍ وبياضُ وجهِكَ لِلتُّرابِ الأعْفَرِ

ألا تراه كيف قال في أول بيته كأنه يخاطب رجلاً غائباً ثم صار آخر البيت وآخر الخطاب على رجل مشاهد ؛ فهذا أكبر حجة.

رجع الكلام، ثم نقول لك: أخبرنا عن قول الله عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ(25)}** [محمد]، أليس هذه الآية في كتاب الله عز وجل ؟

فلا بد لك من: نعم ؛ فنقول لك: أخبرنا عن إملاء الشيطان لهم هو الإملاء الذي أملى الله لهم بعينه أم لا ؟

فإن قلت: نعم هو الإملاء الذي أملى الله لهم.

قلنا لك: فما الفرق بين إملاء الله عز وجل، وبين إملاء إبليس ؟

فإن قلت: هو إملاء واحد ؛ لزمك ووجب عليك أن الشيطان شريك لله عز وجل في فعله بعباده، وأن فعلهما واحد لا فرق فيه.

وإن قلت: إن إملاء الله عز وجل شيء على حدة وإملاء الشيطان شيء آخر غيره.

قلنا لك: ففسر لنا ذلك حتى تفرق لنا بين إملاء الله سبحانه وبين إملاء الشيطان.

فإن قلت: إن إملاء الله عز وجل إنما هو جبر جبرهم عليه وقسر قسرهم على فعله من المعاصي ؛ لزمك أن القرآن الذي أنزله الله سبحانه حجة له على خلقه، ودليلٌ على عدله باطل محال من قوله، **{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(33)}** [النحل]، وقوله: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}** [الروم:41]، وقوله: **{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205)}** [البقرة]، وقوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، وقوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل عمران]، وقوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117)}** [هود]، وقوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا}**[القصص:59]، وقوله: **{لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ(28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(29)}** [ق]، وقوله: **{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)}** [الإنسان].

فاسمع أيها المغرور في دينه إلى قوله عز وجل: {**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**}؛ فأخبر عز وجل أنه قد هدى الخلق كلهم جميعاً الشاكر منهم والكافر وامتنّ عليهم بالتعريف والدعاء إلى الحق والبيان والرسل والكتب، فبدأهم بالهداية والمنة العظيمة والنعمة الجليلة والإحسان والتفضل الذي لا تبلغ له غاية وأخبر أنه هداهم السبيل، ولم يجبرهم على المعاصي.

وكفى بهذه الآية برهاناً وعدلاً لو كان لها من يقبلها أو يقبل ما فيها من العدل، ونفي الجور عن الله عز وجل، والبراءة له من أنه أراد أن يملي لهم لتكون المعصية منهم، وليزدادوا كفراً به زعمت، وأسقطت قوله عز وجل: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165]، وقوله عز وجل: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، وقوله: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}** [الشورى:30]، وقوله: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}** [البقرة:109]، ولم يقل من عنده.

وقوله: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، وقوله: **{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)}** [طه]،

وقوله: **{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(24)}** [البقرة]، مع آيات تكثر وتجل ؛ فهذا كله يلزمك إن قلت إن الله أملى لهم قسراً وجبراً وعمداً لتكون المعصية منهم.

وإن قلت: إن إملاء الشيطان لهم قسر وجبر وإكراه ؛ لزمك أن الشيطان له من المقدرة والقوة والسلطان على جبر العباد مثل ما لله عز وجل ؛ أكذبك الله جل ثناؤه حيث يقول يحكي عن الشيطان واحتجاجه عليهم يوم القيامة: **{وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)}** [إبراهيم]، ولم يقل: فلا تلوموا أنفسكم ولوموني.

وقوله: **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا(76)}** [النساء]، وقوله: **{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(16)}** [الحشر]، فلا تجده في هذه الآية فعل شيئاً غير القول والدعاء إلى الكفر، قال الله عز وجل: **{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ**

الظَّالِمِينَ(17)} [الحشر]، ولم يقل إنه شريك في ذلك الظلم، ولا بمريد له عز عن ذلك رب العالمين.

وإن قلت: إن إملاء الشيطان لهم إنما هو خديعة واستمالة للدنيا والشهوات والترغيب في الفواحش والتزيين للمعاصي ؛ لزمك أنك إن قلت إن الله عز وجل يفعل بهم ذلك من الخديعة والدعاء إلى الشهوات والترغيب في الفواحش والتزيين للمعاصي أن ليس بين إضلال الله عز وجل لخلقه وبين إضلال الشيطان فرق بوجه من الوجوه.

وإن قلت: بل إضلال الله لهم هو الجبر على المعاصي لزمك من تكذيب القرآن لك ما قد قلنا ؛ فاختر أي هذه الوجوه شئت فلا فرج لك ولا راحة ولا مخرج في أيها قلت به.

إلا أن تقول إن إملاء الشيطان لهم غرور يغرهم به وخديعة وتزيين ؛ فيلزمك أنهم أتوا في كفرهم من قبل أنفسهم ومن قبل الشيطان، وأنهم لم يؤتوا في ذنوبهم من قِبَل الله عز وجل بوجه من جميع الوجوه كلها ولا بسبب من جميع الأسباب كلها، وذلك هو الحق، وهو قولنا بالعدل، وهو دين الله عز وجل الذي تعبد به الأولين والآخرين.

وإلا فيلزمك أن الله يفعل بخلقه كفعل الشيطان وأن الآيات التي تبرأ فيها من ظلم خلقه إنما هي على وجه الْطَنَز والاستهزاء والهذيان والخروج من الحكمة، وأنها أنزلت لغير معنى، وأن ليس لها حقيقة في الصدق، وأنه أخبرنا في كتابه بغير حق من قوله: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل عمران]، **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، **{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ(76)}** [الزخرف]، ومثل هذا كثير في القرآن.

ولا صدق في العدل والقيام بالحكمة، وإنما تحتمل تأويلاً يفسدها ويحيلها عن العدل والحكمة ؛ فإن قال ذلك قائل فقد كفر بالله العظيم وخرج من دين الإسلام.

وإن قال: بل هي على الحقيقة والصدق والصحة وواضح البرهان لزمه أن القول قولنا، وأن العدل هو دين ا لله عز وجل ودين ملائكته ورسله والمؤمنين من أهل الطاعة، وأن الجبر هو دين الشيطان ودين عبدالله بن يزيد البغداذي ومن قال بقوله، وبان كذبه في قوله علينا أن ديننا هو دين الشيطان.

ومن الحجة لنا في الإملاء أيضاً: قوله عز وجل: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(179)}** [الأعراف]، يعني عز وجل أنهم اختاروا ذلك كله، ولم يستعملوا الجوارح التي خلقها لهم في طاعته ولم يصغوا بها إلى كتبه ورسله، فاستحقوا بذلك أنه صيرهم في حكمه وعدله ذرءاً لجهنم لا أنهم صيرهم ذرءاً لجهنم جبراً ولا قسراً ولا حتماً ولا على غير جرم ولا ذنب ولا على غير استحقاق لزمهم به الخلود في النار عز عن ذلك، وإنما أخبر عز وجل بصيورة أمرهم إلى ما يؤول، وذلك جائز في لغة العرب أن يخبر الرجل بما يعلم أن إليه يصير الأمر الذي قد عرفه وأيقن به أنه سوف يكون كذلك، قال الشاعر في نحو ذلك:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وليس جمعه للأموال ولا بناؤه للدور على عمدٍ منه وقصدٍ أن يجعله للورثة وربما كان الورثة أبغض الخلق إليه، وإنما أخبر بما علم أن المصير إليه من جمع المال وعمارة الديار إذ لا يبقى على الأرض مطيع ولا عاصٍ فأخبر عن علمه بما تصير إليه الأمور، وكذلك أخبر الله عز وجل عن هؤلاء أنهم سيصيرون ذرء لجهنم بما قدموا واستحقوا، قال آخر:

وللموت تغذو الوالداتُ سِخَالَهَا كما لخراب الدهر تُبْنَى المساكِنُ

والوالدات ليس يغذين سخالهن للموت لا محالة، ولا للخراب تبنى المساكن قصداً لذلك من الغاذين للأولاد ولا من العامرين للديار، وإنما أخبر بعلمه إلى ما يصير إليه ذلك كله فجاز هذا في اللغة العربية .

وإنما وقع أكثر الجبر في هذه المجبرة لجهلهم بتصاريف اللغة العربية وعميق بحارها وشرف قدرها، فلما لم يعلموا حقائق اللغة العربية قالوا بالجبر، وألحدوا في صفة الله جل ثناؤه وفارقوا أهل الحق وتركوا القول بالعدل فتوارث ذلك قوم عن قوم وقلدوا فيه الكبراء وصار عندهم ديناً يدان به من خالفه عندهم فقد كفر وفارق السنة والجماعة، فعلى هذا كان العمل في الأوائل، والله المستعان، وإياه نسأل أن يعز دينه وينتصر لكتابه إنه قوي عزيز.

ومن ذلك قوله عز وجل: **{فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}** [القصص:8]، أفَتَرى أن آل فرعون التقطوا موسى ليكون لهم عدواً وحزناً ؟ معاذ الله ما كان ذلك، ولا التقطوه إلا ليكون لهم ولياً وعضداً وولداً، فأخبر الله عز وجل عن آخر أمره لهم ما يكون وأنه يصير لهم عدواً وحزناً مثل قوله: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ}** [الأعراف:179]، لعلمه بآخر أمرهم إلى ما يؤول فأخبر عز وجل عن العاقبة، وعلى أن التقديم والتأخير جائز في القرآن في مواضع كثيرة، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليك في نقض الإملاء الذي ادعيت فيه الجبر: ما جاء في التفسير في قوله عز وجل: **{إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}** [آل عمران:178]، إنما يعني بذلك إنما نملي لهم لأن لا يزدادوا إثماً، وهذا من عجائب اللغة العربية وغامضها، وشاهد ذلك عند أهل التأويل والمعرفة: قوله عز وجل: **{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(29)}** [الحديد]، يريد بذلك ليعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله، فأدخل لا في هذا الموضع صلة للكلام لأن العرب تفعل ذلك في كلامها وتدخل (لا) لغير حاجة إليها، قال الشماخ بن ضرار الثعلبي:

أعائشَ ما لأهلِكِ لا أراهُمْ يُضيعُونَ السِّوَام مع الْمُضِيعِ

فقوله: لا أراهم هاهنا زائدة، والمعنى فيه: أعائش ما لأهلك أراهم يضيعون السوام مع المضيع ؛ فأدخل لا صلة للكلام.

فافهم هذا الباب، وهذه اللغة العربية التي نزل القرآن بلسان أهلها، وقال الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4]، ولكن لا معرفة عند المجبرة باللغة العربية ولذلك اعتقدوا الجبر ديناً.

ومن الحجة أيضاً فيما قلنا في هذا الباب: قول الله عز وجل: **{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(7)}** [الفاتحة]، والمعنى فيه: غير المغضوب عليهم والضالين، فدخلت (لا) صلة للكلام، وقوله عز وجل: **{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ}** [يونس:98]، يريد بذلك وقوم يونس فأدخل (لا) صلة للكلام مثل الأول، قال الشاعر:

وكل أخٍ مفارِقُهُ أخوهُ　　　　لَعَمْرُ أبيكَ إلا الْفَرْقَدَانِ

فجعل (لا) بدلاً من الواو والمعنى فيه: وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك والفرقدان أيضاً يفترقان لأنه لا بد من فراق الفرقدين، ولو كان الشاعر عنى أن كل أخ يفارق أخاه إلا الفرقدين أي أنهما لا يفترقان لأوجب بذلك أن الدنيا لا تزول أبداً وصار إلى قول الدهرية وإن الفرقدين لا يفترقان أبداً فيكون هذا كفراً من قائله وجحوداً للوحدانية، ومجيء الآخرة وقيام الساعة فأدخل (لا) صلة للكلام وهو لا يريدها إلا لقوام اللغة وما فيها من العجائب.

وقوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ}** [الأنبياء:31]، فيقول القائل: هذا يوجب أن تميد بهم، فيقال: إنما المعنى فيه وجعل فيها رواسي أن لا تميد بهم، كقوله: **{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا}** [النساء:176]، يريد يبين الله لكم أن لا تضلوا فأسقط (لا) من الكلام، قال عمرو بن كلثوم الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا فعَجَّلنا القِرَى أنْ تشتُمُوْنَا

فطرح (لا) من الكلام وإياها أراد ؛ لأن المعنى فيه: أن لا تشتمونا، وقال آخر:

ونركبُ خيلاً لا هوادَةَ بينها وتسعى الرماحُ بالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ

والضياطرة هي رجال والرماح لا تسعى بالرجال، وإنما الرجال تسعى بالرماح ؛ فجاز هذا في اللغة العربية.

وقال الله عز وجل: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِيْنَ}** [البقرة:184]؛ يريد بذلك وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مساكين لأنه لا يجوز أن تكون الفدية على من يطيق الصيام، فلِمَ يفتدي إذا كان مطيقاً فطرح (لا) من الكلام وإياها أراد.

وقوله عز وجل: **{مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}** [القصص:76]، يريد أن العصبة أولي القوة لتنوء بمفاتحه، وهذا جائز في لغة العرب، قال الشاعر:

حتى لحقنا بهم تعدو فوارسُنا كأنَّنا رَعْنُ قُفٍّ يرفعُ الآلَ

والآل هو السراب عند العرب، والسراب هو الذي يرفع القف، فقلب الشاعر المعنى لأن السراب هو الذي يرفع الأشياء وليست الأشياء التي ترفعه.

ومن الشواهد في لغة العرب: قول أبي طالب بن عبدالمطلب يرثي جده، حيث يقول:

جدي الذي حجّت قريشٌ قبرَهُ أيَّام مات فما تريدُ زِيَالا

وله تحالفت القبائلُ كلُّها جزعاً عليه يلبسونَ نعالا

يريد لا يلبسون نعالاً، فأسقط (لا)، فعلى هذا يخرج المعنى في الآية التي اعتللت بها، والمعنى فيها: إنما نملي لهم لأن لا يزدادوا إثماً وأن يرجعوا إلى التوبة والطاعة.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]، وقوله: **{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}** [النساء:79]، وقوله: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)}** [الذاريات].

ولم يخبر أنه أملى لهم ليعصوه ويكفروا به عامداً ذلك بهم بغير استحقاق، جل الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً، ولو عبدوه كلهم لأدخلهم الجنة.

والدليل على رحمته لهم ورأفته وإحسانه إليهم وإرادته أن يدخلهم الجنة تخييراً لا جبراً: أنه فتح عليهم باب التوبة وجعل إليه السبيل وأمر به وحض عليه وحرضهم على الطاعة وحثهم على الهدى ورغّبهم في الجنة وحذرهم منالنار غاية التحذير، وقال في كتابه عز وجل: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]، وقوله: **{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ(21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ(22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ(23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(24)}** [الانشقاق]، وقوله: : **{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ(37)}** [فاطر]، وقوله: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)}**[المؤمنون].

فأي عبث أعظم من عبث من أملى لعبيده عمداً ليعصوه ويخالفوا مراده، ويكفروا به ويحاربوه، ويقتلوا رسله وأئمة الهدى من خلقه والمؤمنين من عباده ؛ كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً.

فكل ما ذكرنا واستشهدوا من القرآن والحجج القواطع يدل ويشهد على أنه لا يريد لهم أن يزدادوا إثماً وإنما يريد أن يتوبوا ويرجعوا إلى الحق ويطيعوا الرسول ويدخلوا كلهم الجنة، والحمد لله رب العالمين.

فإن قال قائل: إن أول الآية يوجب الجبر وذلك قوله: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ}** [آل عمران:178]، فتراه لم يمل لهم لما هو خير لهم.

قلنا له: إن اللغة العربية واسعة على أهلها ضيقة على من جهلها وإنما المعنى في أول هذه الآية أنه عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه أن تأنيه بهم وكثرة إملائه لهم لا يرجعون فيه إلى حق ولا يكفون فيه عن ظلم، ولا يقصرون فيه عن كشف ستر عن أنفسهم، فصار ذلك الإملاء لا خير لهم فيه بل هو شر لهم لما قصروا في طلب النجاة في مدة ذلك الإملاء الذي أمهلهم فيه وأنسأ في آجالهم وأحسن لهم النظر، وتفضل عليهم بالإملاء فلم يقلعوا عن الخطايا ولم يبادروا بالتوبة ولم يزدادوا إلا تمادياً في الغي والضلال، فصار ذلك الإملاء شراً لهم ووبالاً عليهم، وليس ذلك من قبل الله عز وجل، كيف يجوز ذلك وهو أرحم الراحمين وأعدل الحاكمين وأكرم الأكرمين.

بل كيف يجوز من وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين أن يملي لخلقه ليكونوا آثمين وعن طاعته صادين ؟ هذا ما لا يجوز على رب العالمين ؛ لأنه عز وجل لا يبتدئ أحداً من جميع خلقه بشرٍّ ولا ضرٍّ ولا صد ولا ظلم ولا إغواء ولا بلاء ولا إملاء ليزدادوا إثماً.

وشاهد ذلك: قوله عز وجل: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)}** [الشورى]، فهذا خبر الله عز وجل وحجته على خلقه وكتابه الحق الذي أنزله نوراً لا غماء فيه وصدقاً لا كذب فيه.

فإن نقضتم هذه الآية بحجة حتى يلزمنا فساد قوله عز وجل عن الفساد: {**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)**} ووجب أن هذه الآية تستحيل في قولكم ويصير حمها أنه ما أصاب العباد من مصيبة فبحكم الله عز وجل عن قولكم وبقضائه وقدره وإرادته ومشيئته للمصائب أن تحل بهم وتنزل لعقوبتهم عمداً منه وقصداً

بغير استحقاق ولا جرم اقترفوه، علمنا أن الكفار براء مما ذكر الله عز وجل واستحال القرآن، وانقلبت الأحكام، ولم يصح الإسلام.

وإن لم تأتوا بالحجة ولن تأتوا بها أبداً شهد الخلق على المبطل منا ومنكم والمفتري على الله جل ثناؤه فالحق واضح غير مجهول، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم أليس قد تزعمون أن الأسماع والأبصار والجوارح منة من الله عز وجل على الكافرين ؟

فإن قالوا: بلى ؛ فقل: أفليس بمنِّ الله عصوا وبمن الله ظلموا ؟ فإنما أشركوا بمنة الله وبمنة الله زنوا وسرقوا وبفضل الله وبمنته كفروا.

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أخبرونا عما به كفروا وبه ظلموا أخير ذلك لهم أو شر لهم ؟

فإن قالوا: ذلك خير لهم ؛ فالعذاب إذاً خير لهم من الرحمة لأنه إنما من عليهم بشيء لو لم يمن عليهم به لم يعذبهم، فإنما عذبهم لأنه منَّ عليهم، فإن تك منته التي مَنّ بها عليهم في الأسماع والأبصار كانت خيراً لهم فبالخير عذبوا لأن ذلك الخير لو لم يجعله الله لهم لم يعذبوا، فكان مَنّ الله عليهم شراً، ولم يكن خيراً لهم.

وإن زعموا أن ذلك الذي جعل له منة أن لو لم يجعله لهم لم يعذَّبوا فترك المنة إذاً خير لهم من أن يعذبوا ؛ فهذا قول عظيم مختلف، **{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(9)}** [الذاريات].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: وسألت عن الأسماع والأبصار والجوارح كلها هل هي منة من الله عز وجل على الكافرين ؛ فإذا قلنا لك: نعم، قلت لنا زعمت: أن بمنة الله عصى العاصون وكفر الكافرون، وزنى الزناة وسرق السراق، وبفضله ومنته أيضاً أشركوا وعطلوا وتزندقوا وفعلوا كل فاقرة وعملوا كل فاحشة، وافتروا كل عظيمة، وقتلوا الرسل وأئمة الهدى والمؤمنين، ولولا تلك المنة والفضل الذي تفضل الله عز وجل به عليهم زعمت والمنة التي امتنّ بها ما فعلوا شيئاً من المعاصي زعمت، ولكن بدء ذلك منه على قولك فصار

مشاركاً لهم في أفعالهم لأنه هو الذي أمدهم بالمنة والفضل على أن يكون منهم كل ما سخط وجميع ما كره ونهى عنه.

ثم غضب من ذلك الفضل الذي تفضل به عليهم والمنة التي امتنّ بها من الأسماع والأبصار وجميع الجوارح واشتد غضبه فأوقد النيران وأعدها للقوم الذين امتنّ عليهم وتفضل بإحسانه عليهم، ولم يُهِنْهم إلا من قبل فضله ومنته وخلدهم على منته التي امتنّ بها عليهم وبفضله الذي تفضله به بين أطباق النيران في العذاب الأليم الذي لا راحة لهم منه ولا انقضاء لسرمده ولا خروج من أبده ولا راحة لمجَرْهَده زعمت في قولك واعتقادك، عز الله وتعالى عن ذلك.

[أ] فهكذا ويحك صفة صاحبالمنة والتفضيل والإحسان زعمت ؟ أم هكذا يفعل الحكماء الكرام والرحماء العظام العادلون في الحكم والصادقون في القول والبراءة من الظلم ؟ أم هذا تصديق قوله في كتابه يؤدب المؤمنين ويعلمهم الرشد ويدلهم على الهدى ويزجرهم عن العبث والخطأ والفواحش والردى بقوله: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ}** [البقرة:264]، وقوله: **{ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى}** [البقرة:262]، وقال: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(44)}** [البقرة].

فكيف يدخل فيما عاب ؟ وبالله إني لأظن أن هذا السائل لنا والواضع لهذه البلايا دسيس من الزنادقة لأن هذا قول عظيم مأخوذ من الشرك ؛ ألم يسمع هذا القائل إلى احتجاج الله عز وجل على خلقه في الأسماع والأبصار وما وهب لهم من الجوارح وافترض عليهم أن يستعملوها في طاعته كما خلقها لذلك لا لغيره من المعصية فقال: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11)}** [البلد]، أي ما منعه من اقتحام العقبة ولقد تفضلنا عليه بهذه الأسماع والأبصار والجوارح.

ولو كان الله عز وجل إنما خلقها فيهم وأنعم عليهم بها عمداً ليعصوه بها وليكفروا بها وليقتلوا رسله وأولياءه من العالمين بتلك الجوارح للزمك هاهنا أنه قد دخل فيما عاب وفعل ما عنه نهى وقدر ما منه حذر بعدما أخبر أنه كريم وأنه متفضل عادل .

مع قوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الأنفال:53]، وهذه الآية وحدها كافية لنا في الاحتجاج عليك إذ أخبرنا الله عز وجل أنه لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يكون التغيير والابتداء بالظلم منهم.

وقوله عز وجل: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}** [يونس:58]، فكيف يفرح أحد من الخلق بمنة وفضل وإحسان يورث ذلك الفضل والمنة الخلود في عذاب الجحيم والعذاب المقيم ؟! حاش لله من ذلك وعلا علواً كبيراً.

وقوله: ما كان الله مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يا عبدالله بن يزيد البغداذي كيف ويلك استجزت بعد هذه الآية أن تُقْدم على هذا الكفر العظيم ؟ وكيف وضعت فيه كتاباً تفتري فيه على الله عز وجل جهاراً لا يزال من شيعتك وإخوانك وتباعك من يعمل به ويجري عليك وباله إلى يوم تلقى الله عز وجل ؛ فما عذرك عنده ؟

أما تدبرت كتاب الله سبحانه يوماً واحداً ؟ أما أعملت فكرك في عظيم سلطان الله وملكه وعدله وحكمته وجوده وكرمه ونعمه على خلقه ساعة واحدة أو يوماً واحداً ؟ فأنزلت العدل منازله التي يشهد لها القرآن والسنة، وتشهد عليها العقول ؛ سبحان الله العظيم ما قدرت الله حق قدره !! فعلمت أنه ركب فيهم الاستطاعة، وفرض عليهم الطاعة، وامتن عليهم بالأسماع والأبصار والجوارح ما افترض الطاعة اليسيرة ولم يكلفهم فوق الطاقة، وأنه قال: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة:185]؛ فأين كانت أذناه عن هذا وأمثاله ؟!

أتراه أيها المغرور في دينه إنما عذب خلقه وغضب عليهم وألزمهم العقاب لما هوب لهم من الجوارح السالمة والإماع والأبصار القائمة، وامتن عليهم بالنعمة الكاملة والفعل الجميع غير المنغص ولا المكدر ولا المعاقب عليه ولا المغضوب عليهم لكونه، فكان غضبه عز وتعالى

وعقابه التخليد في ناره لما صرفوا تلك المنة العظيمة والعطية الهنيّة والمواهب السنية في اتباع الهوى والاختيار منهم لمعاصيه على طاعته والكفر به واتخاذ الشركاء والأنداد معه والادعاء معه الصواحب والأولاد وقتل الرسل والأئمة عَلَيْهم السَّلام وتكذيبهم، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ورفض الكتب واتباع الهوى وجميع المعاصي واللذات والقول بالجبر والإلحاد كما قلتم.

فقال فيهم جميعاً: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ(29)}** [إبراهيم]، ففعلوا جميع ما ذكرنا بأهوائهم غير مجبورين واخترعوه بإرادتهم فلم يكن لهم عليه جل جلاله حجة في فعلهم ولا تباعة في كفرهم ولا مقالة في شركهم ؛ بل المنة له عليهم فيما وهب لهم من جوارحهم فهي فعله لا فعلهم.

ولذلك لم يسألهم عن فعله الذي فعل من الأسماع والأبصار والجوارح، وقال في كتابه: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}** [الأنبياء]، ولو كان فعلهم هو فعله لم يقل: وهم يسألون ؛ لأن الفعل كله في قولكم هو فعله لا فعل العباد لما قلتم إن أفعال العباد كلها مخلوقة فلو كان ذلك كما قلتم لما جاز أن يقول: {**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)**}.

فعَمَّ يسألون إذا كان الفعل كله فعله والزنا والخنى والفواحش والردى والكفر والشرك وجميع المعاصي كلها التي ذكرت أنهم نالوها بمنة الله وبفضله ولولا منته وفضله زعمت ما كفروا ولا أشركوا.

وبالله العظيم لو قال هذا القول الزنادقة على شركهم لكان عظيماً ؛ فكيف من زعم أنه ينتحل التوحيد!!.

والجوارح والحواس هي فعل الله عز وجل ومنته والمعاصي فهي فعل العاصين واختيارهم، وليس يلزمه عز وجل فعلهم ؛ لأنه عز وجل قد أمرهم أن يستعملوا تلك المنة التي وهب لهم في الطاعة لا في المعصية وجعل لهم السبيل إلى ذلك وأقدرهم عليه ولم يحل بينهم وبين

الرشد بأمر من جميع الأمور كلها، وبيّن لهم وحذر وأعذر وأنذر، فاختاروا لأنفسهم ما أرادوا من طاعة أو معصية واستعانوا بتلك المنة التي امتن بها من الجوارح على ما نُهوا عنه.

فاستعانوا بنعم الله عز وجل على معاصيه، وصرفوها في غير الوجه الذي له خُلِقوا وبه أمروا وله إياها أعطوا فأدبروا من غير غلبة الله عز وجل ولا ضعف، بل أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطع مكرهاً، ولم يُعص مغلوباً.

وكذلك المؤمنون استعملوا منة الله سبحانه التي امتن بها عليهم من الجوارح في رضاه وطاعته فأنجحوا وأفلحوا غير مجبورين ولا مكرهين.

ومثل ما قد ذكرنا فيما احتججنا به عليك في أنه لا حجة على الله سبحانه فيما وهب لهم من الأسماع والأبصار والجوارح بل له المنة عليهم والحجة فمثل ذلك أنا نسألك فنقول لك: أخبرنا عن رجل دفع إليه رسول الله صلوات الله عليه سيفاً جيداً نفيساً صارماً وقال له: خذ هذا السيف ثم اذهب فقاتل به بين يديَّ من خالفني من المشركين، وجاهد به في سبيل الله مع المجاهدين واحذر أن تحارب به المؤمنين، ولا تقتل به المسلمين فأعاقبك العقوبة الموجعة.

فأخذ ذلك الرجل الشيف ومضى به حتى صار به إلى مكة واستأمن إلى أبي جهل بن هشام لعنة الله عليه وخرج معه حتى سار يوم بدر في حرب رسول الله صلى الله عليه فلقي النبي صلى الله عليه ومن معه من المؤمنين فوضع ذلك السيف في رؤوسهم وأبدانهم ضرباً لا يألو قتلاً ولا قتالاً، فقال له المؤمنون: ويحك يا فلان لا تفعل أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليك حين أعطاك السيف واشترط عليك أن لا تقاتل به المؤمنين ؟ فأبى أن يكف عنهم.

فنقول لك: هل للمؤمنين أو لأحد من جميع المخلوقين أن يقول: إن السيف إنما كان بدؤه من النبي صلى الله عليه ولولاه ما قدر الرجل على قتل المسلمين، والنبي هو الذي كان منه إطاء السيف للرجل وبذلك السيف كان قتل المؤمنين، واحتج الرجل أيضاً فقال: لولا أن النبي صلى الله عليه أعطاني السيف ما قتلت أصحابه.

فنقول لك: هل يلزم النبي صلى الله عليه عند الله جل ثناؤه وعند المسلمين وفي أحكام الدين ما قال ذلك الكافر ومن قال بقوله ؟

فإن قلت: نعم، يلزمه ما قال الكافر ؛ لزمك أن رسول الله صلى الله عليه شريك لذلك الكافر في جرمه وإثمه وذنبه وسفك دماء المؤمنين لما أعطاه السيف ليقاتل به في سبيل الله فلم يفعل، وقاتل به في سبيل الشيطان، وهذا من أعظم الكفر والفرية على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وهذا الخروج من أحكام الإسلام والعقول.

وكذلك لو أن رجلاً اليوم استعدى على رجل فقال للحاكم إن هذا الرجل أعطى فلاناً سيفاً وأمره أن يقاتل به مع إمام هدى فلقي ابناً من المسلمين فقتله، أليس في أحكام الإسلام أنه لا تباعة على ذلك الرجل المعطي السيف ؟ وإنما الذنب والجرم على القاتل وحده لا يجوز في الإسلام غير ذلك.

فكيف يلزم الله عز وجل ظلم من ظلم وكفر واستعان بنعم الله على معاصي الله عز وجل ؟! لقد هلكت وأهلكت.

رجع ا لكلام إلى حجتنا عليك: وإن قلت إن ذلك القول لا يلزم النبي صلى الله عليه ؛ بطلت دعواك وفسد اعتقادك وبانت فضيحتك وكذبك على الله عز وجل، وجعْلِك ذنوب العباد عليه وأن بمنه عصوا وكفروا، ولا بد لك من أحد هذين القولين أن تقول به وأنت مفلوج الحجة.

ثم نقول لك أيضاً: ما تقول في رجل من المسلمين الأخيار دفع إلى رجل ألف دينار وقال له: خذ هذه الدنانير فتصدق لي بها على الضعفاء والمساكين وأبناء المهاجرين والأنصار الصالحين والمؤمنين واسق بها الماء في سبيل الله وافعل بها كل بر أرضاه ولا أسخطه ولا يُلزمك لي عقوبة ؛ فأخذها ذلك الرجل وقصد بها إلى بيوت الخمارين والنساء الفواجر والفواحش والعرافات ؛ فأنفقها في ذلك كله حتى نفدت ؛ هل كان على ذلك الرجل المؤمن المعطي لها لتنفق له في سبيل الله تباعة أو حرجة أو لوم أو عذاب أو مشاركة في جرم أو عيب بحرف واحد؟

فإن قلت: نعم إن عليه العيب واللوم والتباعة لَمّا أعطاه ألف دينار لينفقها في سبيل الله فأنفقها هو في سبيل الشيطان؛ أكذبك جميع من صلى القبلة، وأكذبتك أحكام القرآن وأحكام القضاة والفقهاء، وقوله عز وجل: **{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى(38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى(40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى(41)}** [النجم]، وقوله عز وجل: **{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** [المائدة:105].

وإن قلت: إنه لا تباعة ولا لوم ولا عيب على الرجل المعطي الآخر ألفاً لينفقها في سبل الله فلم يفعل وأنفقها في سبيل الشيطان لأن هذا هو الحق والعدل ؛ فقد لزمك الرجوع عن قولك وبطلت دعواك وبرَّأت الرجل صاحب الألف الدينار من أمر لم تبرئ منه ربك وأضفت إليه ما برأت من عيبه وقبح ذكره الرجل.

وحسبك برجل هذا مبلغ علمه وعقله واعتقاده في توحيد بارئه الذي خلقه ولم يك شيئاً وادعى زعم أنه موحد وهو عين الملحد، والله ما قال بالجبر من عرف الله بالوحدانية، قال الله عز وجل: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}** [الأنعام:91].

كيف يوحد الله من شبهه بالجائرين ؟! وكيف يوحد الله عز وجل من شبهه بالشيطان الرجيم؟! وكيف يوحد الله عز وجل من زعم أنه يقضي قضاء المفسدين السفهاء الجاهلين؟! وقال القائل يصف العدل بما لا يخرج في العقول والحكمة غيره، وقد قال رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: ((إن من الشعر لحكمة))، قال:

المجبرون يجادلون بباطلٍ ... وبغير ما يجدون في الفرقانِ
الواصفون إلههم بتعنتٍ ... لعباده كذبوا على المنَّانِ
كلٌّ مقالته الإله يضلني ... ويريد لي ما كان عنه نهاني
إن كان ذا فتعوذا من ربكم ... ودعوا تعوذكم من الشيطانِ
إن كان ذاك كذا إرادة ربنا ... فلِمَنْ أعدَّ جواحم النيرانِ
إن كان ذلك فالمعاصي طاعةٌ ... والبرّ مثل عبادة الأوثانِ

إن المهيمن لا يُضلُّ عبادَه حتى يضلوا يا ذوي الطغيانِ
إلزامه لهم الضلال بفعلهم إضلاله لهم بكل أوانِ
بعد اختيارهم الضلال على الهدى لا قبل بينةٍ لنا ببيانِ
قالوا الذنوب مشيئةٌ من ربنا قلتُ المشيئة والرضى سيّانِ
قالوا الرضى غير المشيئة فاعتدوا والله يجزيهم على العدوانِ
إن المشيئة والإرادة والرضى معنى وما هي فاعلموا بمعاني
والاستطاعة فيكمُ مخلوقةٌ خُلِقت مع الأرواح والأبدانِ
لولا استطاعتكم لطاعة ربكم ما قال ربكمُ اطلبوا رضواني
الله ملَّكنا ليوجب حُجّةً تخزيك كل يدٍ وكلُّ لسانِ
جعل استطاعتنا علينا حجةً والاستطاعة حجةُ الرحمنِ
ولذاك ليس على المصاب بعقله في الدين من حرجٍ ولا الولدانِ
والناس تَحْدُثُ منهمُ أفعالُهم والاستطاعةُ حيلةُ الإنسانِ
زعموا بأن الله كلف عبده أشياء ليس له بهنّ يدانِ
إن المكلِّف عندنا لعبيده ما لا يُطاقُ لجَائرُ السلطانِ
أيريد معصيةً ويفرض طاعةً إن كان ذاك فأمره أمرانِ
أأراد أن يُعصى وعذب من عصى تلك المقالةُ أعظمُ البهتانِ
أأراد سيرة من أطاع ومن عصى فهُمَا إذاً في الأمر مستويانِ
إن كان ربكمُ أراد ضلالَكم فالمجبرون إذاً ذوو إحسانِ
أيقول ربكمُ لقومٍ آمِنُوا ويَرُدُّ ألسنهم عن الإيمانِ
ما كان ربكمُ ليصرفَ عبدَهُ من وجهِ طاعتهِ إلى العصيانِ
ليس الحكيمُ بمن يقولُ لعبدِهِ والعبدُ يفعل ما يشاءُ عصاني
واللهُ لم يرد الفواحشَ إنما بالعدل يأمرنا وبالإحسانِ

وأما آخر كلامك في هذه المسألة فقد خلطت فيه وجئت بكلام محال وزعمت أن الله جل ثناؤه جعل الأسماع والأبصار غير رحمة من الله، وأنها زعمت خلقت ضرراً عليهم ليبلي عليها وجعلها قوة فيهم ثم ابتلاهم بما جعل فيهم من القوة فمن أطاع الله فبمنّ الله عليه القوة والمنّ زعمت رحمة من الله ومن عصى الله بالقوة التي فيه كانت المنة التي عصاه بها شراً عليه وفتنة، ولم تقل رحمة لأن الرحمة والمنة ما نفع الناس.

وهذا قولك زعمت دخلنا فيه، وهذا الكلام الذي قلته مخلط لم تحسن شرحه، وقد عرفنا ما قلت زعمت أنك تقول: إن الأسماع والأبصار والألسنة والأيدي والأرجل إنما جعلها الله قوةً في بني آدم، هكذا قلت في كتابك، وليس هي عندك رحمة ولا منة، لأن الرحمة والمنة زعمت ما نفع الناس وهذا ما تقولون به زعمت قد دخلنا فيه.

وحاش لله ما ندخل في هذا لأنه لو قال هذا صبي مُخْرَج من بلاد الحبش لعظم التجب منه لجهله ؛ فكيف رجل يزعم أنه متكلم يناظر الرجال ويقاوم زعم أهل العدل والتوحيد، هيهات غرق الجاهل في الطين.

ألا ترى أيها الجاهل أنك زعمت أن الأسماع والأبصار التي وهب الله لعباده وجميع الجوارح لا يجب على قولك أن تسمى رحمة ولامنة من الله على خلقه وإنما يجب زعمت أن تسمى قوة ابتلاهم بها لا رحمة ولا منة ؛ لأن الرحمة زعمت والمنة ما نفع الناس، فأوجبت أيها الجاهل أن الأسماع والأبصار والأيدي والأرجل والألسنة وجميع الجوارح غير نافعة لأهلها وأنها ضرر عليهم.

كيف والله جل ثناؤه يقول ويمتن عليهم بأعظم المنة: **{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(9)}** [السجدة]؛ فهل سمعت في لغة العرب أحداً يلوم أحداً على التقصير في الشكر على غير منة ؟ وهل يكون الشكر إلا لمن أعظم المنة ؟ مع ما لا نحصيه في غير موضع من القرآن يذكر الله عز وجل فيه مننه على خلقه بآلة الأسماع

والأبصار وجميع الجوارح التي لا يؤدون فيها شكره أبداً، وأنت فقد خرجت من المعقول مع خروجك من حكم الكتاب، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وزعمت أن الأبصار والأسماع ليست رحمة ولا منة من الله على خلقه فأوجبت على زعمك أنه لا يجب أن يُشكر الله على ما رزق من الحواس والجوارح لأنه لا منة له في ذلك، ولزمك أن الله عز وجل عما قلت خلق في صورة بني آدم بنيةً لا شكر له عليها ولا حمد له فيها، وأنها غير منة ولا رحمة وأنه ذكر لهم في كتابه نعمة أنعم بها عليهم غير صادق فيها، وأنها ليست بمنة ولا رحمة زعمت وهي قوله سبحانه: **{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(9)}** [السجدة]، فعاب عليهم قلة الشكر وذلك يوجب أن الذي فعل بهم منّة من أعظم المنن.

وقال عز وجل: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11)}** [البلد]، أفلا تسمع إلى قوله: **{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}** يريد فما الذي منعه من اقتحام العقبة بعد المنة والنعمة والعينين واللسان والشفتين والهداية إلى النجدين والنجدان فهما الطريقان إلى الخير والشر.

فالهداية هي التعريف بالطريقين والدعاء إلى الخير والنهي عن الشر؛ فأي نعمة أو رحمة أو منة أعظم أو أجسم أو أجل أو أكبر في هذه الدنيا من السمع والبصر واليدين والرجلين وجميع الجوارح التي امتن الله عز وجل بها على خلقه وأوجب عليهم شكره فيها.

ثم زعمت أنت أنها ليست برحمة ولا منة وكفى بهذا جهلاً وعمى، وزعمت أنها قوة وليس هي رحمة ولا منة.

فنقول لك: أخبرنا عمن وهب الله له القوة هل الله عز وجل عليه شكر وحمد فيما تفضّل عليه به من تلك القوة وجعل فيه.

فإن قلت: لا، كفرت وأكذبك القرآن وجميع الأمة.

وإن قلت: نعم، يجب أن يحمد ويشكر عليها.

قلنا لك: فأخبرنا عن تلك القوة هل هي رحمة من الله عز وجل ومنة على خلقه أم سخطة ونقمة.

فإن قلت: هي سخطة ونقمة.

قلنا لك: كيف تكون هبة الله عز وجل للقوة سخطة ونقمة وقد أقررت أنه يجب أن يشكر ويحمد عليها، وهل تسمى القوة التي جعل الله في خلقه عز وجل قوة ولا يجوز أن تسمى رحمة، وكل بنية ابن آدم يجب عليه فيها الشكر للذي ابتدعه وفطره وأخرجه من العدم إلى الوجود، وكل شيء من جسده فهو قوة جائز أن يسمى رحمة ومنة وقوة ونعمة وإحساناً لا يجوز غير ذلك.

وقد أمر بصون تلك الجوارح كلها عن معاصي الله عز وجل فافترض على العين الغض عن المحارم فقال سبحانه: **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}** [النور:30].

وافترض على اللسان أن لا يقول إلا الحق فقال سبحانه: **{وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}** [النساء:171].

وافترض على اليدين الجهاد في سبيل الله فقال: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** [البقرة:190].

وافترض على الرجلين الجهاد أيضاً والحج والصلاة، فقال: **{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ(238)}** [البقرة].

وافترض على الرجلين المشي إلى جميع الطاعات من المساجد والجُمَع فقال سبحانه: **{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}** [الجمعة:9].

وافترض على الفرج الحصانة والصيانة فقال: **{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(32)}** [الإسراء].

ثم خيرهم تخييراً ووعدهم الجنة وأوعدهم النار، وليس لأجل خلقه للجوارح وقع بهم العذاب لأنه قال: غضوا ولم يقل لِمَ خلقتُ أعيانهم، وقالوا: قولوا الحق ولم يقل لم خلقت ألسنتكم،

وقال جاهدوا ولم يسألهم عن أيديهم لِمَ خلقها، وقال اسعوا بأرجلكم في طاعتي ولم يقل: لِمَ خلقت لكم أرجلاً، وقال ولا تقربوا الزنا، ولم يقل لهم: لِمَ خلقت فروجكم، وإنما سألهم عن فعلهم هم لا عن فعله هو، وذلك قوله: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}** [الأنبياء].

وفي أقل مما ذكرنا كفاية وشفاء لمن أراد الحق ولم يُصغِ إلى الباطل ولم يُلزم الله عز وجل ظلم الظالمين، ولا كفر الكافرين، فانظر أي القولين هو القول العظيم الذي يؤفك عنه من أفك، عز عن ذلك رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم هل عاش أحد بغير رزق الله عز وجل ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك أن العباد يكسبون بغير رزق الله، وأن مع الله عز وجل رازقاً، وهذا ما لا تقبل عقول أهل الألباب من الناس، وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً.

وإن قطعوا بهذا وقالوا: ليس مع الله رازق، ولا يعيش أحد إلا برزق الله، فسلهم عند ذلك عمن لم يُغْذَ إلا بالحرام ولم ينشأ إلا فيه أليس إنما عاش برزق الله ؟

فإن قالوا: نعم عاش برزق الله، فقل: أفليس قد يرزق الله الحرام ثم يعذب العباد على ذلك الرزق الحرام ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك بأن الله يرزق الحرام والحلال، فإن سألوك عن شيء من هذا أو ردوا عليك المسألة فسألوك أليس قد يرزق الله الحرام ؟

فقل: إنما موضع الرزق عندنا العيش فكل ما هو عيش فهو رزق وهو بُلغة فما كان يعاش به فهو عيش ورزق وبلغة، فمنه ما جعله الله جل ثناؤه حلالاً لي حراماً عليك وذلك مثل مال وأهل هو حرام عليك.

ومنه ما هو حلال لي ولك ذلك مكسبة الحلال لكسب الرزق والعيش من حله أنا وأنت، فهو لنا حلال.

ومنه ما هو حرام علي وعليك وذلك مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا أن نضطر إليها، فالأرزاق كلها على هذا الوجه، كلها رزق الله وكلها بلغة وعيش يعاش به، فمن أصابه

وأخذه على وجهه فهو مأجور ومن أخذه من غير وجهه فهو مأزور، فالرزق عندنا على هذا الذي ذكرنا ؛ فإنهم لن يستطيعوا حينئذ أن يدخلوا عليك شيئاً.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: لا إله إلا الله أيها المفتري على الله ما أجهلك، وما أجهل قوماً قبلوا عنك هذا العمى والخروج من محكم القرآن والخروج من المعقول، ثم قلت لهم في آخر قولك: فإنهم لن يستطيعوا أن يدخلوا عليك شيئاً تعني أهل العدل فغششتهم وأهلكتهم في أديانهم.

وزعمت أن من الرزق حراماً وحلالاً وأن الله عز وجل عما قلت هو الذي رزقهم ذلك كله.

ثم قلت: فمن أخذه من وجهه فهو مأجور ومن أخذه من غير وجهه فهو مأزور .

وأنا أظن أنك لما قدمت من بغداذ وطال عليك السفر أصابتك خفة في دماغك فأنت تستعمل الهذيان في كتابك هذا وفي عقلك وفي دينك فلا أدري ألعجب منك أم من الذين كانوا حولك، فاسمع ما يرد عليك من حجة الحق والعدل بحول الله وقوته:

فأول ما نسألك عنه أنا نقول لك: أخبرنا هل قرأت القرآن قط ؟

فإن قلت: لا، قلنا لك لذلك لم تعقل عن الله عز وجل عدله في كتابه.

وإن قلت: بلى قد قرأت القرآن.

قلنا لك: فأين ما قد قرأت من قوله تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ(59)}** [يونس].

فإن قلت: فإنك قد قرأتها في المصحف ورأيتها بعينك فيه.

قلنا لك: فلِمَ أنزلها الله إلينا أأراد أن يُسَمِّرَنا بها أم ذكرها لغير علة أم نظرٍ فينا بأنه ليس لها معنى علة من أجله نزلت ؟

فإن قلت: إنه إنما أراد أن يسمرنا ويخبر بأن ليس لها معنى ؛ كفرت وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: إن الله أنزلها موعظة وتذكرة وتحذيراً من النار وتأديباً وإيجاباً عليهم أنهم هم الذين جعلوا من الأرزاق حراماً وحلالاً بظلمهم واختيارهم ؛ فذلك هو الحق، وهو قولنا.

ثم نقول لك: أخبرنا أليس في نص هذه الآية من الشفاء والكفاية عن التطويل ما يوجب عليك أن العباد هم الذين جعلوا ما أنزل الله لهم من الرزق حراماً وحلالاً، وأن الله عز وجل لم يجعل ذلك الذي جعلوا بل جعل هو عز وجل الأرزاق فيما أخرج من المعادن والبحار، وما أنبتت الأرض ومن غنم الفيء فجعله حلالاً بقسمته التي قسمها للمؤمنين وحكمه الذي حكم به للمطيعين فمن كان في يده شيء من هذه الأشياء التي ذكرنا فهو رزق من الله عز وجل، وقسمة لا فساد في حلالها ولا إثم في كسبها.

فمن وجدنا معه شيئاً من هذه الوجوه إما من معدن أخذه من حله أو من أرض ورثها أو أحياها من حلها، أو من بحر سافر فيه أو من غنم في حرب في سبيل الله مع المحقين، أو ميراث ورثه من ذوي أرحامه أو دية وجبت له أو جراح لزم له من عقلها، قلنا له: هذا هو المال الحلال الطيب، بارك الله لك فيه ؛ فأخرج زكاته إلى من أوجب الله طاعته، فأنت صاحب المال الحلال المقسوم من الله عز وجل، وهو الرزق من الله الذي لا شبهة فيه.

ومن وجدنا معه شيئاً مما رزق الله عباده فسماه رزقاً وأخرجه لهم من الأرضين وأنزله من سماواته إلى أرضه وما أخرج من المعادن والبحار، قلنا له: من أين لك هذا المال وكيف وقع في يدك وعلى أي حال كسبته ؟

فإن قال: إنه لقي قوماً مسلمين في طريق فقطع عليهم وأخذ أموالهم وغنم رحالهم ونقب دار قوم فأخذ ما فيها من حرزهم أو غصب أحداً من عباد الله أو غنى في مجالس الخمور فأعطوه جائزة أو لعب فأخذ أجرة لعبه أو قامر فأخذ قماره أو خاطر على ما قال فأخذ خطره أو ربى في ديونه فجمع ذلك الربا أو عمل الخر وباعه أو أكرى القدور من الخمارين وأخذ أجرتها أو أخذ الأرزاق من السلاطين الجائرين والخوارج على الإسلام أو بخس في الموازين والمكاييل، أو غش في الصناعات أو خان الأمانات، ثم قال إن الله جل ثناؤه هو الذي رزقه ذلك المال وأعطاه إياه.

قلنا له: هلم إلينا البينة على دعواك ؛ فإن لم يأت ببينة ولا برهان من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وجب عليه أنه عند الله جل ثناؤه وعند المسلمين من المفترين للباطل والمدعين للزور والبهتان العظيم، وأن الله عز وجل لم يرزقه هذا الرزق الذي ادعى بل حرمه عليه في كتابه غاية التحريم، ونهى عنه أشد النهي وهلك في قوله، واستوجب العذاب الأليم ؛ لأن الله عز وجل لم يرزقه الحرام، وقد نهى عنه وحذره منه حيث قال في كتابه: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(188)}** [البقرة]، فأي بيان أوضح من هذا البيان ؟ وأي شاهد لنا عليك أعدل من كتاب الله عز وجل ؟

وإنما تعدى هذا المتعدي فأخذ ما ليس له برزق، ولو كان الله عز وجل الذي رزقه إياه لم يأمر به في كرمه وعدله أن تقطع يده وفي موضع آخر إذا قطع الطريق وأخذ الأموال أن تقطع يده ورجله، أفهذه صفة الكريم العادل الذي يرزق رزقاً ثم ينغص ذلك الرزق ولا يهنئه صاحبه، ثم يقطع يد الذي رزقه ذلك الرزق، ولا يكون كرمه دون كرم المخلوقين لأنه لا يجوز في العقول ولا في همم العرب ذوي الأخطار أن يجودوا ويكرموا على أحد ثم يأمروا بقطع يده ورجله جزاءً بما وهبوا له وقسموا وأعطوا.

فالله أحق بالجود الهني والعطاء السني الذي لا يتبع تنغيص ولا تكدير ؛ لأنه أكرم الأكرمين، وإنه عز وجل الذي يقول إيجاباً على نفسه: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الأنفال:53]، فهذه أكبر شاهد على أنه عز وجل لا يرزق رزقاً ثم يقطع يد من رزقه إياه، هو أكرم من ذلك وأعدل، وهذه شواهد القرآن قاهرة لحجتك، وشاهدة لنا عليك.

وأما قولك يا عبدالله بن يزيد البغدادي: إن قولنا في الأرزاق ما لا تقبله عقول أهل الألباب، وقلت: وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً غيره.

فليس يقول ذلك أهل العدل والتوحيد، هم أجل خطراً وأعرف بعظمة الله عز وجل ووحدانيته من أن يقولوا إن مع الله جل ثناؤه رازقاً غيره غير أنك تشنع وتفتري الزور، وإنما

قولنا: إن الله عز وجل لا يرزق الحرام، وإن أخذ الحرام تعدى من أخذه، وقد نهى الله عز وجل عنه.

ألا ترى ويحك كيف قال: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(188)}** [البقرة]، فأوجب عز وجل أن ذلك الذي أدلوا به إلى الحكام وأكلوه من أموال الناس أنه ليس من رزقه ولا من عطيته.

أو لا ترى كيف قسم الله عز وجل الأرزاق في المواريث وجعلها للأقرب فالأقرب من صلبة الرجل وحامته وأوليائه وقرابته في النسب وفرض ذلك في الكتاب ولم يجعله لغيرهم، فإذا غصبهم فيه غاصب أو أخذه منهم آخذ أو ظلمهم فيه ظالم أليس قد تعلم أنه قد أخذ ما فرضه الله عز وجل لهم لا له وحرمه عليه وأنه رزق من الله جل ثناؤه لغير ذلك الغاصب الظالم.

فإن أنكرت هذا فقد خرجت من حد من يُكلم وفارقت أهل الإسلام، وخرجت من المعقول ومن حكم الكتاب وفرائضه وفي هذه وحدها الكفاية.

فإن أنت لم ترد علينا جواباً ورأيت أنك قد أصبت في حجتك هذه في الرزق وجب عليك أنك تُطالب يوم القيامة بجرمين عظيمين موجبين للنار جميعاً ؛ أحدهما: إجازتك للغاصب أخذه لأموال اليتامى والمساكين والمؤمنين، وزعمك أنه إنما غصب ذلك وهو له رزق من الله عز وجل كما قلت.

والخطأ الآخر: ما تقلدت من الكذب العظيم على الله ووضعته لإخوانك سنة فيهم يقتدون بها إلى يوم القيامة من أن الله عز وجل عما قلتم هو الذي رزق الغاصب أموال المسلمين، وهو الذي يقول في كتابه: **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}** [النساء:11]، وقوله عز وجل: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(60)}** [التوبة].

ونقول لك: ما تقول فيمن غصب هؤلاء الثمانية المسماة في الكتاب سهماهم المفروضة من الله فأخذها لنفسه وولده وشرب بها الخمر وأكلها دونهم ؟ ألست تشهد أن الله سبحانه قد فرضها لهم وتفضل عليهم بها ورزقهم إياها وأوجبها لهم دون غيرهم ؟

فإن قلت: لا ؛ كفرت بالقرآن وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: نعم، هي لهم من الله عز وجل مفروضة دون غيرهم.

قلنا لك: فما تقول فيمن أخذها منهم وأكلها دونهم ظلماً وعدواناً أذلك له رزق من الله عز وجل ؟

فإن قلت: نعم، هو له رزق.

قلنا لك: فما فعل بالرزق الأول الذي فرضه الله عز وجل وأقررت به زعمت لأهل السهام الثمانية ؛ أندم عليه أم خبرهم بأمر خدعهم فيه ثم رزقه غيرهم بعدما أعلمهم أنه قد رزقهم إياه وفرضه لهم في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه، فصار ما ذكر لهم محالاً من القول لا حقيقة له على زعمك لأنه زعمت حوله عنهم ورزقه غيرهم.

فإن دمت على ذلك في صفة الله عز وجل كفرت وخرجت من الإسلام، وإن قلت: إن الغاصب أخذ ما ليس له برزق، رجعت عن قولك، وتركت أصلك وقهرناك وبان كذبك على الله عز وجل في الأرزاق، وقولك علينا إنا نقول إن مع الله عز وجل رازقاً غيره تشنع بذلك على أهل العدل.

وإنما قولنا والذي إليه قصدنا إن الله عز وجل قد قسم الأرزاق في كتابه لمن قسمها له ثم ظلمهم فيها الظالمون، وأخذها من أيديهم الغاصبون، فأكلوها دونهم بلا حق وهي رزق غيرهم، فأكلوا ما لم يرزقهم الله عز وجل.

وشاهد ذلك قوله عز وجل: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ(59)}** [يونس]، أفلا ترى كيف نسب عز وجل إليهم أنهم هم الذين جعلوا من الحرام والحلال على ما أرادوا وأضاف ذلك إليهم،

وأنه لم يأذن لهم به ولم يرزقهم إياه، وأنهم قد افتروا عليه الكذب، فسبحان الله العدل الذي لا يجور ولا يرزق الحرام ولا يعين على الآثام ولا الخروج من الإسلام.

وزعمت أنت وإخوانك المجبرة أن هذه الأرزاق التي رزقها هؤلاء المسلمين في كتابه أنه قد بدا له فيها عز عن البداوات وندم عليها فجعلها رزقاً لقطاع الطريق ونقّاب الدور والحوانيت وشراب الخمور ومن يبيع الخمر، وكذلك هي أرزاق للفواجر لأنها كراء فروجهن، وتركت قوله: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}** [البقرة:188]، فأي باطل أبطل مما ذكرنا؟ وكذلك يلزمك أنه جعل هذه الأموال للجوَرة العاصين من السلاطين.

ثم نقول لك: ألم تعلم ويصح عندك أن الله عز وجل استخلف في أرضه الأنبياء وبعدهم أئمة الهدى عَلَيْهِم السَّلام ليحكموا بين الناس بالعدل والحق، وقال لداود صلى الله عليه، وكل ما قال لداود صلى الله عليه فهو لازم لجميع من ولي الحكم بين المسلمين في الأرض إلى يوم القيامة، وكذلك كان الحكم من لدن آدم صلى الله عليه، فقال لداود: **{إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(26)}** [ص].

فنقول لك: أليس قد افترض الله عز وجل على الأنبياء والأئمة الراشدين أن يحكموا بين الناس بالحق، وأن من وجدوا معه مالاً قد ظلم فيه أحداً من عباد الله واستفاده من غير حله ولم يقسمه الله عز وجل له في الكتاب أن يأخذ الحكام ذلك المال منه ويقهروه على رده بالسيف وغير السيف حتى يرده إلى أهله الذين قسمه الله لهم.

فنقول لك يا عبدالله بن يزيد البغداذي ولإخوانك المجبرة: أخبرونا الآن هل يجوز في هذا الموضع للأنبياء والأئمة الراشدين والحكام بين المسلمين أن يأخذوا من الناس ما رزقهم الله على قولك من الحرام ويردوه إلى قوم آخرين قد رزقهم الله عز وجل إياه أيضاً في الكتاب وحكم لهم به.

واعلم أن الأنبياء والأئمة عَلَيْهم السَّلام والقضاة من بعدهم لو لم يعلموا أن رد تلك الأموال وأخذها ممن هي في يده ودفعها إلى قوم آخرين أرضى لله ورأوا أن ذلك رزق من الله عز وجل وعطية أعطاها الخونة والظلمة والجورة وقطاع الطريقة والنباشين للقبور وجميع المعتدين لما استحلوا في دين الله جل ثناؤه ردها ولا قهر من هي في يده عليها حتى يردها إلى قوم ليس لهم بأرزاق، سبحان الله العظيم ما أجهلكم وأبعدكم من الدين وأعظم فريتكم على الله عز وجل وعلى رسله وكتبه.

ثم يأمر الله عز وجل زعمتم وعلى قولكم بعد ذلك أن تُقطع أيديهم مرة وأيديهم وأرجلهم مرة أخرى وأنهم من وجدوا ذلك معه بلغوا به غاية النكال والهوان ولاموه أشد اللوم وعابوا عليه أشد العيب وسموه سارقاً وحارباً وقاطعاً ومشلحاً ولصاً وغير ذلك من الألقاب القبيحة التي أزالوا بها شهادته وأسقطوا بها دينه.

ولو كان ما قلتم من الحرام رزقاً من الله عز وجل للسراق وقطاع الطريق والعاصين لهنأهم رزقهم ولم يكدره ولم ينغصه بأعظم خصلتين وأحسر حسرتين :

فأما واحدة: فنزعه لذلك المال ممن قد أعطاه إياه وجعله له رزقاً زعمتم.

وأما الأخرى: فقطع يده وأيضاً رجله إن كان ممن قطع الطرق وأخذ المال، سبحان الله العظيم أهذه صفة الواحد العدل الرحيم الحسن الفعل الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، عز الله عما قلتم وتعالى علواً كبيراً.

ولولا خوف التطويل لأغرقنا في الاحتجاج في هذا الموضع بأمر يطول شرحه، وفيما قلنا كفاية لمن عقل وأنصف، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولك إن الرزق عندك العيش ؛ فقد جاءك من الحجج ما يأتي على جميع قولك، والله أعلى وأجل.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: فإن سألوك عن أطفال المسلمين ما هم عندك ؟

فقل: هم عندنا في الحكم بمنزلة آبائهم لأن المسلمين كانوا يصلون عليهم ويرجون إلحاقاً بآبائهم.

فإن قالوا: أخبرونا عن أطفال المشركين ؛ فقل: نقف عنهم ونسير فيهم سيرة الرسول صلى الله عليه نسبي أولاد المشركين ونغنم أموالهم إذا لم يدخلوا في الإسلام ونكفّ عن أطفالهم فلا نتبرأ منهم ولا نتولاهم فإنهم لم يبلغوا الحلم فيكفروا فنتبرأ منهم ولم يعملوا بالإيمان فنتولاهم عليه، فذلك ما نقول في أطفالهم.

وأما أطفال المحْدِثين من أهل القبلة الذين عملوا بما سخط الله فإنا نقف عن أطفالهم ولا نتبرأ منهم ولا نتولاهم لأنهم لم يبلغوا العمل فيعملوا بطاعة ولا معصية ولا شيء عليهم ولا تغنم أموالهم ولا أموال آبائهم، وإنما يقاتل المحدث من أهل القبلة حتى يفيء إلى أمر الله لا سبي عليه ولا غنيمة لإقراره بالله وبرسله وبجملة القرآن.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي في هذا الباب أيضاً: ثم سلهم أنت عن أطفال المشركين أيضاً فقل: ما منزلتهم عندكم ؟

فإن قالوا كما قلت، دخلوا في قولك.

وإن قالوا: إنهم أولياء لله مؤمنون عندنا ؛ فقل: هل أحل الله سبي المؤمنين والمؤمنات والأحرار؟

فإن قالوا: نعم، أعطوك ما تريد منهم وما لا تريد أن توقفهم على ما هو أعظم منه.

وإن قالوا: لم يحل الله سبيهم ؛ فقل: أخبروني عن أطفال المشركين الذين لم يبلغوا الحلم أليسوا مؤمنين زعمتم فلِمَ تستحلون سبيهم ؟

فإن قالوا: هو خير لهم نعلّمهم الإسلام ؛ فقل: إنا ندلكم على ما هو خير لهم من ذلك إذا أنتم سبيتموهم فعلّموهم الإسلام والكتاب كما تعلمون أبناءكم، وقولوا لهم أنتم أحرار مثلنا ولا تفرضوا عليه الغلة وتقيدوهم وتغلقوا في أعناقهم الزنارات وتنكحوا الجارية منهم بغير مهر ولا إذن ولي، وتزعمون أنها مما ملكت أيمانكم، وأنتم تعطون في أول كلامكم أنهم مؤمنون ؛ فمن أين أحل الله هذا من المؤمنين ؟

الجواب:

قال أحمد بن يحيى رضي الله عنه: وسألت عن الأطفال وشأنهم جميعاً أطفال المشركين وأطفال المسلمين، وطولت في ذلك وشرحت ؛ فاسمع الجواب وأنصف عقلك:

فأول ما أخطأت فيه أن قولك زعمت في أولاد المسلمين إنهم عندك في منزلة آبائهم فجعلت الحكم والعدل ولم تميز بين ثواب العاملين ومن لم يعمل، فجزت عن القصد وخالفت القول بالرشد إذ جعلت حكم من لم يطع الله عز وجل ساعة واحدة ولم يجاهد في سبيله ولم تصبه البأساء والضراء والحصر والأزل والخوف والبلاء وجميع المكاره مثل من نزل ذلك كله به فسُفك دمه وسفك دماء المشركين، وناله معاندوه بأنكى العقوبات فجعلته في المنزلة زعمت كمنزلة أبنائهم.

فوجب عليك في قولك أن منزلة أطفال النبي صلى الله عليه وعليهم في منزلته ودرجته عند الله عز وجل، وكذلك جميع أطفال المسلمين لهم من المنزلة والثواب مثل ما لآبائهم، ونسيت قوله تعالى: **{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا(30)}** [الكهف]، وقوله: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [يونس:26]، وهذا خطأ من قولك وقلة علم بحكم ربك لأنك لا تعرف العدل ولا تميز معانيه ولا قول الله عز وجل: **{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ}** [آل عمران:163]، وقال: **{وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)}** [الإسراء].

ونحن نقول: إن أطفال المسلمين كلهم في الجنة برحمة ربهم لا بعمل عملوه ولا أجر استحقوه، وذلك أنهم لما لم يكسبوا الذنوب ولم يجرموا الجرائم، ولم يأتوا بالقبائح، ولم ينكروا الواحد لم تجب عليهم حجة تلزمهم بها عقوبة، ولما كان من حكم الله سبحانه أنه لا يظلم ولا يعذب على غير ذنب كان من جوده وكرمه وسعة ما عنده من الفضل والكرم أن تفضل على الأطفال جميعاً من ولد آدم بدخول الجنة رحمة منه وتفضلاً إذ لا ذنب عليهم فلم يجز في الحكمة والكرم إلا الامتنان بالرحمة إذ لا ذنب تقع عليه عقوبة.

وأما قولك في أطفال المشركين أنك تقف عنهم زعمت وتسير فيهم زعمت بسيرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فتسبي أولادهم زعمت وتغنم أموالهم ؛ فقد أخطأت في الشرح

وهلكت في الاعتقاد وغلطت في القول، وخالفت الحق إذ لست ممن جعل الله عز وجل إليه أحكام الإسلام ولا اختصه بالإمامة ولا اصطفاه بالولاية، ولا بوراثة مقام الرسول صلى الله عليه، ولست ممن يجب له الحل والعقد في الأحكام، ولا يجوز له سبي المشركين ولا غنيمة أموالهم.

إنما ذلك للذين اصطفاهم الله جل ثناؤه واختارهم على الأمة وأورثهم حكم الكتاب والسنة وافترض إمامتهم على الخليقة حيث يقول عز وجل: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء:59]، فلست من أولي الأمر ولا لك حجة يجب بها لك سبي المشركين ولا غنيمة أموالهم دون من جعل الله إليه الأحكام، وقلده أمور الإسلام .

فأما أنت يا مسكين فإنما أنت رعية مرعي محكوم عليك ولست براعٍ ولا حاكم، بل الحكم عليك لمن هو أولى منك، واعرف ما تقول واعقل ما تأتي وتذر.

ثم هلكت أيضاً لأنك بينما أنت تناظرنا كيف مصيرهم في الآخرة وكيف حكمهم أفي الجنة هم أم في النار إذ وصفت تفنيناً في السبي وغنيمة الأموال، وأصل سؤالك إنما كان عن الجنة والنار وكيف حكم الأطفال في المنزلتين، وتسأل: ما حكمهم في الآخرة، وزعمت أنك تقف عن أطفال المشركين ولا تنزلهم منزلاً من أحد الدارين.

فنقول: نراك الآن قد ناقضت بين قولك وخلطت في مسائلك، أوليس من قولك إن الله عز وجل أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين، ثم جئت الآن بقوم آخرين وزعمت أن لهم حكماً آخر فصيرت الخلق على ثلاث فرق بعدما قلت إنهم فرقتان، وزعمت أنك تقف عن واحدة لم يخلق الله تعالى فعلها على قود قولك، ولم يقض عليها قضاءً ولم يرد منها إرادة، ولم يحكم فيها بحكم، ولم ينزل فيها كتاباً يعمل به المسلمون، ولا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤثر عنه.

ونحن نسألك فنقول لك: أخبرنا عن هذه الفرقة الثالثة التي لم يرد الله عز وجل منها إيماناً ولا كفراً على قولك، ولم ينزل فيها كتاباً ولا ذكراً ولا سنة ولا أمراً على قود قولك، أَهُمْ من خلقه فنسيهم أم من خلق غيره فلم يجب أن يحكم في خلق غيره ؟

فإن قلت: هم من خلقه فنسيهم ؛ كفرت وخرجت من الإسلام لأنه عز وجل لا ينسى ولا يغفل عن أحد.

وإن قلت: هم من خلق غيره أشركت ووجب سفك دمك.

وإن قلت: بل هم من خلقه.

قلنا لك: فهل ذكرهم في أحكامه وكتبه أم غفل عنهم ؟

فإن قلت: غفل عنهم ؛ كفرت وشهد عليك القرآن بالتكذيب لك ولأهل مقالتك من المجبرة حيث يقول عز وجل: **{وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ(17)}** [المؤمنون]، وقوله: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)}** [المؤمنون]، وقوله: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام:38]، وقوله: **{تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل:89]، وقوله: **{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}** [فاطر:11]، وقوله: **{ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ}** [غافر:67]، يعني الأطفال، وقوله: **{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9)}** [التكوير].

فهذا كله يدل على أنه عز وجل غير غافل عن الأطفال ولا غيرهم وأنه قد ذكرهم لنبيه صلى الله عليه وجعل لهم حكماً في كتابه.

وإن قلت: إنه عز وجل لم يغفل عنهم ولم يدعْ ذكرهم ولا الحكم فيهم في حكمته وعدله وكتبه وسنة نبيه صلوات الله عليه لزمك أنك قد كذبت على الله عز وجل وخالفت حكمه وعطلت كتابه في وقوفك عن أطفال المشركين ورجعت إلى قولنا بالعدل، وأن الله عز وجل لم يدع شيئاً من الأشياء حتى ذكره في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه من أسباب الدين وما تحتاج إليه الأمة في أداء فرضها الذي كلفها، إذ قال: **{تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل:89]، والذي كذبت فيه وعطلت من الكتاب وتركت حكم الله عز وجل في أمر الأطفال خاصة قولك إنك تقف عم نلم يقف الله عن ذكره ولا عن بيان أمره والحكم فيه.

وإنه عز وجل أرسل رسوله محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم يقاتل المشركين فإذا ظفر بهم لم يقتل أولادهم، وذلك الدليل على أنه لو قتل أولاد المشركين لجاز عذابهم في الآخرة، فلما لم يقتلهم عَلَيْه السَّلام لم يجز عذابهم في الآخرة لأن الله عز وجل لا يعذب في الدنيا ولا في الآخرة على غير جرم.

وكذلك أولاد الزنا من أهل القبلة بان لنا من رحمة الله عز وجل وعدله فيهم أن المرأة الحامل تستوجب أن يقام عليها الحد إذا فجرت فلا يقام عليها ذلك الحد الواجب حتى تضع ما في بطنها ثم لا يقام عليها الحد حتى تفطمه، ودليل ذلك واضح على رحمة الله عز وجل له، وأنه إنما أخر عنها الحد لحسن نظره للطفل لا لها.

وكذلك المشركة إذا كانت تحت أحكام الإسلام، فلزمها قتل أو حد من حدود الله عز وجل التي يجب بها القتل لم تقتل حتى تضع ما في بطنها رحمة من الله عز وجل وعدلاً منه على من لم يذنب ولم يعص الله جل ثناؤه طرفة عين، ثم إذا وضعت لم يُقَم عليها الحد أيضاً حتى ترضع حولين كاملين وتفطم، فهذا فعل الله عز وجل وعدله وحكمه في الأطفال كلهم من ولد آدم كلهم في الدنيا.

ثم زعمت أنه يجوز عندك وفي دينك أن الله عز وجل لا تدري ما هو صانع بهم في الآخرة بزعمك حتى ألزمك ذلك الشك وصيرك إلى الوقوف عنهم زعمت بجهلك لعدل الله جل ثناؤه، وكيف تعرف عدله عز وجل وأنت مجتهد في إطفاء نوره وعذر من عانده وتكذيب كتابه في حكمته وإلزامه ذنوب المشركين والكفار وجميع العاصين، سبحان الله العظيم ما أشنع ما قلتم.

وكيف تقف ويحك عن أطفال المشركين واليهود والنصارى أو واحد من ولد آدم عَلَيْه السَّلام والله عز وجل يقول: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)}** [فصلت]، وقوله: **{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى(38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى(40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى(41)}** [النجم]، وقوله عز وجل: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ**

حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)} [الإسراء]، وقوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا}** [القصص:59].

فتراه لم يرد أن يهلك البالغين حتى يُعذر إليهم فكيف يهلك الأطفال البريئين بغير جرم.

وقوله عز وجل: **{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا}** [الأنعام:164]، وقوله: **{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(81)}** [البقرة]، وقوله: **{ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(281)}** [البقرة]، وقوله: **{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9)}** [التكوير]، والموؤدة هي الأطفال بإجماع الخلق.

فالله يقول في دار الدنيا ويذم من قتل الموؤدة بأي ذنب قتلت ثم يعذبها زعمت بالنار يوم القيامة؟! عز عن ذلك العدل الذي لا يجور، ووقفت أنت عن هذا الحكم من شدة ورعك زعمت وأنت تفتري على الله عز وجل وتجوِّره في كتابه وأحكامه كلها ثم تتورع من ذلك، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].

فكيف جاز عندك أن تضع كتاباً تقول فيه لمن خدعته من الجهال إنك تقف عن أطفال المشركين، فليت شعري لأي علة وقفت عند نفسك عنهم أشككت أن الله عز وجل لا يدخل أطفال المشركين الجنة فيلزمك فيما شككت فيه أن يدخلهم النار إذ لا منزلة في الآخرة توجد ثالثة غير الجنة والنار، فيبين ظلمه وجوره عليهم عز عن ذلك العدل الذي لا يجور .

أو يكونون عندك لا في جنة ولا في نار فيلزمك أن في الآخرة داراً ثالثة لم يخبرنا الله عز وجل بها فجعلتها أنت لأن يجوز كذلك وتخالف الكتاب حتى تقبل منك المجبرة وقوفك عن أطفال المشركين.

فإن قلت بدار ثالثة كفرت وخالفت جميع الفرق وخرجت من قول أهل القبلة واليهود والنصارى لا يقولون بدار ثالثة في الآخرة .

فاختر أي هذه المضايق الخانقة لك شئت، فلا بد لك من القول بواحدة منها أو التوبة عن الجبر والرجوع إلى العدل الذي سميت ضده عدلاً لجهلك بعدل الله عز وجل.

فالتوبة خير لك من التمادي في الباطل والعمى، ففوق كل ذي علم عليم، وهذه حجة باهرة لكم لا يقدر أهل الجبر لها على نقض، فاتق الله وإياك أن تكون من الذين قالوا: **{رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(67) رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا(68)}** [الأحزاب]، فاسمع إلى تبرئهم منهم ولعنهم إياهم بعد المودة في الدنيا على الحمية والخطأ الذي أورثهم النار **{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(41)}** [المؤمنون].

وأما قولك إنا نقول: إن أطفال المشركين مؤمنون ؛ فليس ذلك قولنا لا نقول إنهم مؤمنون ولا كافرون، وإنما هم عباد الله سبحانه لم يأتهم رسول فكذبوه، ولم ينزل عليهم كتاب فجدوه، ولم تلزمهم حجة فأعرضوا عنها ولم يركبوا لله جل ثناؤه معصية ولم يعملوا له طاعة، فأوجب الله عز وجل الجنة برحمته لهم وتفضّله عليهم إذ هو أهل الفضل والإحسان وإذ لا جرم لهم ولا ذنب عليهم ولا حجة لزمتهم.

فهذا هو العدل وهو الحق، وهو الأولى بالواحد الكريم، ورحمته عز وجل قد بانت وصحت لهم في الدنيا قبل أن تجيء الآخرة إذ لم يقتلهم بما وجب على آبائهم وأمهاتهم من الحدود والأحكام، ولم يقتل أمهاتهم بعد لزوم الحدود لهن لحسن نظره لهم ورحمته إياهم حتى فطمنهم واستغنوا عنهم ؛ فهذا أكبر دليل وأصح قيل لو لم يكن لهم ذكر في القرآن غير هذا لكفى، والحمد لله رب العالمين.

فأما ما سألت عنه من مواريث أطفال اليهود والنصارى وأولاد المشركين فإنا نقول إنهم غير مخرجين من مواريث أهل ملة آبائهم لأن ذا أمر قد جرت فيه السنن من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله إذ قال: ((أهل ملتين لا يتوارثون)) فليس لأحد كلام بعد قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله عز وجل: **{وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ**

عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:7]، وليس لأحد أن يخالف السنة والكتاب، وقال عز وجل: **{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** [النساء:80].

وليس قولنا إن أولاد المشركين ولا اليهود ولا النصارى مؤمنون ولا كفار، ولا يجوز ذلك إذ لا عمل لهم.

وكذلك أيضاً نحن نقول: إن أولاد المؤمنين لا مؤمنون ولا كفار، وإنما الأطفال كلهم حكمهم حكم واحدٌ هم عبيد الله عز وجل لا حجة عليهم إنما يدخلهم الجنة جميعاً برحمته وبفضله على ما قد بينا وشرحنا، والحمد لله رب العالمين.

وعلى أنه قد جاء في تفسير القرآن حيث يقول: **{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ(88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ(89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(91)}** [الواقعة]، فقال أهل التأويل إن أصحاب اليمين هم الأطفال.

ثم قال: **{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ(92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ(93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ(94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ(95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ(96)}** [الواقعة]، فذكروا أن المقربين هم المؤمنون، وأن أصحاب اليمين هم الأطفال، وأن المكذبي الضالين هم الكفار والعاصون من أهل النار.

وجملة الخبر أن الله عز وجل يقول: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، وهذه الآية توجب الجنة لجميع الأطفال كلهم جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولنا نحن والذي نفسره: فإن أصحاب اليمين هم الذين عملوا الأعمال التي ترضي الله عز وجل وتجنبوا معاصيه، والدليل على أنهم أصحاب الأعمال خاصة: قول الله عز وجل في كتابه: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(9)}** [الانشقاق].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن بدعتهم في قولهم: إن الله عز وجل لم يخلق الكفر والإيمان، وإن العباد خلقوه وليس من خلق الله الإيمان والكفر ؛ فسلهم عمن جعل الإيمان غير الكفر والكفر غير الإيمان ؟

فإن قالوا: إن الله جعل ذلك ؛ فقل: أليس الله جعل الكفر غير الإيمان ؟ والإيمان غير الكفر؟ وجَعْلُ اللهِ صنْعُه ؟

فإن قالوا: نعم، صنْعُه خلْقُه ؛ فقل: فأخبروني عما كان الله صانعه وجاعله، أليس الله هو خالقه؟

فإنهم لن يجدوا بداً من أن يقولوا: نعم لأن صنع الله خلقه وجعله ؛ فإن أعطوك هذا دخلوا في قولك وأعطوك أن الله جعل الكفر وصنَعَه وخلقه ولن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إن العباد جعلوا الكفر غير الإيمان، والإيمان غير الكفر، ولم يجعل الله ذلك لم يجعل الإيمان غير الكفر ولا الكفر غير الإيمان ؛ فإذا لم يجعل هو ذلك فكيف يثيب على الإيمان وهو لم يجعله غير الكفر ؟ وكيف يعذب على الكفر وهو لم يجعله غير الإيمان ؟ إن الله لم يجعل في زعمكم التوحيد حسناً ولا الشرك بالله قبيحاً، فكيف يقع الثواب على ما لم يحسّن الله ولم يقبّح، ولم يجعله كفراً ولا إيماناً، والله إنما ذكرنا في كتابه أن الثواب على الإيمان والعقوبة على الفكر، فهو لم يجعل إيماناً ولا كفراً فكيف يثيب على ما لم يجعله هو إيماناً ولا كفراً، ولو شاء العباد لصنعوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً ؛ لأنهم إنما صنعوهما وجعلوهما وحسنوهما وقبحوهما والله لم يصنع ذلك ولم يجعله ولم يقبح الكفر ولم يحسن الإيمان، أفليس لو شاء العباد لجعلوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً وهم الذين يقبحون ويحسنون، فلو حسّنوا الكفر وقبّحوا الإيمان لكان كما صنعوا ؛ لأنه ليس لله فيه صنع، فإذا كان يجعلونه فما بالهم لا يغيرون إن شاءوا ما قبحوا فيجعلونه حسناً ويحسنون ما قبحوا.

فإن أعطوك أنهم إن شاءوا فعلوا ذلك ؛ فقد أمكنوك من حاجتك، وأعطوك أن العباد لو شاءوا لأثاب الله على الكفر الجنة وعذب على الإيمان، ولو شاء العباد جعلوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً، ولم يجعلوا لله في ذلك صنعاً وجعلوا الجنة لمن شاءوا هم، والنار لمن شاءوا.

ولن يعطوك هذا، ولا بد لهم إن أحسنت أن تسألهم، فانظر مواقع هذه المسائل فإنك إن أحسنت مساءلتهم على هذا الوجه وقادوا لك هذا الكلام دخلوا في الزندقة.

وإن قالوا: إن الله إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ولم يجعل الإيمان، ولم يجعل الكفر ؛ فقل لهم عند ذلك: أخبروني عن اسم الإيمان أهو الإيمان، وعن اسم الكفر أهو الكفر ؟ فإن قالوا: اسم الإيمان هو الإيمان، واسم الكفر هو الكفر ؛ فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر وصنعهما وخلقهما لأن اسم الكفر هو الكفر، واسم الإيمان هو الإيمان ؛ فإذا جعل الأسماء والأسماء هي الأشياء بعينها فقد جعل أسماءها، وأسماؤها هي هي، وليس اسم الكفر غير الكفر، وليس اسم الإيمان غير الإيمان ؛ فقد لزمهم لنا أن الله قد جعل الكفر والإيمان وصنعهما وخلقهما.

وإن قالوا: إن اسم الكفر غير الكفر، واسم الإيمان غير الإيمان، والكفر المعنى الذي وقع عليه الاسم، والاسم ليس بكفر ولا إيمان ؛ فارجع إلى صدر مسألتنا فقل لهم: أفليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر والكفر غير الإيمان ؟ وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً، والله لم يجعل ذلك ؟ ثم ارفع إلى ما رفعتهم في صدر المسألة فإنهم لن يجدوا مخرجاً، **{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا(88)}** [النساء].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: إنما هذه المسألة التي طوّلت فيها إنما كررت فيها المعاني بألفاظ مختلفة وكلها تقتضي معنى واحداً، ونحن نقول:

إن الله عز وجل ذكر الجعل في كتابه ووصفه عز وجل على وجهين اثنين، واضحٌ ذلك في القرآن غير خفي عن أحد ؛ لأنه حجة الله عز وجل على خلقه التي لم تتدبرها المجبرة ولم يركنوا فيها إلى العلماء ولم يأخذوا الحق من معدنه وقلّدوا عبدالله بن يزيد البغداذي وغيره أمر دينهم قبل البحث وإنعام النظر، ووطء الحجج والبراهين الشاهدة للحق فهلكوا عند الله عز وجل.

واعلم أن أحد الوجهين اللذين ذكرتُ لك أن الجعل على وجهين ؛ أحدهما: جعلُ حكمٍ وتسمية أي سماهم بفعلهم وحكم عليهم بفعلهم، لا أنه خلق ذلك ولا قدّره، وهو قوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}**[السجدة:24]، أي سميناهم بفعلهم وحكمنا عليهم بفعلهم، مثل ما تقول العرب في لغاتها التي قد جعلها الله عز وجل حجة على قوم محمد صلى الله عليه وعلى آله حين يقول: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}**[إبراهيم:4]، فلو جاءهم بغير اللغة العربية ما عرفوه عنه ولا لزمتهم طاعة، فتقول العرب: أضلني فلان أي سماني ضالاً، قال الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله:

فطائفةٌ قد أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وطائفةٌ قالوا مسيءٌ ومذْنِبُ

يعني أنهم سموه كافراً ولم يجعلوا فيه الكفر جعلاً.

وكذلك أيضاً الجعل مثل قوله: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}** [القصص:41]، فذلك جعل حكم وتسمية، ومثل ذلك: **{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ}** [الأنعام:25]، أي سميناهم وحكمنا عليهم بفعلهم، ولو كان عز وجل هو الذي جعل الأكنة على قلوبهم على ما يعقل من الحجب والأستار ثم أرسل إليهم بقرآن افترض عليهم استماعه والعمل بما فيه وقد حال بالأكنة بينهم وبين استماعه، لزالت الحجة ولسقط عنهم الفرض.

والشاهد على ذلك قوله: **{فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا}** [يونس:108]، غير مجبور ولا مخلوق فعله وكفى بهذه الآية شاهداً لنا أن من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها غير مجبور ولا مخلوق فعله.

والشاهد لنا على ما ذكرنا في الأكنة: إقراركم لنا يا معشر المجبرة أن الأصم الذي لا يقدر على السمع قد زال عنه فرض استماع القرآن والعمل بما فيه، وأنه إن عقل الصلاة بتعليم

الإيمان جازت له وقُبلت بلا قراءة الحمد وسورة معها، وقد جاءت السنة أن كل صلاة بغير قراءة الحمد فهي خداج، فهذه حجة قاطعة لا حيلة لكم فيها.

وأما الجعل الآخر: فهو قوله عز وجل: **{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا}** [الأنبياء:32]، **{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ}** [الإسراء:12]، **{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(9)}** [السجدة].

وكل جعل في القرآن على وجهين لا يوجد فيه وجه غير ما قلنا ؛ فأحدهما: جعل حكم وتسمية، والآخر: جعل حتم وجبر وقسر، لا مخرج منه.

فأما قولك: من جعل الكفر غير الإيمان، والإيمان غير الكفر ؟

فإن كنت تريد بذلك: من خلق الإيمان غير الكفر والكفر غير الإيمان ؟

فالكفار هم الذين خلقوا الكفر أي فعلوه وعملوه وصنعوه، والشاهد على ذلك أصدق شاهد وأعدله: قول الله عز وجل: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، إلا أن ترد على الله عز وجل وتكذّب قوله، أو تقول ليس هذه الآية في القرآن فما نعلم لك مخرجاً ولا محيصاً تلجأ إليه إلا الجحدان، وقد قال الله عز وجل في سورة براءة: **{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}** [التوبة:3]، فلا يقدر أحد من جميع الخلق كلهم أن يدعي أن الله عز وجل بريء من خلقهم ولا من رزقهم، ولا من حياتهم ولا من موتهم، ولا أنه بريء من المشركين في وجه من جميع الوجوه كلها بالصحة والحجة القاطعة إلا مِنْ فعلهم، وإذا برئ من فعلهم، صح أن ليس له في فعلهم فعل بوجه من جميع الوجوه كلها ولا سبب من جميع الأسباب كلها ؛ وإلا فهاتوا حجة تدلنا على معنى آخر برئ الله منه غير أفعالهم كلها.

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: ((اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد بن الوليد))، فإن كان فعل خالد بن الوليد هو فعل الله عز وجل أو لله فيه فعل بمقياس شعرة لزم النبي صلى الله عليه أنه قد برئ من فعل الله، ومن برئ من فعل من أفعال الله ولو صغر ذلك الفعل لزمته البراءة من الله، ومن برئ من الله فقد كفر، ومن كفر فقد صار إلى النار.

فقولوا في رسول الله صلى الله عليه ما شئتم، فلعمري لقد افتريتم على الله عز وجل فهو أجدر أن تفتروا عليه.

وزعمت يا عبدالله بن يزيد البغداذي وأصحابك المجبرة أن الله خلق فعل المشركين وخلْقُه زعمت صُنْعه، فكيف يخلق خلقاً ثم يتبرأ منه ؛ أيجوز هذا في حكم عادل حكيم ؟ لا بل هل يجوز هذا على عابث جاهل ؟! معاذ الله.

أما إذا صدق نفسه وأنصف عقله علم ذلك الجاهل أنه إذا فعل فعلاً لم يصلح عند نفسه أن يتبرأ منه، وإذا لم يجُزْ في حكمة الحكيم الذي لا يظلم أن يقول في كتابه: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}**[الروم:41]، وكان الصواب والعدل والحق أن يقول: ظهر في البر والبحر بما صنعتُ وخلقت وأردت وقدّرت من أفعالي بالناس، ولا يعنفهم في أمر هو خلقه وأراده فإن في الناس من يميز عليه هذا الحكم.

وقد حكى مثل ذلك من عيبه لهم حيث قال: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى(134)}** [طه]، فهذا دليل على العدل، وعلى أن الاستطاعة قبل الفعل، وقوله: **{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ}** [آل عمران:182]، وقوله: **{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(24)}** [الواقعة]، مع آيات كثيرة في كل سورة تشهد لعدل الله عز وجل وتنفي عنه الجور والظلم، وخلق أفعال العباد وإرادة السوء والظلم والفساد اختصرنا فيها خوف التطويل.

ومن الجعل أيضاً الذي هو جبر وحتم قوله عز وجل: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا}** [الزخرف:3]، فهذا جعل حتم وخلق على قود قولكم لأنكم أيها الخوارج تدّعون القول بشيء من معرفة التوحيد ؛ فمن حجتكم في التوحيد زعمتم أنكم تقولون إن القرآن مجعول وكل مجعول مخلوق، فهذا يلزمكم لنا أحببتم أو كرهتم لأنه أصل قولكم في التوحيد. فإن قلتم: وكذلك يلزمنا نحن أيضاً أن كل مجعول مخلوق من غير القرآن من الجور والظلم والفسق والكفر الذي زعمت أن الله خلقه وصنعه.

فإنا نقول لكم رادّين عليكم: فإن قصيدة لبيد بن ربيعة الكلابي التي هي سمطة التي يقول فيها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّها فمُقَامُهَا   بِمِنًى تأبَّد غوْلُها فرِجَامُها

مجعولة جعلها لبيد بن ربيعة الكلابي وصنعها، والله عز وجل زعمتم الذي خلقها كما خلق القرآن وصنعها كما صنع القرآن على قود قولكم، فلا بد لكم من أن تقروا بذلك، أو ترجعوا عن دعواكم لأخذنا بأكظامكم في هذا الموضع فتقولوا إن الله عز وجل لم يخلق قصيدة لبيد ولم يصنعها.

فإن قلتم: إن الله عز وجل خلق قصيدة لبيد على دعواكم أن الله خالق كل شيء.

قلنا لكم: وكذلك خلق الله القرآن فما الفرق بين الشعر والقرآن في الفطرة والصنعة ؟ وما فضل أحدهما على الآخر فلا تجدون فرقاً تدفعوننا به لأن الشعر في زعمكم الله خلقه والقرآن الله خلقه زعمتم فجائز لمن صلى بقصيدة لبيد وغيرها من الأشعار وجائز لمن صلى بالقرآن لأنه كله على زعمكم خلق الله وصنعه وصنعه خلقه وخلقه صنعه على ما قلت يا عبدالله بن يزيد البغداذي في أول مسألته هذه خاصة.

فإن قلت: إن الله عز وجل افترض الصلاة بالقرآن ولم يفترض الصلاة بالشعر.

قلنا لك: صدقت ولكن هات لنا حجة تفرق بها بين خلقه للقرآن وبين خلقه للشعر.

فإن قلت: إن الفرق من قبل أن القرآن خلقه وحده لم يشركه فيه أحد والشعر خلقه هو وغيره من الشعراء على قود قولكم فِعْل من فاعلين، وإنه لله خلق وللعباد كسب.

قلنا لك: فقد لزمك أن لله عز وجل شريكاً في خلقه، ولا بد لك أن تقول إن الله جل ثناؤه ولبيد بن ربيعة الكلابي صنعا القصيدة وخلقها خلقتها المعروفة:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّها فمُقَامُهَا   بِمِنًى تأبَّد غوْلُها فرِجَامُها

فتقول: إنهما خلقاها جميعاً وصنعاها فلله نصفها وللبيد نصفها على قود قولك، فيجب عليك أنك قد رجعت عن قولك إن الله خلق أفعال العباد وصرت بأنه يخلق نصف أفعال العباد وانتقض قولك الأول الذي تطاولت به وانتفخت علينا بسجعه.

وإن قلت: إنك لا تقول إن الله خلق نصف قصيدة لبيد، ولبيد خلق نصفها الآخر.

قلنا لك: فكيف تقول في القصيدة من خلقها هي وسائر الأشعار إذ قد رجعت وكرهت أن تقول إن الله خلق نصفها ولبيد بن ربيعة نصفها، فهل تقول إن الله خلقها وحده منفرداً بها لا شريك له في خلق القصيدة وخلقه صنعه زعمت ؟

فإن قلت: نعم، الله الذي تفرد بخلق القصيدة وصنعها وحده ؛ لزمك صاغراً داخراً عاثراً أن الله عز وجل الذي صنع هذا القول، جل الله عن قولكم، وهو قول لبيد بن ربيعة:

بل ما تَذَكَّرُ من نَوَارَ وقد نَأَتْ وتَقَطَّعَتْ أسبابُها ورِمَامُها

فيلزمك ويلك أن الله عز وجل يصنع الغَزَل ويخلقه على قود قولك واحتجاجك أن الله خلق كل شيء من جميع الأشياء من العباد من كفر أو إيمان أو طاعة وعصيان أو شعر أو غيره، وقولهم الخطأ والخنا وأن خلقه صنعه زعمت، وأن ما خلقه فقد صنعه.

فاسمع ما يلزمك من الفضيحة الهائلة في هذه القصيدة، وما ألزمت الله عز وجل من خلقه لها، وإن ذلك يلزمك الشرك ويخرجك من الإسلام لما قلت إن الله يصنع الأشياء كلها ويخلقها، فاسمع ما يلزمك في ذكر النساء ووصف أسبابهن ونعت الخمر وصفة الإبل والخيل والقفار والحل والارتحال وتقطع الوصال فيلزمك أن معبودك هو الذي خلق هذا الشعر كله وكل شعر على وجه الأرض فيه الغناء والقبيح، من ذلك قول لبيد في البيت الثاني:

مُرِّيَّةٌ حلَّت بِفَيْدَ وجاورت أهلَ الحجازِ فأين مِنْكَ مَرامُهَا

فيلزمك أيها الجاهل بالله عز وجل أنه يشكو الحزن عليها والغم بفراقها وبعد نأيها وأن مزارها لا يرومه ولا يقدر عليه لبعد دارها. البيت الثالث:

فاقطع لُبَانَةَ من تعرض وصلها   ولَشَرّ واصل خلة صرامها

فيلزمك أن معبودك عز الله وتعالى عما قلتم يعزي نفسه عن طلب الوصال ويشكو جفاء المواصل. البيت الرابع قوله يصف الناقة:

بِطَلِيحِ أسفارٍ تركن بقيَّةً   منها فأَحْنَقَ صُلْبُها وسنامُها

فيلزمك أنه يصف الإبل والمسافرة عليها وأنه قد أهزلها بطول الأسفار التي لا تقطع المهامه إلا على تلك الحال. البيت الخامس:

أفلم تكن تدري نَوَارُ بأنني   وَصَّالُ عَقْدِ حبائلٍ صَرَّامُهَا

فيلزمك أنه عز وجل يصف مواصلة النساء تارة ويصف صرم حبائلهن تارة أخرى ولا يفعل هذا إلا أهل الغزل والطرب والسفه. البيت السادس:

تَرَّاكُ أمكنةٍ إذا لم أَرْضَها   أو يرتبط بعض النفوس حِمَامُهَا

فتلزمك البلية العظمى أنه يقول مثل هذا القول الذي يقول فيه أو يرتبط بعض النفوس حمامها، والحمام في لغة العرب هو الموت لا شك فيه. البيت السابع قوله:

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ   طلْقٍ لذيذٍ لهوُهَا ومُدَامُها

فيلزمك أنه عز وجل عن ذلك يصف السهر واللذة فيه باللهو والمدام، والمدام هو الخمر عند العرب. البيت الثامن من قوله:

قد بِتُّ ساهرها وغايةَ تاجرٍ   وافيتُ إذ رُفِعَتْ وعزَّ مُدَامُها

فيلزمك أنه يصف الخمر وموافاتها إذا غلت عند الخمَّار، وأنه يصف السهر بالليل مع الشراب؛ لأنك زعمت أن خلْقه صنْعه فيلزمك أن ما ذكرنا من هذه العظائم صنع الله عز وجل. البيت التاسع من قوله:

أُغْلِي السِّباءَ بكلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ   أو جَوْنَةٍ قُدِحَت وَفُضَّ ختامُها

فيلزمك أنه يصنع ويغلي شراء الخمر ويبذل الثمن في أزقاق الخمور، والأدكن عند العرب هو الزق، والجونة هي الجرة التي تقدح ويفض خاتم يكون عليها كما تصف العرب. البيت العاشر قوله:

باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ   لأُعَلَّ منها حين هَبَّ نيامُهَا

فيلزمك أنه عز وجل عما قلت خلق هذا القول وصنعه، وخلْقه صنْعه عندك، وأنه يباكر قبل صياح الديكة الخمر ليعل منها أي يشربها في قول لبيد يصف نفسه حين استيقظ ندماؤه النيام.

فزعمت أن الله تعالى صانع هذا القول، ولا نعلم شركاً في الأرض هو أعظم من هذا الذي وضعت علينا فيه الكتب ؛ فانظر ماذا نزل بك ؟! البيت الحادي عشر قول لبيد أيضاً:

وغداة ريحٍ قد كشفتُ وَقِرَّةٍ　　　　قد أصبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمَامُهَا

فيلزمك كل بلية وشناعة في صفة خالقك البريء من كذبك والفرية عليه. البيت الثاني عشر:

بِصَبُوح صافيةٍ وجَذْبِ كَرِيْنَةٍ　　　　بِمُوَتَّرٍ له إبهامها

فيلزمك أيها الهالك في دينه الصاد عن صراط ربه أنه يصف الصبوح من الصافية وهي الخمر ويصف الضاربة بالعود وهي الكرينة في لغة العرب التي ذكر لبيد، والموتر هو العود الذي اتخذه السفهاء لهواً وطاعة للشيطان. البيت الثالث عشر من قول لبيد:

ولقد حَمَيْتُ الحيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي　　　　فُرُطٌ وِشَاحِي إذْ غَدَوْتُ لِجَامُها

فيلزمك أنه عز وجل من ذلك يحمي الخيل وتحمل شكته الدواب وتحمله تبارك وتعلاى، وأن وشاحه لجامه، أراد بذلك لبيد بن ربيعة الكلابي أن العرب إذا نزلوا عن خيولهم لحوائجهم ومخاطباتهم ربطوها وخلعوا لجمها فيتوشح الرجل منهم بلجام فرسه مع سيفه يتقلده كما يتقلد بحمائل سيفه، وهذه صفة المخلوقين عز الله وتعالى عما قالت المجبرة علواً كبيراً.

وإنما احتججنا عليك بهذا القول عمداً ليعلم من له أدنى عقل أنك يا عبدالله بن يزيد البغداذي ومن دان بمثل قولك من أهل الجبر القائلين إن الله خلق أفعال العباد كلها قد

بانت فضيحتكم وسقطت دعواكم، وصح كفركم وباطلكم بما ذكرنا وأوجبنا عليكم من الحجة القاطعة فيما ألزمناكم من شعر لبيد.

ثم نقول لكم: أخبرونا متى خلق الله عز وجل قصيدة لبيد قبل اكتساب لبيد لها أم بعده ؟

فإن قلت: إن الله خلق القصيدة قبل اكتساب لبيد لها، وخلْقه صنعه زعمتم.

لزمكم أن الله تعالى قد صنع كل ما في قصيدة لبيد من العظائم، وكذلك كل شعر هو صنعه وفعله.

وإن قلتم: إن الله عز وجل خلق قصيدة لبيد بعدما اكتسبها لبيد ؛ لزمكم أن قول لبيد لها كان قبل صنع الله وأن صنع الله إنما هو تابع لصنع لبيد ؛ فاختاروا أي هذين القولين شئتم فأيهما ما قلتم به ألزمكم الكفر والخروج من دين الإسلام.

ثم نقول لكم: لا بد لكم أن تقولوا إن الله عز وجل خلق هذه القصيدة وحده منفرداً بخلقها وصنعها لا صانع لها غيره.

فإن قلتم ذلك وأجزتموه ؛ قلنا لكم: فقد لزمكم في صفة ربكم ما وصف لبيد وأن لبيداً لا فعل له فيها وكفرتم.

وإن قلتم: إن الله عز وجل خلق بعضها ولبيد بعضها ؛ لزمكم أن معبودكم خلق نصف ما قال لبيد وصنعه، ونصف ما قالت الشعراء أو صنعت من وصف الخمر والمغنيات وجميع البلايا، وهذا ما لم يسبقكم إليه الزنادقة ولا المجوس ولا أحد من الملحدين.

ولم تظن يا عبدالله بن يزيد البغداذي ولا غيرك من المجبرة أنكم تجابون بمثل هذا الجواب الهاتك لأستاركم والمبين لعواركم أبداً، ولا بد لك من أن تقول ببعض هذا.

وإن قلت: لا أقول إن الله خلق أشعار العرب ولا صنعها ؛ لزمك أنك قد رجعت عن قولك بالجبر وصرت إلى قولنا بالعدل، وأن الله لم يصنع أشعار العرب، ولزمك أنك قد كنت كاذباً علينا في دعواك أنا مفترون على الله عز وجل.

ثم نقول لك: أليس قد ذم الله عز وجل الشعراء حيث يقول: **{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا**

يَفْعَلُونَ(226) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)} [الشعراء].

فهل يجوز أن الله عز وجل خلق وصنع ممن شعرهم ما عاب عليهم وهو خلقه وصنعه وهل هذه صفة حكيم عادل؟! وهل يقول في كتابه: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(44)}** [البقرة]، وكيف يؤدبنا على شيء ثم يفعله ؟! عز عن ذلك وجل.

ثم نقول لعبدالله بن يزيد البغداذي ولمن قال بقوله: أخبرونا عن القصيدة التي هجا بها عمرو بن العاص رسول الله صلوات الله عليه، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله خبره قال: ((اللهم إنك تعلم أني لا أقول الشعر، فالعنه بكل بيت لعنة)) ؛ فنقول لكم: أليس في قولكم إن الله عز وجل خلق تلك القصيدة ؟

فإن قلتم: نعم ؛ لزمكم أن الله جل ثناؤه هو الذي هجا رسوله صلى الله عليه، وهذا كفر من قائله.

وإن قلتم: لم يخلق قصيدة عمرو بن العاص ؛ رجعتم عن قولكم وبان كذبكم وصح أن الحق معنا دونكم.

ثم نقول لكم: أخبرونا أليس من خلق شيئاً وصنعه لزمه أنه رب لذلك الشيء ؟

فإذا قالوا: بلى.

قلنا لهم: أفجائز عندكم أن يقول القائل إذا دعا ربه: يا رب الأشعار والقصائد اغفر لي ذنوبي، أو هل يجوز أن يدعو فيقول: يا رب الزنا ويا رب الخمر ويا رب اللواط ويا رب المعازف ويا رب الفواحش ويا رب القتل والظلم والكذب والربا والكفر والشرك اغفر لي ذنوبي ؟

فإن قلتم: نعم ذلك جائز أن يُدْعى به.

قلنا لكم: فهل هذه الأسماء حسنة أم قبيحة ؟

فإن قلتم: أسماء حسنة ؛ بان كذبكم وكفركم عند جميع الأمة إذ سميتم القبيح في العقول حسناً، وخرجتم من المعقول.

وإن قلتم: لا بل هي قبيحة.

قلنا لكم: فلِمَ أجزتم أنه جائز أن يدعو الداعي بها إلى الله عز وجل والله عز وجل يقول: **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(180)}** [الأعراف]، فيجب عليكم الرجوع إلى ما نوجب عليكم من الحجج القاطعة التي لا مخرج لكم منها، والحمد لله رب العالمين.

ومن الاحتجاج لنا على عبدالله بن يزيد البغداذي وعلى من قال بقوله من جميع أهل الجبر والإلحاد في صفة الله جل ثناؤه أنا نقول لهم: خبرونا عن قول الله تبارك وتعالى: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا}** [ص:27]، أليس هذا في القرآن ؟

فإن قالوا: بلى.

قلنا لهم: فأخبرونا عن الكفر والشرك وجميع المعاصي والفواحش كلها التي ادعى عبدالله بن يزيد أن الله عز وجل خلقها وصنعها وأرادها وقدرها ؛ وكذب المفتري على الله أليس هي بين السماوات والأرض ؟

فلا بد لهم من أن يقولوا: نعم.

فنقول لهم: فخلْق الله للشرك والكفر وجميع المعاصي التي ذكرت أحق هو أم باطل ؟ أم خلق ذلك كله لا حق ولا باطل ؟

فإن قالوا: خلقه الله حقاً.

قلنا لهم: فهو حق كما خلقه الله حقاً ؟

فإن قالوا: لا ؛ لزمهم لنا ووجب عليهم أن الله عز وجل لم يخلق الأشياء على أمر من الأمور يوقَفُ عليه، فنحن على خلاف الأمر الذي خلَقنا الله عليه، فهم لا يدرون لعل الله خلق الناس حميراً والحمير ناساً، وهذا غاية التجاهل والعمى.

وإن قالوا: لا نقول ذلك، ولكنا نقول: خلق الله جميع ذلك حقاً.

قلنا لهم: فالكفر والشرك، وقول أهل الدهر وجميع المعاصي حق كما خلقها الله حقاً.

فإن أقروا بذلك وأجازوه ؛ لزمهم أن القول بأن الله ثالث ثلاثة وأن له ولداً وأن يده مغلولة وأن الشركاء والأنداد والأضداد والأولاد حق.

وهذا هو التعطيل والخروج من ملة الإسلام والبراءة من الله العدل الذي لا يخلق الباطل ولا يصنعه ولا يقضيه على فاعله ولا يريده ولا يرضاه كما قال عز وجل: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}** [الزمر:7].

وإن قالوا: إن الكفر باطل، وإن الله خلقه باطلاً.

قلنا لهم: فإنه يجب عليكم من الكفر أعظم من الذي هربتم منه لأن قولكم إن الله الذي خلق الباطل تكذيب منكم لقوله، ورد لكتابه إذ يقول عز وجل: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا}**[ص:27]، والكفر والشرك وجميع المعاصي بين السماوات والأرض، فتبارك الله وتعالى عما يقول المجبرون علواً كبيراً.

وقوله تبارك وتعالى: **{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}** [البقرة:188]، فلِمَ يسمي خلقه وصنعه باطلاً ؟ أفهكذا يقول الحكيم الحسن الفعل الذي يخبر عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم ويقول: **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا(87)}**[النساء].

ثم قال: **{وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}** [الكهف:56]، فليت شعري أيهما الباطل وأيهما الحق؟! وكلاهما زعمتم خلق الله وصنعه، فوالله لا يزيد المجانين على هذا الخبط والتخليط الذي لا يعقل.

إن المجبرة زعمت أن الواحد الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم ينزل على رسوله فرائض افترضها على عباده وحتمها عليهم ثم يحول بينهم وبين الوصول إليها ثم يقول لمن افترض عليه الفرائض: لِمَ لَمْ تؤد إلي ما أمرتك به ؟ وقد خلق بين السماء والأرض أفعال العباد كلها كما زعمتم ووصفتم، وقال إنه لم يخلق ذلك باطلاً، وقال: {**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ(27)**} [ص].

رجع علينا زعمتم، فإذا في كتابه أن بعض ذلك الخلق قد صار حقاً وبعضه قد صار باطلاً بعدما قال: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ(27)}** [ص]، ثم قال: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(18)}** [الأنبياء].

فمثل هذا الذي أسندتم إليه هذه القبائح مثل رجل زجّاج عمل آنية كبيرة من الزجاج، فلما فرغ منها أخذ لها عموداً ثم اعترضها من جانب بالخبط والكسر فلما انكسرت قال لها: لِمَ تكسرتِ والله لأعاقبنك العقوبة الموجة، ثم يجب له من بعد هذا اسم الحكمة والعدل والنصفة والرحمة ونفي الجور والظلم، **{أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(19)}** [هود]، ولا أكفر بالآخرة ممن زعم أن رب الآخرة هذه صفته واتبع هواه وترك القرآن والتدبر لبراهينه وعجيب مجاريه، وإياه نحمده على ما أوضح لنا في كتبه وأرشدنا إلى سبيله إنه منان كريم.

ثم نقول لعبدالله بن يزيد البغداذي ولمن قال بقوله من أهل الجبر والفرية على الله عز وجل: خبرونا عن هذه المسألة فإنّ فيها قطْعَ ما قلتم وإليه من الأمر ذهبتم، خبرونا عن الكافر أعاجزٌ هو عن خلق الكفر ؟

فإن قلتم: نعم ؛ قلنا لكم: أفقادر هو على اكتساب الكفر ؟

فإن قلتم: نعم ؛ قلنا: فالشيء الذي عجز عنه هو الشيء الذي قدر عليه ؟

فإن قلتم نعم ؛ لزمكم لنا أنه عاجز عما هو قادر عليه وقادر على ما هو عاجز، وهذا من أعظم التخليط وأبين الاستحالة والمناقضة.

وإن قلتم: الذي عجز عنه هو غير الذي يقدر عليه والذي يقدر عليه هو الاكتساب والذي يعجز عنه هو الخلق والخلق غير الاكتساب، فقد لزمكم لنا في زعمكم أن اكتساب العباد غير ما خلق الله عز وجل وهذا ترك لقولكم ورجوع عن مذهبكم.

ثم نقول لعبدالله بن يزيد: أليس من قولك في أول هذه المسألة التي سألتنا عنها أن اسم الكفر هو الكفر، وأن اسم الإيمان هو الإيمان، وأن ليس اسماهما شيئاً غيرهما، فيلزمك لنا

أن اكتساب الكفر هو الكفر، وأن اكتساب الإيمان هو الإيمان لا غير ذلك على ما قلت، وهذا كتابك الذي وضعت علينا، وقد بان قهرنا لك وقطعنا لحجتك بأوضح البيان وأيقن الإيقان لما ناقضت القول وخالفت الدعوى فزعمت أن ليس الأسماء هي شيء غير الأفعال لأنك زعمت أن ليس اسم الشيء غير الشيء فيلزمك فيما تدعي من التوحيد أن اسم الله هو الأحرف المعروفة وهي ألف لام لام هاء، فزعمت أن ليس الاسم غير المسمى، ففسد عليك ما ادعيت من التوحيد إذ زعمت أن معبودك ليس اسمه غيره ؛ فيلزمك أن ألف لام لام هاء التي تكتب مرة وتمحى مرة تبصرها الأعيان وتدركها الحواس هي معبودك لما زعمت أن ليس الاسم غير المسمى، وكفى بهذا فضيحة عليك إذ خرجت من العدل والتوحيد جميعاً.

ومن الحجة عليك قول الله عز وجل يضيف أفعال العباد إليهم وأنه لم يخلقها: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}** [التغابن:2]، فارتفعوا في اللغة العربية وعند أهل النحو لأنهم فاعلون، ولو كان هو عز وجل خلق أفعالهم لم يجز في القرآن العربي إلا أن يقول: هو الذي خلقكم كافراً ومؤمناً، فيجب أنه الذي خلق أفعالهم، وهذه من القرآن ولا يجوز في النحو غيرها.

ومن الحجة عليك أن نقول لك أخبرنا عن قول الله عز وجل: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)}** [هود]، هل هذه الإرادة تامة نافذة محكمة أنه لا يريد شيئاً من جميع الأشياء كلها صغر ولا كبر ولا هان إلا كان ذلك الشيء ؟ أم بعض ذلك يمكنه كونه ويمتنع كون بعضه ؟

فإن قلت: إن الله عز وجل إذا أراد أمراً من جميع الأمور فلا بد من نفاذ ذلك الأمر كائناً ما كان لا يمتنع عليه شيء مما أراد وشاء وأحب وقضى وخلق وأمضى.

قلنا: كذلك الله عز وجل، ولكن اعرف ما يلزمك في قولك عليه بالجبر، وافهم ما يأتيك في آخر المسألة فإن فيها فضيحتك وانقطاعك.

ثم نقول لك: قد أقررت ولزمك أنه لا يمتنع على الله عز وجل شيء ولا يغلبه إذا أراده وأمر به؟

فإن قلت: نعم، قد أقررتُ ولزمني ما قلتم لأنك لو قلت غير ذلك كفرت.

قلنا لك: فما معنى قوله عز وجل: **{كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(65)}** [البقرة]، هذا قول جبر جبرهم عليهم أم تخيير منه لهم إن شاءوا فعلوا وإن لم يشاءوا لم يفعلوا ؟

فإن قلت: بل هم مخيرون تخييراً إن شاءوا فعلوا وصاروا قردة، وإن لم يشاءوا لم يصيروا قردة ؛ لزمك أن الخلق مخيرون تخييراً من أراد أطاع ومن أراد عصى.

على أن ليس قولنا إن القوم الذي قال لهم {**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(65)}** مخيرون في ذلك تخييراً، ولكن قولنا إنهم مجبورون جبراً وقسراً.

وإن قلت: لا أقول إنهم مخيرون تخييراً، ولكني أقول إنهم مجبورون جبراً وقسراً لا بد لهم من ذلك لأن إرادة الله وأمره لا بد من نفاذه ولذلك صاروا قردة خاسئين، لا بد لهم من ذلك.

قلنا: صدقت هذا هو الحق ؛ فما تقول في قول الله عز وجل حيث يقول للناس: **{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}** [النساء:135]، هل أراد ذلك منهم جبراً جبرهم عليه وقسراً قسرهم على فعله ؟

فإن قلت: لا لم يجبرهم ولم يقسرهم ؛ وجب لنا عليك ولزمك أن العباد مخيرون تخييراً في الطاعة غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين، ورجعت عن قولك ودخلت مع أهل الحق.

وإن قلت: لست أقول إلا أن الله جبر العباد وقسرهم على أن يكونوا قوامين بالقسط لا حيلة لهم في ذلك ولا مخرج لهم منه لأن إرادة الله جل وعز نافذة، وأمره الأمر الذي لا يُردّ ولا يُغلب على ما بينت عليه أصل مسألتك وقدت عليه اعتقادك.

لزمك لنا ووجب عليك أن إرادة الله عز وجل لم تنفذ في المشركين ولا الكافرين ولا في جميع العاصين من جميع من لم يقم بالقسط كما أمره الله عز وجل وافترض عليه ونطق به القرآن وجاءت به الرسل عن الله جل ثناؤه، وأنه لزمه العجز عن هؤلاء القوم فلم ينفذ أمره فيهم

ولا قوله لهم {**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**} فعصوه ولم يطيعوه ولم ينفذوا أمره كما أنفذ الذين قال لهم: {**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(65)**} [البقرة].

فيلزمك أنه قوي على الذين جعلهم قردة وقدر عليهم، ولم يقْدَر ولم يقو على الذين قال لهم {**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**}، وإنما هو أمر واحدة بكلمة واحدة لا فرق عندهم بين الأمرين وبين القولين.

فلا بد لك من تعجيز الله عز وجل الذي لا يعجز ولا يُغلب، وأن الأمر الذي أقررت لنا به من أن إرادة الله نافذة غير مردودة ولا مغلوبة لم يتم على ما قلت، وأنها قد انتقضت لا بد لك من ذلك ولا حجة لك تدفعنا بها أبداً في هذه المسألة ولا غيرها حتى ترجع إلى الحق وتدخل في دين الإسلام من ذي قبل فتقر وتعتقد أن الله تبارك وتعالى أراد من القوم الذين قال لهم: {**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**} إرادة حتم وقهر وجبر لا حيلة لهم فيها ولا مخرج لهم منها ولا محيص لهم عنها ولا سبيل لهم إلى تركها بما عصوا فاختاروا الكفر على الإيمان واستحقوا النكال والمسخ باختيارهم لا بما أراد ولا بما قضى ولا بما خلق من فعلهم.

وأن القوم الذين قال لهم: {**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**}، إنما أراد منهم القيام بالقسط تخييراً لهم لا جبراً ولا قسراً إذ هو الذي لا يمتنع عليه أمر يريده عز وتعالى، وإلا فما عجز عن إنفاذ أمره ؛ فهذا هو دين الله عز وجل الذي تعبد به الأولين والآخرين، وجاء به عنه المرسلون، ونطق به الكتاب المبين، والحمد لله رب العالمين.

وقد قال لنبيه صلى الله عليه يعزيه: {**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**} [يونس:99]، أي قسراً وجبراً، وإنما خيرهم ليستحقوا لما خيرهم إما الثواب وإما العقاب، قوله: {**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(99)**}[يونس].

فإن قال قائل: فأي إكراه أكبر من السيف ؟

قلنا: لم يعْنِ الله عز وجل الإكراه بالسيف في هذا الموضع، إنما عنى إكراه القلوب وجبرها على الإيمان، فذلك ما لا يطيقه النبي صلى الله عليه، ولو كان عنى إكراه الحرب لم يكن

للآية معنى لأنه قد أكرههم بالسيف بعد البيان والامتناع والحمية وبعد الإبلاغ والإنذار فأمره بقتالهم، وهذا الإكراه ليس هو إكراه القلوب وقسرها على الإيمان.

ولو كان الأمر على ما قالت المجبرة لم يجز في الحكمة ولا في العقول أن يقول لمن أكره الناس وفرغ من إكراههم: **{أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(99)}** [يونس]، فافهم هذا الجواب وانظر فيما ذكرنا لك ورسمنا لك من الحق، فلن تجد المجبرة سبيلاً إلى نقضه على أهل العدل أبداً والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم من جعل الكفر كفراً، والإيمان إيماناً ؟ فإنهم يقولون: إن الله لم يجعل التوحيد حسناً ولا الشرك قبيحاً، وكيف يقع الثواب على ما لم يحسّن الله ولم يقبّح؟

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: إنا نقول إن الله جل ثناؤه الذي جعل الكفر كفراً بالتسمية والحكم لا بالخلق له وجعل الإيمان إيماناً بالتسمية لا بالخلق له، وليس لله عز وجل في الإيمان فعل قل ولا كثر إلا الأمر به والافتراض له، وكذلك ليس لله عز وجل في الكفر فعل قل ولا كثر بوجه من الوجوه كلها إلا النهي عنه والافتراض لتركه والخروج منه.

وأما قولك: إن في زعمنا أن الله لم يجعل التوحيد حسناً ولا الشرك قبيحاً، وقولك: فكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ولم يجعله كفراً ولا إيماناً والله زعمت إنما ذكر في كتابه أن الثواب [على الإيمان] والعذاب على الكفر فهذا كذب منك علينا وإسناد إلينا ما لم نقل.

وليس من قولنا ما قلت جل الله وتعالى عن ذلك، وقد حرفت وخلطت، وإنما قولنا: إن الله عز وجل جعل التوحيد حسناً بالدعاء إليه والترغيب فيه والدلالة عليه فحسّنه في قلوب الخلائق بالنعت والصفة لثوابه إذ هو دينه الذي بعث به المرسلين من الأولين والآخرين الذي لا يقبل غيره ولا يرضى سواه ولا يقبل عملاً من سائر الفرائض إلا به ولا جنة لمن خالفه وقصر منه.

وكذلك قبّح الله عز وجل الكفر بالنهي عنه والتحذير منه والإعذار والإنذار في تركه والخروج منه وليس الجعل لذلك إلا جعل حكم وتسمية.

أما جعل حتم وجبر وخلق خلقهما أعني الإيمان والكفر وقسر عليهما العباد وخلق فعلهما جميعاً من الإيمان والكفر، فليس ذلك قولنا في صفة خالقنا عز عن ذلك وتعالى ولا ذلك قول الملائكة المقربين ولا الأنبياء المرسلين ولا الأئمة الراشدين ولا عباد الله المؤمنين ولا يوجد ذلك في كتاب مبين فيما أنزل الله على العالمين، وإنما ذلك قول الملحدين والزنادقة الأرذلين والمشركين والظالمين وقول عبدالله بن يزيد وأصحابه المجبرة الأخسرين.

والشاهد لنا على أن الله عز وجل بريء مما قالوا: قوله جل ثناؤه: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(7)}** [الحجرات]، يعني عز وجل أنه حبب الإيمان إلى من أراد الدخول فيه بما وصف من جنات النعيم، وشوّق إليه من الملك العظيم والثواب الكريم، وكذلك كره الفسوق والعصيان إلى من أحب ترك ذلك من العالمين بما أوعد من فعله وعصى فيه من العذاب المقيم والنكال الأليم والمقام في خلود الجحيم لا أنه جبر أحداً من خلقه على أحد من الأمرين من الأولين والآخرين، ولو جبرهم على الطاعة أو المعصية جبراً كما قلتم لم يجب للمجبورين ثواب ولا عليهم عقاب.

وأما قولك: كيف يثيب الله على ما لم يجعله هو عز وجل إيماناً ولا كفراً ؛ فنقول لك: أيها المغرور المغلط في دينه والتارك لكتاب ربه هل رأيت رجلاً قط خاط ثياب نفسه ثم لما فرغ منها أعطى خياطاً آخر أجرة ثيابه التي خاطها هو لنفسه ؟ وهل يجوز ذلك في التعارف أو في اللغة أو في العقول ؟

أو هل رأيت رجلاً قط بنى داراً بيده حتى إذا فرغ من عمارتها أعطى النبائين أجرة ما بنى هو بيده لنفسه ؟ أو هل رأيت جمّالاً حمل نفسه وأولاده على جماله إلى مكة ثم أعطى الجمالين كراء جماله التي يملكها ولم يخرجوا معه إلى مكة ولم يسافروا وأعطاهم الكراء على غير عمل ؛ فهل هذه الصفة تجوز في حكمة حكيم ؟ أو في صفة متقن عظيم ؟!

أو هل سمعت أيها المخدوع المعجب بجهله آية واحدة من كتاب الله عز وجل تشهد بما قلت إنه يثيب أحداً على خلقه الذي هو تولى خلقه أو يثيب أحداً على أمر تولى هو عز وجل صنعه دون غيره.

أليس آيات القرآن تشهد وتدل على أن الثواب للمطيعين العاملين، وعلى أن العقاب على العاصين التاركين الذين آثروا الهوى واختاروا لأنفسهم الدنيا على الآخرة التي تبقى فقتلوا الأنبياء وأئمة الهدى وأشركوا وكفروا وفعلوا كل قبيح باختيارهم وإرادتهم لا بإرادته عز وجل، ولا خلقه الذي ألزمته أنه خلق فعلهم بل هو البريء عن ذلك تبارك وتعالى.

وقال في غير موضع من القرآن ما لا نحصيه أن العقاب وقع عليهم بما قدمت لهم أنفسهم، وبما عملت أيديهم، وبما كانوا يكذبون، وبما كانوا يكفرون، قال الله عز وجل: **{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ(22)}** [فصلت]، وهذه الآية من الشواهد أن هذا الشيء خاص دون عام، يعني به مما أنطق إذ كان كل شيء لا ينطق إلا أهل النطق لا غيرهم.

وإنما احتججنا بهذه الآية لأنها توجب لنا حجة فيما نحن في ذكره وحجة لنا عليك في دعواك أن الله خالق كل شيء، وإنما هو خاص لا عام مع شواهد كثيرة سوف نذكرها في مواضعها إن شاء الله.

وكذلك قوله عز وجل لأهل الجنة **{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(17)}** [السجدة]، وقوله: **{بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)}** [الحاقة]، **{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(19)}** [الذاريات]، وقوله: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** [العنكبوت:69]، وقوله: **{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)}** [النحل]، وقال: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ**

لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ(37)} [النور].

فهذا القرآن الذي لا حيلة لك في رده يوجب أن الجزاء لا يكون إلا على المجازى وإلا لم يجب أن يجزى المجازي على عمل نفسه ولا يسمى ذلك جزاء ولا يعرف ذلك في لغة عربية ولا غير عربية، ولا يقبله عقل لبيب، إلا أن يقال لرجل: أعطني جزائي على زيارتك لقبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، أو أعطني أجري على حجتك إلى البيت الحرام، أو يجوز في اللغة أن فلاناً احتفر بئراً بيده فلما فرغ منها وخرج ماؤها قدم إليه رجل من أهل البصرة فقال له: أعطني أجري على بئرك التي حفرتها لنفسك وبيدك، وهذا نفس المحال من المقال.

فكيف قول عبدالله بن يزيد البغداذي في هذا الموضع، وما حجته على الله عز وجل أن يكون يجزي على فعله هو ويعاقب على فعله وهو خَلْقه زعمت، صنَعه فيجزي على صنعه الذي صنعه دون غيره بالجنة وبالنار التي إليهما مصير الخلائق وملك الأبد أو عذاب الأبد، فهل يخرج هذا القول في فعل حكيم أو عادل كريم، **{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(111)}** [البقرة].

فلا حجة لك في هذا ولا خلاص إلا التوبة والرجوع فتضيف إلى كل عامل عمله لقول الله عز وجل: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(8)}** [الزلزلة]، كأن هذا القرآن عنى به غير المجبرة وكأنهم لم يسمعوا قوله عز وجل: **{مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)}** [الكهف].

وكأنه لم يقل لهم: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء]، وقوله: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(51)}** [المدثر]، فلعمري إنهم عن تذكرة الحق وحجج القرآن لكالحمير النافرة من الأسد.

والدليل على ذلك: أنك إذا أنظرتهم ببراهين القرآن هربوا من النظر ورووا في الحديث أن أسلافهم وكبراءهم قالوا لهم: لا تسمعوا القرآن من صاحب بدعة، وأهل العدل والتوحيد عندهم أصحاب البدع، فكيف يعرف القرآن أو يهتدي إلى عجائبه والنير الشافي من حججه من اعتقد هذا الجهل ودان به من رواة الأحاديث وجعله ديناً عليه يعمل، وبه يحتج وترك قول الله عز وجل: **{تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}** [النحل:89]، و**{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام:38]، وقوله: **{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}** [العنكبوت:51]، وقوله: **{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ(5)}** [القمر]، وقوله: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الإسراء:82]، وقوله: **{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(42)}** [فصلت].

فنعوذ بالله من الحيرة في دينه والهجران لكتابه، والعنود عن حقه إنه قوي عزيز، وليت شعري ما الفرق بين من روى هذا الحديث، وبين المشركين الذين كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وقالوا: **{لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(26)}** [فصلت].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: أوليس لو شاء العباد لصنعوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً ؛ لأنه إنما هو صنعهم وجعلهم وتحسينهم وتقبيحهم والله لم يصنع ذلك.

يضيف إلينا أن هذا قولنا زعم وقد كرر كلامه في هذا الموضع من كتابه بأمرٍ بعضُه يكفي لأنا نعلم ما يريد في أول كلمة يقولها، ولا بد لنا إذا كرر أن تكرر عليه حتى يتبين الجواب.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: إنا نقول إن العباد يقدرون على أن يحوّلوا الكفر إيماناً فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان الذي دعاهم الله إليه عز وجل، وكذلك هم قادرون على أن يحولوا الإيمان كفراً ؛ فيرتدوا عن الإيمان الذي أمرهم الله عز وجل بالدخول فيه فيرجعوا عنه ويصيروا إلى الكفر الذي نهاهم الله عنه.

إن أن تقول يا عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانك المجبرة أن أحداً من الناس لم يرتد قط عن الإسلام وأن أحداً لم يخرج من الكفر وعبادة الأصنام ويرجع إلى الإيمان، وكفى شهادة

القرآن لنا على من آمن وعلى من ارتد ؛ فأي حجة لك في هذا ؟ وأي قول قد كررت فيه ووكدته حتى كأنك قد جئت بشيء تبهر به أهل العدل الحماة عن دين الله جل ثناؤه وأهل الذب عن الإسلام.

فهذا يوجب عليك أن العباد يقدرون على أن يجعلوا الإيمان كفراً والكفر إيماناً، وجعلهم هو أفعالهم التي لم يخلقها الله عز وجل عن ذلك وخيّرهم فيها وقال: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف:29]، بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب والإعذار والإنذار، ثم قال: **{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}** [الكهف:29].

وأما قولك في التحسين والتقبيح فالحسن عند الله عز وجل فهو الحسن الذي لا ينكر ولا يخرج من التعارف ولا مما دعت إليه الرسل ولا مما جاءت به الكتب، والقبيح فهو القبيح الذي لا يجهل مما نهت عنه الرسل وحرمته الكتب، فالقبيح مثل فريتك على الله أنت وأصحابك المجبرة من قولكم إن الله عز وجل قلتم خلق زنا الزانين وإلحاد الملحدين، وشرك المشركين، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى وإتيان الأمهات والأخوات والبنات وأنه أراده زعمتم وخلقه وقدّره ثم غضب منه أشد الغضب وأعدّ العذاب الأليم لفاعله وذمه في كتبه وعلى ألسنة رسله وتبرأ منه ونسبه إلى قوم براء مما خلق.

فقال في كتابه: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، وقال لهم: **{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [البقرة:61]، وقال لهم: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}** [المائدة:73]، و**{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** [النجم:23]، وقوله: **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى(23)}** [النجم].

ثم قال: **{وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(73)}** [المائدة]، فكيف ينتهون عن أمر أراده منهم وقضاه عليهم وخلقه من فعلهم.

ثم قال: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]، فممَ يتوبون أيها الجاهل المغرور، ومِمَ يستغفرون ؟ أمن فعله أم من فعلهم ؟ وهو القائل عز وجل: **{لِئَلَّا يَكُونَ**

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:165]، فأي حجة أقوى ويحك من أن يقولوا له يوم القيامة ويحتجوا عليه على قود قولك: لو تركتنا يا ربنا من خلق الكفر فينا وإرادتك له منا وتقديرك له علينا لسلمنا من نارك وعذابك المقيم الذي لا فكاك منه أبداً، وقد أخبرتنا في كتابك أنك العدل الرحيم الذي لا يجور ولا يظلم وأنك حسن الفعل.

فأخبرنا يا عبدالله بن يزيد البغداذي لِمَ يعذبهم وقد صدقوا في حجتهم عليه في زعمك وعلى قولك إن هذه الصفات كلها صفته وإن ما حل بهم إنما هو من إرادته وفعله وخلقه، وأنه لولا إرادته ما هلكوا ولا خرجوا من طاعة.

فحسبك بهذا العمى عمىً وحسبك بهذا الجهل جهلاً، وحسبك بهذا الكفر كفراً، فلا في القرآن نظرتم ولا العقول استعملتم ولا عن أهل العدل قبلتم، ولا بقول الشعراء تأدبتم فأنتم والبهائم في منزلة، قال الشاعر:

ألا أيها الملحدُ المجْبِرُ ... أراكَ لذنبكَ تستغفرُ
أتستغفر الله من فعله ... وأنت له تارةً مُنْكِرُ
تقولُ وجدتُ جميع الذنو ... ب ربي على فعلها يجبُرُ
ومنه إذا ما زنيتَ الزنا ... بزعمكَ والخمرُ والميسرُ
أما لك عقلٌ إذا لم تكنْ ... ذنوبك منك فلا تُغْفَرُ
أضفت القبيح إلى ربِّنا ... وما هو من خلقِهِ مُنْكَرُ
وقهرَ اليتامى وسفكَ الدما ... فلِمْ عبتَ كفر الذي يكفرُ
إذا كان فاعِلَه غيرُه ... فما ذنبه عند من يَفْكُرُ
وقتلَ الأئمةِ والمرسلين ... وما عبتَ شكر الذي يشكرُ
نسبتَ إلى الله كفرَ العبادِ ... وكل المعاصي التي تُذْكَرُ
ولو قالَ ذا قائلٌ في أبيـ ... ـكَ ما كنتَ عن قتلهِ تَقْصُرُ
ولو كان فيك لكذَّبتهُ ... وفي الله أنت به تجْهَرُ
ألم تسمعوا قول أهل الجحيـ ... ـم في درْكِ نارٍ إذا تُسعرُ

وقد سألوا ربَّهم رجعةً ... لكي يعملوا صالحاً يؤجروا
فقال ألم أَكُ عمرتُكُمْ ... وجاء النذير فلَمْ تشكروا
ألم يأتِكُمْ مُنذِرٌ منكمُ ... فقالوا بلى جاءنا منذِرُ
ولكن غرينا بتكذيبهم ... وكنا من الرسل قد نسخَرُ
فنودوا إذِ اعترفوا بالذنو ... ب بعداً وسحقاً لكم فاصبروا
وقد أنكروا أن يكون القرآ ... نُ عدلاً ولو أنهم فكَّروا
لدلَّهُمُ أنه عادلٌ ... ولكنَّهم فيه لم ينظُرُوا

وأما الفعل الحسن الذي سألت عنه فهو الإجابة إلى كتاب الله عز وجل وما دعا إليه رسوله صلى الله عليه من الطاعة التي قال الله جل ثناؤه: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ(33)}**[فصلت]، فهذا هو الحسن الذي سألتنا عنه عن تفسير الحسن والقبيح فتدبر ما قلنا وما جاءتك من حجتنا هذه القاطعة لدعواك، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم فإن قالوا: إن الله إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ولم يجعل الإيمان ولم يجعل الكفر، فقل لهم عند ذلك: أخبروني عن اسم الإيمان أهو الإيمان ؟ وعن اسم الكفر هو الكفر ؟

فإن قالوا: إن اسم الإيمان هو الإيمان، وإن اسم الكفر هو الكفر ؛ فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر وصنعهما وخلقهما ؛ فقد أمكنوك من أنفسهم ورجعوا عن قولهم لأن اسم الكفر هو الكفر واسم الإيمان هو الإيمان ؛ لا أن الاسم غير المسمى.

فإذا جعل الله الأسماء، لزمهم أن الأسماء هي الأشياء بعينها لا غيرها فقد جعل الله أسماءها، وأسماؤها هي هي، وليس الاسم شيئاً غير الكفر، وكذلك الإيمان ليس اسمه غيره فقد جعل الله الكفر والإيمان وصنعهما وخلقهما.

وإن قالوا: إن اسم الكفر غير الكفر، واسم الإيمان غير الإيمان، والكفر المعنى الذي وقع عليه الاسم، والاسم ليس بكفر ولا إيمان فارجع إلى أصل مسألتك فقل: أليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر والكفر غير الإيمان وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً، والله لم يجعل ذلك، ثم ارفعهم إلى ما رفعتهم إليه في صدر المسألة فإنهم لن يجدوا مخرجاً، **{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا(88)}** [النساء].

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين: قد قلت ما قلت، فأعمل ذهنك فيما يرد عليك من جوابنا إن شاء الله.

فإنا نقول لك: إنك قد أقررت ولزمك أن اسم الكفر هو الكفر، وأن اسم الإيمان هو الإيمان لا غير ذلك زعمت، وأن الله جل ثناؤه في قولك الذي خلق الكفر والإيمان ؛ فقد أكذبك الله عز وجل حين يقول: **{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** [النجم:23]، وقوله: **{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(103)}** [المائدة]، أفلا ترى أنه تبرأ من جعل هذه الأسماء التي سموها للأنعام وهو عز وجل الذي خلق أجسامها فلم يتبرأ من خلقها وإنما تبرأ مما جعلوه هم وكفى بهذه حجة.

وقوله عز وجل: {**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا(4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5)**} [الكهف]، فإن زعمت أن الله خلق ذلك من فعلهم لزمك أنه الشاتم لنفسه والمدعي لها الصواحب والأولاد عز الله وتعالى وتقدس عما تقولون، ومع ذلك تدعي أنك من أهل التوحيد زعمت، ونفي التشبيه.

ومعاذ الله ما يقول بالتوحيد ولا يحسبه ولا يسلم من التشبيه العظيم والكفر الجسيم من يقول بالجبر ؛ لأنه يلزمك في قولك الذي ادعيت من التوحيد ما أنا ذاكره فافهم ما يحل بك.

أرأيت إن سألك سائل فقال لك: أخبرنا عن الاسم اسم الله عز وجل المعبود الذي تعبده هل الاسم عندك فيه غير المسمى ؟ أم هو الاسم لا غيره ؟

فإن قلت: إن الاسم هو المسمى ؛ لزمك أن ألف لام لام هاء الأحرف المخطوطة الموجوة هي معبودك الذي توحد والذي له تصلي وتحفد وله تصوم وتسجد فتكفر بهذا القول عند جميع أهل التوحيد، ويلزمك أن معبودك يُمحى فَيَمَّحِي، ويحرق فيحترق، وتقع عليه الأبوال والأنجاء ويقع عليها فلا ينتصر ويجيء مرة ويذهب مرة، وتراه الأعين وتدركه الحواس، ويخط بالأيدي في الكتب وكفى بهذا بلية عظمى وكفراً أعمى.

وإن زعمت أن الاسم غير المسمى لزمك من أصل أذنك وأنت راغم الأنف مفلوج الحجة أن الذي ادعيت وقلت به وأكثرت فيه الخطاب من أن الاسم هو المسمى أنك قد أبطلت فيه وأخطأت وافتضحت ووجب على أصحابك بلا شك ولا مرية التوبة عن تقليدك أمر دينهم ولزمهم أن يلعنوك حياً وميتاً، وأن يفارقوك في حياتك إن عشت ويتبرأوا إلى الله عز وجل مما وضعتَ لهم من الكفر والجهل وإلا فالنار.

ويلزمك أن الكفر هو غير الاسم الذي سمي به كفراً، وأن الإيمان غير الاسم الذي سمي به إيماناً لأن الاسم غير المسمى في جميع الأشياء كلها بأوضح دليل وأبين برهان فقد ثبت عليك الفلج، والحمد لله رب العالمين.

وقد بان لنا ولأصحابك جهلك في التوحيد وصح تشبيهك إذ زعمت أن اسم الإيمان ليس هو شيء غير الإيمان وأن اسم الكفر ليس هو شيء غير الكفر، فاستفد أنت وأصحابك هذه الفائدة في التوحيد الذي جهلتموه كما جهلتم العدل.

واعلموا علماً يقيناً أن التوحيد لا يتم لمعتقده ولا لقائل به إلا بمعرفة القول بالعدل وإلا فلا يصح توحيد إلا بعدل، ألا ترى كيف أخطأت الخطأ العظيم في التوحيد ولزمك التشبيه لما

احتججت في إبطال العدل بأن الاسم هو المسمى لا غيره، فلزمك الكفر في التوحيد ففسد عليك اعتقادك وما ادعيت من معرفة التوحيد، فشبّهت وألحدت وبان جهلك وسقطت رئاستك وهذه التي جئت بها من الخطأ أعظم من جبل أحد فقد افتضحت وفضحتك، إلا أن ترجع أنت وأصحابك إلى تعلم العدل والقول به وتتوبوا عن الجبر والجهل.

ومن الحجة لنا عليك أيضاً في أن الاسم غير المسمى أن قائل لو سمى دنانير ودراهم وإبلاً وخيلاً وقال: هي عندي، وهو فقير لا دنانير له ولا إبل ولا خيل لم يحصل معه من تسميته الدنانير والدراهم والإبل والخيل قليل ولا كثير.

وكذلك لو قال وذكر خبزاً ولحماً وتمراً وهو جائع لم ينفعه ذلك ولم يشبعه لأن الاسم غير المسمى، وكذلك لو قال: ماء الفرات، وهو عطشان لم يروه اسم الماء دون وجود الماء ؛ فمن هاهنا وجب عليك أن الاسم غير المسمى وبطل ما قلت لأن اسم الله عز وجل غير الله سبحانه.

وهذا اسمه مكتوب في المصاحف يراه الناس وتحيط به الأقطار إذ الاسم أحرف أربعة والمسمى لا نظير له ولا عديل ولا يتجزأ أجزاء تبارك وتعالى الواحد الفرد الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(11)}** [الشورى]، أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وهو اللطيف الخبير.

ثم نقول لك: أخبرنا عن قول أبي جهل بن هشام لعنة الله عليه بالتعنيف منه لمحمد صلى الله عليه وعلى آله: جاءنا محمد زعم بالإيمان ليدخلنا فيه ؛ هل قول أبي جهل وتسميته للإيمان توجب له إيماناً أم لا ؟

فإن قلت: نعم إن ذلك القول الذي ذكرته اسم الإيمان يوجب لأبي جهل إيماناً لزمك أنك قد شهدت له بالإيمان، ووجب عليك أن النبي صلى الله عليه قتله ببدر وهو مؤمن إذ اسم الإيمان هو الإيمان عندك.

وإن قلت: إنك لا توجب لأبي جهل تسميته للإيمان إيماناً رجعت عن قولك وافتضحت عند أصحابك ولزمتك التوبة من فريتك على الله عز وجل وبطلت حجتك.

وكذلك إن قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الكفر دين الشيطان وسمى كفراً لزمه على قَوَدِ قولك فعل الكفر، وهل تقول ذلك أم لا ؟

فإن قلت: إن الكفر يلزم النبي عَلَيْه السَّلام حين سمى الكفر كفراً ؛ كفرت بالله وأشركت وخرجت من الإسلام بقولك في النبي صلى الله عليه مثل هذا القول.

وإن قلت: لا يلزم النبي صلى الله عليه بتسميته الكفر كفراً أنه يكفر ؛ بطلت حجتك، وانتقض كتابك الذي وضعت لأصحابك على أهل العدل، وكفى بهذه فضيحة وحجة باهرة.

والعجب من أصحابك كيف يقيمون على قولك ويعتقدونه ديناً تذهب فيه أعمارهم بعد هذا البيان إلا أنهم اتخذوا دين الله جل ثناؤه عصبية وحمية واستكباراً عن الرجوع إلى الحق مع قولهم إنهم لا يقدرون على تغيير خلق الله وإرادته لما هم عليه زعموا من المذهب، وأبطلوا قوله لمحمد صلى الله عليه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [النساء:64].

فزعموا أن من علم الله منه الكفر والمعصية أن الله لا يريد منه الإيمان ؛ لأنه إن أراد منه الإيمان بطل علمه في زعمهم، وقد قال الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [النساء:64]، وقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}** [سبأ:28]، وقوله: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158].

وزعم عبدالله بن يزيد البغدادي ومن قال بقوله من المجبرة أن الله عز وجل عن قولهم لم يصدق في هذه الآية وأنه أراد من قوم الإيمان ومن قوم الكفر، وردُّوا كتاب الله صراحاً بلا حجة إلا بدعوى فاسدة إذا ما قابلها الرجال من أهل العلم والتوحيد أبطلوها عليهم وعرفوهم بجهلهم مثل ما قد تسمع.

والله يعلم إنا لندع كثيراً من الحجج لكثرتها وترادفها علينا وتسابقها إلى جوابنا، والحمد لله المعز لدينه، والناصر لحقه، والموضح لكتابه، والمذل لمن عانده وكفر به.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم مع هذا فقل: أرأيتم إذا كانوا هم يجعلون الإيمان والكفر أليس الإيمان طاعة والكفر معصية ؟

فإذا قالوا: بلى ؛ فقل: أفليس هم الذين يصنعون ذلك، وليس لله عز وجل فيه صنع؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس أنتم لا تحتاجون إلى الله فيها وأنتم أغنياء عن الله في الطاعة لا تحتاجون إلى الله فيها ولا إلى عون الله عليها، ولم يُعِن الله عليها خلقاً قط، ولم يحتج خلق قط إلى الله والناس مستغنون عن الله فيها ؛ فإن أعطوك هذا فما أراك تريد ترفعهم إلى أعظم من هذا.

فإن قال قوم: إنا مستغنون عن الله عز وجل لا نحتاج إلى الله عز وجل في طاعة ولا أن يكفنا عن حرمة ولم يكف عنها خلقاً ولم يلطف ليوسف حين قال: **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}** [يوسف:24]، وأشباه هذا.

فإن أبوا إلا أن يتمادوا فوقفهم على أنهم لا يحتاجون إلى الله عز وجل وأنهم مستغنون عن الله، وسينقطع هذا الكلام حتى لا يجيبوك.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: اعلم أنك قد أكثرت التكرار في هذا الباب وذلك لما عندك من الغي والجهل بالدين، وكلمة من هذا الذي هذيت به تجزي وقد أجبت نفسك عنا ببعض قولنا، ولم تكن أحسنت تحتج فيه فتكسره من أن العون عونان ولا غيرهما عون الدعوة إلى الحق والدلالة لنا عليه وعون الله عز وجل لنا بالأسماع والأبصار والاستطاعة المركبة قبل الفعل والألسنة وجميع الجوارح والصحة والعافية في الأبدان، فهذه هي عون الله عز وجل الذي أعاننا به وتفضل به علينا ولا غناء بنا عنه في شيء من ذلك ولا قوام لنا طرفة عين إلا به، ولا سبيل لك إلى وجود عون غيره إلا ما ادعيت من الجبر الذي خالفت به القرآن، وافتريت به على الرحمن.

وليس عون الله عز وجل للعباد شيئاً غير ما ذكرنا ؛ إلا أن تدعي كما ادعيت أن الله عز وجل عما تسندون إليه أعانهم على فرائضهم فقام ببعضها عنهم فصلى عنهم بعض الصلوات عند اشتغالهم، وصام عنهم بعض شهر رمضان إذا عطشوا أو جاعوا أو حج عنهم إذا كسلوا عن الحج وتوانوا، وقاتل المشركين دونهم إذا لزموا بيوتهم وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه أو عن إمام هدى، فيكون ذلك كما قال المضلون الظالمون من قبلكم: **{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(24)}** [المائدة].

فإن كان ما قلت حقاً من العون، فهذا لعمرك عون ثالث لا نعرف عوناً بعدما ذكرنا غيره.

فإن قلت: نعم هذا هو العون الذي عنه سألت وهو الذي أريد.

قلنا لك: فقد لزمك الكفر والخروج من الإسلام بقولك: إن الله عز وجل يصلي بعض صلاة الناس ويصوم بعض صومهم ويحج بعض حجهم ويجاهد الأعداء دونهم، ويتزكى من ماله دونهم من أموالهم إذا لم يدفعوا الزكاة إلى الأنبياء، وأئمة الهدى عَلَيْهم السَّلام، وكفاك بهذا جهلاً وعمىً وكفراً.

وإن قلت: إنك لا تقول هذا لبيان فساده.

قلنا لك: فأوجدنا عون الله عز وجل للعباد على فرضهم الذي افترض عليهم، أين هو ؟ وما هو ؟ وكيف هو ؟ فلا تجد عونه للعباد غير ما ذكرنا من تفضله عليهم والدعاء إلى الإسلام وما وهب لهم من الأسماع والأبصار والألسنة والقوة والأيدي والأرجل وجميع الجوارح والصحة والعافية والقدرة على أداء الفرض بالاستطاعة المركبة فيهم فلا سبيل لك إلى وجود عون من الله عز وجل للعباد على أداء الفرائض إلا طرحها عنهم أو قيامه ببعضها دونهم أو الرجوع إلى القول بالعدل كما قلنا.

لا بد لك من ذلك ولا خلاص لك منه وسقط قولك إنا سننقطع في مسألتك هذه زعمت وفرّحت نفسك وأصحابك بذلك فدونك الآن فخلص نفسك مما وقعت فيه، ولا خلاص لك من هذا الذي قلنا لك أبداً بوجه من جميع الوجوه إلا التوبة والرجوع إلى القول بالعدل.

وأما قولك: إن فينا من يقول إن الإيمان لا يستطاع إلا بعون حادث ؛ فلسنا نقول ذلك أيضاً، ذلك قولك وقول أصحابك إن الاستطاعة زعمتم مع الفعل تحدث بحدوثه، ولا نقول نحن بأمر حادث بل فينا الاستطاعة موجودة قبل فعلنا ولذلك لزمتنا لله عز وجل الحجة، وقد ذكرنا في صدر كتابنا هذا من الرد عليك في الاستطاعة ما فيه أكفى الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليك في إبطال قولك الذي زعمت فيه أن الله عز وجل أراد الكفر من الكافرين ما يأتيك من كتاب الله عز وجل ما يوجب تكذيبكم وبراءته عز وجل من فريتكم عليه، وهو قوله جل ثناؤه: **{يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ(54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ(56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(58)}** [الزمر].

فاسمع إلى قوله عز وجل حيث يقول القائل: **{لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** فاسمع إلى جوابه عز وجل حيث قال: **{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ(60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(61)}** [الزمر].

فلو لم يكن نزل في العدل وبراءة الله عز وجل من كفر الكافرين ووضوح شهادة القرآن به أنهم اختاروا الكفر ولم يرده الله منهم لكان في هذا أكفى الكفاية وأوضح البرهان.

وقوله عز وجل: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}** [الزمر:7]، وقوله: **{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(54)}** [يس]، أهذا ويحك من أراد الكفر من عباده؟! جل عن ذلك رب العالمين.

وقوله: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ(62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(64)}** [يس]، أهذا قول من أراد الكفر منهم ثم عنفهم وعاقبهم على فعله وعلى ما أراد منهم؟! أهذه صفة الرحيم الحكيم الذي أخبر الله عز وجل عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم؟! وقال في كتابه: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)}** [آل عمران]، وقوله عز وجل: **{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)}** [الأعراف]، فهذه الآية مكذبة لقولك ولمن مضى من قبلك ولمن بقي من إخوانك إذ صرتم في الفرية على الله جل ثناؤه إلى كل باب عظيم لا تقوم له الجبال بمفارقتكم للقرآن صراحاً ومجادلتكم بغير القرآن إلا ما تعلقتم [به] من المتشابه الذي جهلتم فيه التأويل والمعرفة باللغة العربية التي خاطب الله جل ثناؤه أهلها وفارقتم الحق وأبغضتم أهله، وقد قال تبارك وتعالى: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** [النساء:83]، وكفى بهذه الآية كلاماً وبياناً وقطع عذرٍ لمن تخلف عن الحق وأهله لو قامت نصفة أو إعراض عن حمية أو قِيْمَ لله جل ثناؤه بواجب حق، **{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(41)}** [المؤمنون].

وقوله عز وجل: **{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ(17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(20)}** [عبس]، فنقول لك: ما القول عندك في قوله الله عز وجل: {**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**}؛ أيجوز من فعل حكيم عادل أن يقتل رجلاً في غير

جرم وهو الذي أراد قتله ثم يقول: قبح الله فلاناً ما أشرَّه وما أظلمه ؟ هل يجوز هذا في لغة العرب وفي واضح العقول؟

ثم نقول لك على أثر هذا: أحين قال عز وجل: **{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}** أتقول إرادته لكفره أم إرادته لإيمانه ؟

فإن قلت: هو إرادته لإيمانه ؛ صدقت وقلت الحق وهو قولنا، لأن الله عز وجل قد يسر للكفار كلهم السبيل ودعاهم إلى الطاعة وعرفهم بسبيل التقوى ودلهم على النجاة فاختاروا الكفر على الإيمان، ولزمك أنك قد رجعت عن قولك إن الله أراد الكفر من الكافرين.

وإن قلت: إن هذا التيسير من الله جل ثناؤه للكافرين إنما هو إلى سبيل الكفر لا إلى سبيل الرشد ؛ أكذلك الله عز وجل بواضح البرهان وأبين البيان وأقوى السلطان بقوله تبارك وتعالى الذي لم تهتد إليه ولم تدبر قط في ساعة من الساعات: **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)}** [الإنسان]، فأخبر عز وجل أنه هدى الكافرين والمؤمنين ابتداءً منه ومنّة ونعمة بغير استحقاق استوجبوه، وذلك هدى تعريف ودلالة إلى السبيل بالكتب والرسل، لا هداية جبر ولا قسر لواحد من الفريقين.

وأخبرنا في هذه الآية أنه قد بدأ الكفار بالدعاء والهداية إلى الإيمان وهم على كفرهم وهذه سنة الله عز وجل في الأولين والآخرين أنه يدعوهم إلى دينه، وذلك قوله عز وجل: **{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(13) نَارًا تَلَظَّى(14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى(16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى(17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى(18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى(20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى(21)}** [الليل].

فاسمع إلى هذا البيان وإلى واضح هذا البرهان كيف ذهبت عنه وكيف خرجت منه وتركته صفحاً، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ثم يكذبك بعد هذا جميع أهل القبلة بأسرهم إن الله عز وجل ما عنى بتيسيره الكفار إلى السبيل إنه لم يعن بذلك إلا سبيل الهدى والطاعة والرشد لا اختلاف بينهم في ذلك، ومن رده كفر.

وقوله سبحانه: **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}** [البقرة:28]، أهذا عندك قول من أراد منهم الكفر، ثم يسألهم فيقول: كيف تكفرون وكنتم أمواتاً وهو الذي أراد كفرهم ؟ سبحان الله العظيم ما أقبح ما قلتم وأوضح فساده.

وقوله عز وجل: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)}** [المدثر]، وقوله: **{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]، وقوله المؤمن في سورة ياسين: **{وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(22)}** [يس]، وقوله يخبر عن الكفار: **{أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا}** [القصص:63]، فكل هذه الآيات تشهد على تكذيبك وتشهد لله جل ثناؤه بالبراءة مما قلت إنه أراد كفر الكافرين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: وإن سألوك أخلق الله الكفر والإيمان ؟

فقل: نعم خلقهما الله عملاً من العباد ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد، العباد يزنون ويسرقون ولم يفعل الله ذلك على ما فعله العباد، ولكن الله عز وجل خلق عملهم فخلق الطاعة والمعصية عملاً من العباد، وكذلك كل شيء صنعه العباد وعملوه فالله خالق عملهم عملاً منهم.

واعلم أنه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور أقرب إلى الزندقة من قولهم إن الله لم يخلق أفعال العباد، فهو إذاً لم يُضحك ولم يُبْكِ ولم يجعل اختلاف الألسنة ولا خلق السرابيل لأن خلق الألسنة لم يختلف وإنما اختلفت اللغات وإنما كتبت هذه المسألة لتعرف ما يدخل عليهم في هذا الكلام؛ فأحسن النظر ولا تعجل.

واعلم أنهم إن قادوا كلامهم على هذا زعموا أن الله لم يخلق ثوباً ولا سربالاً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ولم يسق الله عطشاناً ولم يطعم الله جائعاً ولم يجعل الله كناناً من الجبال التي عملها العباد ولا قصراً من السهل وأشباه هذا الذي عملها العباد، ولم يخلق الله كفراً

ولا إيماناً ولم يقبح كفراً، وإن ذلك كله عمله العباد وصنعوه وحسنوه وقبحوه ولم يحمل الله في ذلك ولم يجعله وأشباه هذا فهو أكثر من أن نصفه لك.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: قد صح لنا أنك من القوم الذين قال الله جل ثناؤه فيهم: **{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)}** [الكهف]، قد فهمنا ما ذكرت من فريتك على الله عز وجل عما قلت من أن الله خلق أفعال العباد فخلق الكفر والإيمان والطاعة والمعصية عملاً من العباد ولم يفعل ذلك زعمت على وجه ما فعله العباد ؛ فقد أجبناك على أشباه هذه المسألة في غير موضع.

ومن جوابنا لك المسألة القاطعة التي سألناك فيها عن أيهما أفضل أَفِعْل الله الذي ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ؟ أم فعل الله الذي للعباد فيه اكتاسب وفعل ؟ وتلك حجة لا قوام لمجبر بعدها أبداً ولا مخرج له منها وهي قبل كلامنا هذا فاستغنينا بها عن إعادتها.

وأما قولك: إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور أقرب إلى الزندقة من قولنا هذا إن الله لم يخلق أفعال العباد.

فنحن نقول: إنه ليس قول أوسط في التعطيل والشرك والخروج من الإسلام جملة من قولكم إن الله خلق أفعال العباد، ثم غضب مما خلق وعذب على خلقه ؛ فإذا نظرت في المسألة التي فوق هذا الكلام من هذا الكتاب الذي شرحناه كان مثلك عند نظرك إليها مثل الرجل الذي ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين فلما رأى كثرته واتساعه وعظم شأنه قال: امرأته طالق ما على وجه الأرض نخل هو أكثر من هذا النخل، ثم سار أياً ما حتى أشرف على نخل البصرة فلما نظر إليها وبان له كثرتها وعظم شأنها وهو ما عاين منها وأنها أكثر وأجل من النخل الذي حلف عليه فلما خاف الحنث زعم في يمينه التي حلفها قال عند ذلك إن شاء الله .

فهذا مثلك إذا نظرت في جوابنا في خلق الأفعال.

وأما قولك: إنه يلزمنا أن الله عز وجل لم يُضحِك ولم يُبكِ ولم يجعل اختلاف الألسنة ولا عمل السرابيل.

فنحن نقول: إن الله جل ثناؤه خلق فينا الاستطاعة قبل الفعل وفوّضنا في الحركات بعد الأمر والنهي وحكم الكتاب فإن شئنا قمنا وإن شئنا قعدنا وإن شئنا ضحكنا وإن شئنا بكينا وإن شئنا أمسكنا وإن شئنا فجرنا وإن شئنا أمسكنا عن الفجور وإن شئنا آمنا وإن شئنا كفرنا وإن شئنا صلينا وإن شئنا لم نصلّ وإن شئنا صمنا وإن شئنا لم نصم، ولذلك لزمتنا الحجة ووجب علينا الحكم من الثواب والعقاب والجنة والنار، شاهد ذلك: قوله عز وجل: **{وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(54)}** [يس].

وأما قوله: **{أَضْحَكَ وَأَبْكَى(43)}** [النجم]، فإنما يعني بذلك ما في الدنيا من العبر التي تُضحك وتبكي، ألا ترى أنه عز وجل قال: **{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ(21)}** [عبس]، وليس هو جل ثناؤه الذي يحفر قبور الموتى ولا يدفنهم، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك موجودة في بني آدم من قبل الفعل .

وقوله عز وجل: **{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)}** [العلق]، والله لم يبرِ الأقلام ولم يستمد بها من الدوى ولم يخطّ بها في الألواح ولا في الصحف وإنما هداهم إلى التعلم، وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها، ولم يصنعها هو دروعاً ؛ عز عن ذلك رب العالمين.

وأما اختلاف الألسنة فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها لا أنه خلق ذلك الكلام الذي قاله أهل اللغات، وقد جاء في الخبر أن لغة بني آدم افترقت على ثمانين لساناً، فلو خلق كلام المتكلمين لكان الخالق لقول الكفار إنه ثالث ثلاثة، ولو كان ذلك منه لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يخلق قولهم إنه عز وجل ثالث ثلاثة ثم يقول: {**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(73)**} [المائدة]، ويلزمكم أنهم لو انتهوا عن قولهم إن الله ثالث ثلاثة كان القول الآخر الذي صاروا إليه وانتهوا فيه عن الأول

هو خلق الله أيضاً، فإذا هو ينهاهم عن خلقه ويحولهم إلى خلقه وهذا هو المحال، والله عز وجل لا يأمر بالمحال.

ثم يغضب زعمتم من خلقه وتغضب السماوات والأرض والجبال فيكدن أن ينشققن وينفطرن وينهددن من خلقهم زعمتم ثم يخلد العباد في النار على خلقه وإرادته وتقديره، وهذه صفة أهل العبث واللعب والتخليط والمجانين، وليس هذه صفة الحكيم الرحيم العادل الذي لا خلل في حكمته ولا عبث في تقديره ولا حجة لأحد في صنعه وخلقه عز عن ذلك ربنا وتعالى.

ثم نقول لك: أخبرنا عن إرادة الله عز وجل لكفر خلقه زعمت هل هو أهل لما أراد من ذلك ؟

فإن قلت: نعم هو أهل لما أراد من ذلك ؛ لزمك أن الله عز وجل أهل أن يُكْفَر به، وبان كفرك، وحسبك بهذا جهلاً.

وإن قلت: إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر ؛ لزمك أنه ليس بأهل لما أراد، وفي هذا فضيحتك وانقطاعك ؛ فاختر أي القولين شئت ففي هذه المسألة وحدها قطع كل مجبر على وجه الأرض.

وأما السرابيل التي سألت عنها فهي أيضاً دلالة لله عز وجل دل عليها المؤمنين وتعريف عرّفهم به ليتحصنوا بها عن الظالمين، دل الله جل ثناؤه وعز نبيه داود صلى الله عليه فعملها بيده وقدّر سردها باستطاعته ولم يخلق الله عز وجل الدروع حلقاً ومسامير وإنما خلق الله عز وجل عين الحديد ومن ذلك الحديد عمل الناس الدروع وكذلك جميع الصناعات، ولم يخلق الدروع فيكون زراداً ولا السفن فيكون نجاراً، وقد قال: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)}** [العلق]، فهل تقول إن كل كتاب كتبه أحدٌ من كفر وإلحاد وتشبيه وجبر وشعر وغناء وسفه وفساد إن الله عز وجل هو الذي كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله زعمت وفعله صنعه، وأنه فعل خَلْق أفعالهم فيلزمك أنه إذا

تكاتب سفيهان بالسفه أحدهما إلى الآخر كان الله عندك هو الذي كتب ذلك الكتاب وخلقه!! وكفاك بهذا فرية على الله عز وجل.

وقد سمعت كيف أخبر عز وجل عن أمره لداود بصنعه للدروع ولنبيه نوح صلى الله عليهما بعمل السفينة، وأنه لبث سنين كثيرة يعملها، **{وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ}** [هود:38]، ولو كان الله عز وجل الذي عملها لوجب عليك أنها لم تنجح لله عز وجل إلا بعد سنين كثيرة، ولم يصح قوله: **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(40)}** [النحل]، من غير نجار ولا زراد ولا حدّاد ولا صائغ.

فجعلت أنت أفعال العباد كلها فعلاً لله تعالى لجهلك بعدله وحسن تقديره وأنه لا يعذب على صنعه وعلى أمر اضطر العباد إليه.

وقد أعلمناك أن الجعل في كتاب الله عز وجل على وجهين، جعل حكم وتسمية وجعل حتم لا مخرج منه.

وقوله عز وجل: **{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ(12)}** [الزخرف]، فذلك في الفلك خاصة جعل دلالة وتسمية لا أنه نجرها ولا دسرها ولا أنهم يركبون الفلك لا بد لهم من ركوبها حتماً ؛ إنما الأمر إليهم إن شاءوا ركبوها، وإن شاءوا تركوها تخييراً لا جبراً، وإنما أخبرهم بالنعمة فيما سخر لهم من العيدان والدلالة على عمل النجارة والمسافرة على وجه الماء ؛ فهذه نعم يجب أن يُشْكَر ويُعترف لمن تفضل بها.

وكذلك ما اعتللت به من العطشان والجائع والعالي ؛ فالله عز وجل الذي خلق الطعام والشراب وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ولم يطعمه ممن طريق الضيافة والتلقيم ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ولا النسج لثياب العارين، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض وحضّ عليه وقال: **{وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}** [البقرة:237]، فهذا إطعامه وفضله وكسوته ونعمته.

وقال: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(34)}** [إبراهيم]، وهذا هو وجه القول وإصابة المعنى لا ما ذهبت إليه من أن الله عز وجل هو الذي يفعل

جميع أفعال العباد وأنه زعمت الذي خلق السفن والدروع وغير ذلك من أعمالهم التي عملوها بأيديهم واتخاذهم للأصنام.

فإن قلت: إنه قد قال في كتابه: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)}** [الصافات].

قلنا لك: إنه خلق الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجارة التي عملوا منها الأصنام فصوروها وقدروها ونحتوها وليس ذلك الذي عملوا بأيديهم فعلاً لله عز وجل وإنما فعله خلقه الأشياء التي منها عملوا ولو كان فَعَل فعلهم لوجب لهم عليه أن لا يندبهم إلى طاعة ولا يسألهم عن تقصير ولا يعذبهم على غير جرم وهو الذي فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لا يجور عليهم ولا يظلمهم وأنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ؛ فأي عسر أعسر مما قلتم وأي ظلم أكبر مما ذكرتم، عز عن ذلك اللطيف الخبير.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عند ذلك كيف جعل الله السرابيل التي تقي الحر وتقي البأس ؟ وكيف جعل الله من الجبال أكناناً مما لم يكن فيه ذكر إلا بعمل الناس ؛ أفعل الله ذلك الخلق ووصله وعزل القطن والكتان وحاكها ؟

فإن قالوا: لا ؛ فقل: كيف جعل الله السرابيل ؟

فإنهم لن يجدوا بداً من أن يقولوا خلق الله عمل الناس وجعل عملهم ؛ فقل: أفليس الله جاعل عملهم وخالقه وصانعه ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك بأن الله خالق أعمال العباد وصُنْعهم وهذا قولنا وهو العدل.

فإن أبوا أن يعطوك هذا فأعِد عليهم المسألة فقل: كيف جعل الله إذاً السرابيل التي تقي الحر والتي تقي البأس، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله وهو الذي غزل وحاك وخاط الثياب ؟

فإنهم لن يعطوك هذا ولن يجدوا بداً أن يجعلوا صنع الله فيها خلق الله لأعمالهم وجعل الله لأعمالهم هو صنعه.

ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ}** [الزخرف]، كيف جعل الله الفلك ؟

فإن قالوا: خلق الشجر ؛ فقل لهم عند ذلك: أليس إذا رأينا خشبة أو شجرة قلنا: هذه فلك؟

فإن قالوا: نعم ؛ فهذا ما لا يقبله أحد ويعلم من سمعه أنه كذب، ولن يعطوك هذا.

وإن قالوا: جعْل الله لعمل العباد وصنع الله لعملهم ؛ فهو قوله: جعل لكم من الفلك، فقل لهم حينئذ: هذا قولنا إنا نقول: إن جعل الله للفلك جعله لعملها وكلها جعل الله، وجعله فهو خلقه لأن الله جاعل ما خلق وخالق ما جعل، وخلقه وجعله وصنعه للأشياء واحد لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله.

وإن ذهبوا يلوون ألسنتهم بشيء فسلهم كيف جعل الله الفلك ؛ أهو شق الخشب وصورها ونحتها ؟ فإنهم لن يعطوك هذا، ولن يجدوا جواباً إلا أن يقولوا إن جعل الله لها خلق الله لعمل العباد لها.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: قد فهمنا ما سألت عنه من إضافتك إلى الله جل ثناؤه خلق السرابيل التي تقي الحر والبأس وعمل الأكنان والسفن وغير ذلك من أفعال العباد التي أضفت فعلها إلى الله جل ثناؤه وتريد بذلك أن تلزمنا أنه عمل الزرادة والنجارة والخياطة والخرازة لتثبت أنه الذي فعل الزنا والشرك والكفر وجميع المعاصي، جل الله وتعالى عما قلت، قدوس قدوس رب العالمين.

وأما قولك: إنه يلزمنا إذا أنكرنا عليك أن الله بريء مما أضفت إليه أنه لم يجعل كناناً من الجبال التي عملها العباد وكذلك السفن والدروع وغيرها.

فكذلك نقول: إن العباد الذين حفروا بعض الكنان التي في الجبال وعملوها بمعاولهم وأيديهم وقوتهم المركبة فيهم، وإن الله عز وجل لم يعملها ولم يحفرها بالمعاول، وإنما جعل

الأكنان والكهوف التي هي في الجبال مخلوقة بلا معاول ولا كلفة، قال لها كوني فكانت من آخر ساعاتها ؛ فذلك فعله عز وجل المخلوق في الجبال.

والعباد إنما عملوا أكنانهم التي حفروها بعد الدهور الطويلة والتعب والنَّصَب وكذلك القصور، ولم يقولوا لها: كوني فكانت، وليس لله جل ثناؤه في فعلهم لها فعل غير ما أعطاهم من القوة التي اختاروا بها ما أرادوا ؛ فهذا قولنا.

والدليل على ذلك: قوله عز وجل: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}** [الروم:41]، وقوله: **{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ(129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ(130)}** [الشعراء].

أفلا تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم وعاب عليهم اتخاذها لعلهم يخلدون، ولم يقل كما قلت إنه خلق ما عملوا فيها، فهذا شاهد من كتاب الله جل ثناؤه.

وزعمت أنك لا تستطيع أن تكتب علينا كل ما يدخل في مسائلك لأنها زعمت تكثر، وأنت أيها المسكين المغرور لم تظن أنه يحل بك منا ما حل ولا ينزل بك ما نزل وليس صبي من صبيان أهل العدل تهوله مسائل أهل الجبر لأن الحق إنما جعله الله عز وجل حقاً في نفسه بالحد، والباطل جعله باطلاً في نفسه بالحكم والتسمية لا بالخلق والجبر فمحال أن يزهق حق ويثبت باطل، وإنما الذي يزهق الباطل ويثبت الحق، وكذلك قال رب العالمين: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(18)}** [الأنبياء] .

وإلا فأوجدنا إن كنت صادقاً قوي الحجة أين موضع خلق الله لأفعال العباد حتى نعرف كيف ذلك الخلق وكيف صورته وأين موضعه وأين يكون حتى تفرق لنا بينه وبين فعل العباد ولو بمقياس شعرة فلن تجد ذلك أبداً بنور الله وبراءته من قولكم.

وأما قولك: أن تسأل عن قول الله عز وجل: **{وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}** [النحل:81]، فقلت: كيف جعل الله السرابيل ؟ وكيف خلقها لهم وهم الذين عملوها كما عملوا الكفر والإيمان ؟

فإن قلنا لك زعمت: أن الله خلق الشجر الذي يكون منه الثياب وخلق الحديد الذي يكون منه السرابيل فتسألنا زعمت هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول هذا سرابيل ؟ وإذا رأينا شجر قطن أو قطناً أو كتّاناً قلنا هذه سرابيل تقينا الحر ولم تغزل ولم تنسج ولم تُحَكْ، ولم تُعمل ؟ وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كن قلنا هذا كن؟ فإذا قلنا نعم زعمت قلت: فهذا ما لا تقبله العقول ولا يمتري فيه أحد أنه كذب.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: فجوابنا لك أنه يلزمك في هذه الدعوى مثل ما يلزمنا لك، وقد علمت وعلم أهل العقول أنا لا نقول إن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن يجوز في اللغة أن تسمى سرابيل تقينا الحر وسرابيل تقينا البأس، ولا يجوز أن يقال لجبل ليس فيه كن إنه كن، هذا باطل فاسد محال من القول لا يقوله أحد، ولا يذهب إليه متكلم.

ويلزمك أن الله عز وجل خلقها منفرداً بخلقها ثم أوجدها فعمل العباد منها السرابيل هم منفردون بعمل ذلك لأن الله عز وجل الذي فعلها لم يعمل الدروع حلقاً مدورة ولا سمرها بمساميرها دسراً ولا جعل لها الجيوب ولا الأكمام ولا حاك الثياب بالأنيار والأداة ولا خاطها بالإبر والأجلام ولا جعل لها الجيوب والأكمام ولا حفر الكهوف في الجبال بالمعاول وإنما خلق الله عز وجل الحديد الذي منه عملت الدروع وخلق الشجر وخلق فيه القطن الذي منه عمل الناس الثياب وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله، والحديد والشجر وجميع ما خلق الله من الأشياء التي منها اشتق العباد ما عملوا كل ذلك موجود غير معدوم ولا مفقود تبصره الأعيان وتحسه الأيدي وتدركه جميع الحواس وتوقن به العقول ويوجد جسماً مجسماً مرئياً مدركاً حاضراً معروفاً لا شك فيه ولا مرية.

وعند ذلك يلزمك أيها المفتري على الله عز وجل الفرية العظيمة في قولك إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصي كما خلق الحديد وشجر القطن والكهوف الموجودة في

الجبال من خلق الله عز وجل وتقديره وإنك تلزمه عز وجل أنه خلق الدروع وحاك الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة.

فنقول لك أيها المفتري على الله: أوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا وقول الكفار إن الله ثالث ثلاثة وإن له عز وجل صاحبة وأولاداً وكذلك توجدنا قتل الأنبياء وأئمة الهدى كما أوجدتنا الحديد الذي منه عُملت الدروع والشجر الذي منه عمل القطن والخشب الذي منه عملت السفن وجميع ما ذكرت حتى نبصره بالأعيان وتلمسه الأيدي وتدركه جميع الحواس ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميز من قبل عمل الآدميين له فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ومنظوراً إليه أو مسموعاً صوته أو مشمومة رائحته أو مدركاً ذوقه أو ملموساً بحاسة أو محوياً بقطر من الأقطار كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب وغير ذلك مما خلق الله عز وجل.

لا بد لك من ذلك، وإلا لزمك أنك تناظرنا على أمر محال وخلق لا يدرك ولا يعرف ولا يوجد متجسماً ولا مرئياً ولا ملموساً فتكون دعواك باطلة بلا بينة ولا أمر تشهد عليه العقول والألباب ولا تدركه الحواس ولا يوجد في لغة العرب ولا يوجد في كتاب ولا سنة.

وإنما هذه نزغة من نزغات الشيطان ألقاها في قلوبكم وعلى ألسنتكم لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الأنبياء وجميع العاصين، وأن تكون الحجة على الله لهم لازمة وعليهم قائمة بما خلق لهم زعمت وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط وجميع المعاصي ؛ فأخذوا كل هذه الفواحش والكبائر من فواحش قد وجدوا ربهم زعمت قد سبق إلى فعلها وخلقها قبل خلقهم لها فمنها عملوا ومنها أخذوا ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ولا شركاً يشركونه ولا زنا يزنونه ولا لواطاً يلوطونه ولا قتلاً يقتلونه ولا عصياناً يفعلونه.

كما أنه عز وجل لو لم يخلق لهم الحديد وشجر القطن والتراب والماء والحجارة والأدم والصوف والشعر والجبال لم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع ولا شجر قطن يحوكون منه الثياب ولا صوفاً يعملون منه الأكسية وغير ذلك من الأثاث، ولا تراباً ولا ما يعملون منه القصور ولا خشباً يعملون بها الأبواب والسقوف.

ومن الحجة لنا عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل وأن أفعال العباد في قولنا نحن غير خلق الله عز وجل وأنه بريء من خلقها وأنها فعلهم هم تفردوا بها لا فعل رب العالمين عز عن ذلك وتعالى، فنقول لك أيها المجبر ولإخوانك المجبرة: خبرونا متى خلق الله عز وجل الإسلام، أقبل إرسال الرسل أم بعد إرسال الرسل ؟

فإن قلتم: إن الله جل ثناؤه خلق الإسلام قبل إرسال الرسل لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأولهم وهو آدم عَلَيْه السَّلام أن الصيام والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض قد كانت معروفة موجودة محدودة مخلوقة قبل أن يرسل الله عز وجل بها آدم عَلَيْه السَّلام.

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم خبرونا عن هذه الفرائض التي زعمتم أنها مخلوقة قبل بعثة آدم عَلَيْه السَّلام كيف هي ؟ وما هي ؟ وأين هي ؟ أفي أرض أم في سماء ؟ وكيف صورها ؟ وهل تدرك ببصر؟ أو تحس بسمع ؟ أو تنال بلمس ؟ أو تذاق أو تشم باستنشاق ؟

فإن قلتم: إنها موجودة في الأوهام من غير أن تدرك بالحواس.

قلنا لكم: فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً موجوداً في الأوهام آخر مع الله عز وجل لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فيه الصفة التي وصفتم بها الواحد الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، وهذا كفر بالله العظيم وخروج من الإسلام، وإبطال الوحدانية ودعوى إلهين اثنين صفتهما واحدة لا فرق بينهما لأنكم ادعيتم شيئاً ليس له حد ولا غاية تعرف ولا نهاية يوقف عليها ولا تدركها الحواس ولا تعلم هذه الصفة إلا للواحد القديم الأزلي الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، تبارك وتعالى ؛ فهذه حجة لازمة لك ودامغة لدعواكم، ولا مخرج لكم منها.

وإن قلتم: إن الله عز وجل خلق الإسلام بعدما أرسل الرسل ؛ لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً، وأن الله جل ثناؤه أرسل الرسل يوم أرسلهم وليس معهم إسلام يدعون الناس إليه، ولا هدى يوجب لهم الطاعة، ولا تقوم لله به على بريته حجة ؛ لأنه زعمتم إنما خلق الإسلام بعد إرسال الرسل ؛ فوجب عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين إذ لا

إسلام معهم وإنما خُلِق زعمتم بعد إرسالهم، وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله وفيه خروجكم من دين الإسلام.

وإن قلتم: خلق الله عز وجل الإسلام مع إرساله للرسل لا قبل ذلك ولا بعده، رجع عليكم القول الأول والمطالبة لكم من خصومكم بأنه لا بد لكم أن توجدونا الإسلام الذي ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل بحدوده وشخصه ولمسه وذوقه وسمع صوته وحسه والنظر إلى صورته وإدراكه وإحاطة الأنظار به، حتى يعرف ويوجد ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله عز وجل.

وإن قلتم: إنه لا يدرك إلا بالصفة لا غيرها ؛ لزمكم أنه واحد ليس كمثله شيء لأنه قد انتظمته صفة الله عز وجل الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، في زعمكم لأن كل شيء خلقه الله عز وجل من الخردلة فما فوقها من السماوات والأرض لا بد له من ستة حدود تحوي كل مخلوق خلقه الله عز وجل، وهي: القدام والخلف، واليمنة واليسرة، والفوق والتحت ؛ فهذه الحدود لا بد لها أن تحيط بكل مخلوق لأن الخالق عز وجل لا حد له ولا قدام ولا خلف، ولا يمنة ولا يسرة، ولا فوق ولا تحت.

فهذا الفرق بين الخالق عز وجل وبين المخلوق، وما ليس له حد يدرك بالحواس فليس هو خلقاً لله عز وجل.

وهذا أكبر الدليل على أن أفعال العباد غير مخلوقة ولو كانت مخلوقة فكانت بائنة بمعنى تحيط به الحدود والأقطار دون فاعليها، وإنما أفعال بني آدم حركاتهم وفعلهم هم لا فعل الله عز وجل ولا خلقه.

وكذلك الكفر يلزمكم في خلقه من الحجة مثل ما لزمكم في خلق الإسلام سواءً ؛ إن ادعيتم أنه خُلِق قبل الكفار طالبناكم بتشخصه وحدِّه ولمسه ودرك الحواس جميعاً له.

فإن لم تأتوا على ذلك ببرهان ؛ لزمكم توحيده لما جعلتموه بصفة الواحد ولا بد لكم من أ؛د هذه الثلاثة الوجوه التي ذكرنا لكم ليس لها رابع، وليس لكم من واحد منها مخرج.

فاعرف ما قلت يا عبدالله بن يزيد البغداذي لإخوانك من قولك لهم أن ليس قول أقرب إلى الزندقة زعمت من قول أهل العدل أن ليس أفعال العباد مخلوقة، فأي القولين الآن أقرب إلى قول الزنادقة بل أيهما هو الزندقة ؟ بل أيهما هو الشرك الأعظم الذي جعلتم الله عز وجل عن قولكم فيه شريكاً لكل مشرك أو فاعل فاحشة أو مرتكب لعظيم كفر ؟

فجاز قولكم قول أهل الأصنام وفات جميع الأنام، وأخرجكم من قبة الإسلام، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

قال الله: **{قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ(66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ(67)}** [المؤمنون]، وقال: **{أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ(105)}** [المؤمنون]، أهذا عندك قول من أراد أن يكفر به ؟ أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذب عليه ثم سمى نفسه عادلاً لا يظلم؟! ثم قال: **{أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [التوبة:3].

وأما اعتلالك بقوله عز وجل: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الرعد:16]، فقد أعلمناك أن هذا خصوص لا عموم.

والدليل على ذلك: ما يلزمك الإقرار به أحببت أو كرهت وهو قوله عز وجل: **{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}** [الإسراء:44]، فنقول لك: أخبرنا عن الدهرية المعطلة الذين زعموا أن ليس لهم خالق ؛ أليس هم شيء أم لا ؟

فإن قلت: أن ليس هم بشيء ؛ أكذبك جميع الخلق وخرجت من حد الكلام ودخلت في العبث.

وإن قلت: هم شيء.

قلنا لك: فهل هم يسبحون الله ؟

فإن قلت: نعم ؛ بانت فضيحتك وأكذبك جميع الخلق ؛ لأنهم معطلة يجحدون الخالق، وهم الذي ذكر الله عز وجل في كتابه حين قال: **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ**

وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ(24)} [الجاثية].

وإن أقررت أنهم ليس يسبحون الله جل ثناؤه.

قلنا لك: قد صدقت وفي صدقك هذا يلزمك أن ليس كل شيء يسبح الله عز وجل، وإنما عنى بعضاً دون بعض، وكذلك قوله: **{خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الرعد:16]، إنما عنى ما خلقه جل وعز لا ما خلق العباد، وفي هذا كفاية لمن عقل، وإنما خلق الله جل وعز الأجسام والأعراض لا غيرهما مما يعرف وليس له عز وجل خلق ثالث يعرف إلا الأجسام والأعراض إلا ما قاله عز وجل: **{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)}** [النحل]، ولا يقوم عرض إلا في جسم ولا جسم إلا فيه عرض.

فإن قلت: إن الأعراض لا تدرك بالحواس، ويلزمكم لنا فيها مثل ما لزمنا لكم في خلق أفعال العباد.

قلنا لكم: فإن جوابنا لكم في ذلك: أن الأعراض تُرى وتُسمع وتدرك وليس أفعال العباد ترى ولا تسمع ولا تدرك بصورة ينظر إليها ولا جسم متجسم إلا أن يقول قائل إن القتل يُرى بمعنى غير حركة الآدمي، أو أن الصلاة ترى بمعنى غير حركة الآدمي، أو أن الزنا يدرك بمعنى غير حركة الآدمي أو شيء من جميع أفعال بني آدم يقال فيه: إنه يدرك أو يرى بمعنى آخر ؛ فلا يوجد السبيل إلى ذلك أبداً إلا أن توجدونا شمسين في وسط السماء.

والدليل لنا في الأعراض .... وكذلك الزنا ليس هو شيء يدرك ولا يحس غير التقاء الفرجين وحركة الفاعلين تكون مع ذلك ولا يوجد خلق كما افتريت إلا أجسامهما، فأجسامهما خلق الله عز وجل.

وكذلك الزكاة ليس هي بشيء يحس ولا يدرك غير دفع الدنانير والدراهم والحبوب من يد رجل إلى رجل ؛ فأين خلق الزكاة أوجدنا إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته ولن تجد ذلك أبداً.

وكذلك الجهاد ليس هو شيء يُحس ولا يُدرك إلا الرجل يضع السيف ويرفعه ويرسل السهم ويمسكه ويمد الرمح ويصرفه، فأين خلق الله عز وجل لقتل الأنبياء ؟ وسفكه الدماء ؟ وفعله لجميع القبائح من الأشياء التي قلت فيه ؟

هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بني آدم التي برئ الله عز وجل منها ومن خلقها ؟ حيث يقول عز وجل: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17].

وتلك الحركة فهي فرع الاستطاعة التي ركبها الله عز وجل في خلقه وهي القوة التي وهب لهم ثم حظر بالأمر والنهي المؤكد والبرهان المشدد أن لا يستعملوا تلك القوة التي وهب لهم وفوّضهم فيها مخيرين غير مجبورين في إمساكها ولا إرسالها إلا في جميع ما يرضيه، وأن يعملوا بها شيئاً مما يسخطه وأعد الجنة لمن أطاعه وأعد النار لمن عصاه، وأرسل بذلك الرسل وأنزل به الكتب وأعذر وأنذر وحذر وكرر، **{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(42)}** [الأنفال].

فمن ادعى بعد هذا شيئاً يريد به إسقاط الحجة عن الكفار والعصاة، ويُلزم الله عز وجل الظلم والجور فقد كفر بآيات القرآن، وهو قوله عز وجل: **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** [النساء:165]، وقوله عز وجل: **{وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}** [البقرة:213]، وقوله: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40)}** [العنكبوت]، وقوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الأنفال:53]، وقوله عز وجل: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء].

وقلت أنت أيها المجبر أنه أراد الكفر من الكفار، وقد كررنا هذه الآيات لأنها حجة الله عز وجل، ولا حجة أقوى منها، وقد وجدْنا الله تبارك وتعالى قد كرر القول في غير موضع من كتابه لتأكيد الحجة والإبلاغ في الموعظة وفي أقلّ مما قلنا به كفاية وانقطاع لكل مجبر على وجه الأرض، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة عليكم في قولكم إن الله عز وجل خلق الإسلام قبل إرسال الرسل: أنه يلزمكم أنه قد كانت صلاة موجودة من غير مصل وزكاة موجودة من غير متزك وصيام موجود من غير صائم، وحج موجود من غير حاج، وعمرة موجودة من غير معتمر، وجهاد موجود من غير مجاهد وأمر بمعروف ونهي عن المنكر من غير قائم بذلك ؛ هذا هو الخروج من المعقول وهو يبطل قولكم إنه فِعْل من فاعلين بأوكد حجة وأوضح برهان.

وإن قلتم: إن الله خلق الإسلام بعد إرسال الرسل ؛ لزمكم أن الاستطاعة موجودة قبل الفعل لا بد من ذلك ؛ لأنه يلزمكم أن الرسل قد دعتكم إلى أمر قبل فعلكم له إذ ليس من شأنها عليها السلام ولا من عدل مَنْ خلقها تبارك وتعالى الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه.

وإن قلتم: إن الله خلق الإسلام مع إرسال الرسل لزمكم أن توجدونا صورة الإسلام وحسه ودركه قبل أن يُفعل.

فإن قلتم: إنه لا يدرك إلا بالصفة ؛ لزمكم أنه إله موجود فيه مثل صفة الله تبارك وتعالى، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة الوجوه، وفيها انقطاع قولكم، وبيان جهلكم وفريتكم على خالقكم ومفارقتكم لكتابه صراحاً، وظلمكم لأهل العدل، وكذلكم عليهم ؛ إلا أن ترجعوا وتتوبوا ويكون قولكم إن الله عز وجل لم يخلق أفعال العباد لا الصالح منها ولا الطالع، وأنه بريء من ذلك كله إلا ما أمر به ونهى عنه وهو متعال عن خلق أفعال العباد متنزه عن خلق الفواحش وجميع الشرك والظلم والكفر وقتل الرسل وأئمة الهدى، وإلا فالنار لا شك فيه لقوله عز وجل: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)**} [الأعراف]، وقوله: {**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**}[التوبة:3]، وقوله: {**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ(108)**} [آل عمران]، وقوله: {**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**} [الأنعام:31].

أفلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم أنهم الذين فرطوا وأنهم قد دعوا بالحسرة على ذلك التفريط، **{وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ(31)}** [الأنعام]، ولم يقولوا كما قلت: يا حسرتنا على ما خلق الله من أفعالنا ولا على ما أراد منا.

وقوله: **{رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ(61)}** [ص]، فنقول لك: أخبرنا عمن قدم لهم ذلك ؛ أهو المريد لكفرهم ؟

فإن قلت: لا، رجعت عن قولك بالجبر.

وإن قلت: نعم، المقدم لعذابهم هو المريد لكفرهم ؛ لزمك أن خالقك يدعو على نفسه بعذاب النار، وهذا من أعظم كفر قال به قائل ؛ فالحمد لله المعز لدينه والموضح لبراهينه والناصر لأهل طاعته والذابين عن كتابه، وهو القوي العزيز.

واعلم علماً يقيناً أنه لا حدّ لفعل بني آدم يدرك إلا حد فاعله، وليس هو بشيء بائن عن فاعله إنما هي الحركات الموجودة فيهم وهي فرعٌ لاستطاعتهم والاستطاعة فعل الله عز وجل التي عليها البنية، والحركات فعلوها بإرادتهم واختيارهم بعد الأمر والنهي من الخالق الحكيم، ولو كانت أفعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد بائنة عن الأجسام ثم وصفتها المجبرة بصفة غير ما قلنا للزمها أن تثبت لها الحدود والأقطار وإ، لم تجدها ونفت عنها الحدود على الانفراد لزمها أن قد وجدتها كما وجدت الصانع القديم، وهذا أبطل باطل يكون، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض إذ لا حجة تفسد ما قلنا ولا تقطع ما به احتججنا.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم منفرداً عن حركاتهم لوجب أنهم يخترعون عيون الأشياء ويخرجونها من العدم إلى الوجود كفعل الواحد الحميد، فلا يقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال الذي لا يعجزه شيء وهو الولي الحميد.

ويلزمكم أيضاً في قولكم إن قلتم إن الله عز وجل خلق الإسلام مع إرسال الرسل أن يقال لكم: إن الرسل متفاوتون في البعثة وكل رسول منهم بينه وبين صاحبه المدة الطويلة

والسنون الكثيرة فلا يجوز لكم أن تقولوا إنه خلق الإسلام إلا مع إرسال الأول منهم وبقاء من بقي بلا إسلام حتى يُخلق له إسلام جديد يكون معه.

فإن قلتم: إنه خلق الإسلام الأول يجزي من بقي.

قلنا لكم: فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعة تخالف الأخرى وأحكاماً تخالف الأحكام التي من قبلها، وهذا ينقض عليكم ما ادعيتم من خلق الإسلام الأول لأن مع كل نبي أمراً غير أمر صاحبه وشريعة غير شريعة صاحبه فأين الخلق الذي ادعيتم من أن الإسلام مخلوق، فلا يجوز ما قلتم، وإنما الإسلام أمر ونهي وشرائع وأحكام تحدث بحدوث النوازل في كل عصر وزمان.

فالإسلام دين الله عز وجل وهو أمر به لا خلق خلقه والشرائع مختلفة لحكم المتعبد لعباده وتصريفهم من الأمر على ما أراده، ولو كان الإسلام مخلوقاً لكانت شرائعه شيئاً واحداً لا تختلف ولا تنتقض عن الخلقة الأولى التي فطرت عليها، والحمد لله رب العالمين.

وإن أبيت إلا أن الله الذي خلق أفعال العباد.

قلنا لك: فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً وزناً وقولاً إن الله ثالث ثلاثة وإن له ولداً وصاحبة عز عن ذلك، وكذلك توجدنا قطع الطرق وأخذ الأموال، ونقب الحوانيت وغل الزكوات وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، فتوجدنا ذلك كله من خلق الله له كيف فأين وجده العباد حتى اكتسبوه كما قلت ؟ وأين هو وهل تراه الأعيان أو هل تسمعه الآذان أو تدركه العقول منفرداً وهل تدركه الأيدي والأرجل وهل يدرك بالذوق أو الشم ؟ وهل تحويه الفِكَر ؟ وهل تقع عليه الخواطر وهل تحويه الأقطار ؟ منفرداً كما تحوي سائر الأشياء المحوية الموجودة حتى يصح لك وتتبين حجتك فيه ونعلم نحن وأصحابك أنك صادق في دعواك أن الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصي فيصح ذلك لنا ولك ولجميع الناس كما صح الحديد الذي قلت الذي منه عُمِلت الدروع والشجر الذي حدث منه القطن فعملت منه الثياب والخشب الذي عملت منه السفن كما قلت وصح لك لعمري.

وهذا حق أن الحديد الذي عملت منه الدروع وشجر القطن وخشب السفن والأكنان في الجبال كل ذلك موجود ومنه عمل الناس جميع الصناعات التي عملها بنو آدم إنما عملوها من أشياء وجدوا الله عز وجل قد سبق إلى خلقها وإحداثها وافتطارها من قبلهم، فأخرجها من العدم إلى الوجود لم يشاركه في خلقها أحد، ولم يسبقه إليها صانع ؛ فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات التي لا تقوم الدنيا ولا تعمر إلا بها وبعملهم لها.

وذلك من الدلائل العظام على التوحيد أن أحداً لا يحدث جسماً ولا يخترع صنع شيء من جميع الأشياء المجسمة ولا يقدر على إحداث ذلك كله إلا الله القوي العزيز، فمن صنعه وخلقه وفطرته واختراعه عملوا ولولا ما وجدوا من ذلك ما قدروا على شيء يعملون منه مصالحهم ؛ لأن هذه الأشياء مشاهدة مرئية موجودة تدرك لا شك فيها من درك الحس من الشم والذوق والسمع والبصر.

وأما الشرك الذي ذكرت أنت وإخوانك المجبرة وجميع المعاصي التي ادعيتم أن الله عز وجل خلقها وأخرجها من العدم إلى الوجود فيلزمكم لنا أن تأتوا عليها بدليل وبرهان أضوأ وأوضح من نور الشمس الطالعة حتى يتبين للناس صدقكم ولن تجدوا ذلك أبداً ولن تقدروا عليه.

لأن المعنى الذي ذهبتم إليه فسميتموه خلقاً لله عز وجل عما قلتم إنه حركات العباد التي يتحركون بها بالقوة التي فيهم والله عز وجل إنما خلق الاستطاعة وهي القوة المركبة في بني آدم وهم فيها مخيرون إن شاءوا تحركوا بها وإن شاءوا لم يتحركوا.

فالاستطاعة من الله عز وجل موهوبة منَّة ونعمة، والحركات ليست من الله عز وجل وإنما هي فعلهم هم لا فعل الله عز وجل.

وشاهد ذلك القوي الواضح من كتاب الله عز وجل قوله: **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)}** [النور]، فلو كان الله عز وجل هو الخالق لنظرهم إلى المحارم والخالق لحركاتهم في الفروج التي يتحرك الآدميون لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم ويحفظوا

فروجهم، وإنما نهاهم عز وجل عن أمر هو إليهم مالكين له إن شاءوا فعلوه وإن شاءوا لم يفعلوه.

وقوله: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(2)}** [الحجرات]، ولو كان الله عز وجل خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه، وإنما نهاهم عز وجل عما يعلم أنهم يقدرون على تركه.

والله عز وجل فلم يخلق حركات العباد وهي الزنا الذي تحركوا له والقتل الذي تحركوا له، والشرك الذي تحركوا له وحركوا فيه ألسنتهم وأيديهم وقالوه بأفواههم وأهوائهم، وكذلك جميع الظلم والفواحش التي حركوا فيها جوارحهم وحواسهم.

وقد حظر الله عز وجل عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا في الطاعات والكف عن المحرمات، فعصى من عصى فوجبت له النار، وأطاع من أطاع فوجبت له الجنة ؛ إذ ليس ثَمَّ جبر ولا إكراه ولا خلق فعلٍ، والله عز وجل لم يخلق شيئاً من جميع أفعالهم ولو خلقها لكان شريكاً لهم ؛ إذا كان لهم في شيء من أفعالهم قلّ أو كثر شريكاً لم يكن إلهاً ولزمه من الجور والظلم والخروج من الحكمة والعدل في عذاب من خلق فعله ما يلزم الجائرين.

ودليل ذلك: أنا نقول لك: هل يعذب الله عز وجل داود عَلَيْه السَّلام في عمل الدروع التي قلت ؟ أو يعيب ذلك عليه ؟ وهل سمعته قال: لِمَ فعلت ولم عملت الدروع ؟ وإنما أخبر أنه علمه صنعة الدروع ولم يخبرنا أنه هو الذي خلق الدروع.

وكذلك آدم صلى الله عليه لم يعذبه الله عز وجل في حوك الثياب ولا الحرث ولا فيما عمل من الصناعات، ولا قال لنوح صلى الله عليه قول تعنيف في عمل السفينة ولا عذبه على عملها ولا سمعته في شيء من كتابه قال لمؤمن ولا لكافر لم عملتم الدروع ولم عملتم الأكنان في الجبال ولم عملتم الآلات إلا أن يعملوها لباطل أو معصية لله جل ثناؤه فهناك يقع التعنيف ويجب العذاب.

وإنما قال لهم عز وجل: لم كذبتم رسلي، وأعرضتم عن كتبي ؟ وألحدتم في صفتي، وشبهتموني بالجائرين ؟ ولِمَ قتلتم أنبيائي والأئمة من خلفائي والمؤمنين من أصفيائي ؟ ولم كفرتم بي وعبدتم غيري وخالفتم أمري ونهيي ؟

فهذا يوجب أن ليس لأجل خلقه لما خلق يعذب عباده، إنما يعذبهم لما خلقوه هم وأتوه عامدين بأهوائهم وإرادتهم وحركاتهم ؛ فهذا جوابنا لك على دعواك في خلق الكفر الذي زعمت أن الله عز وجل خلقه وأراده، وهذا ما لا مخرج لك منه.

لأنا سألناك أن توجدنا شركاً وكفراً وظلماً وفواحش مخلوقة منها أخذ العباد ما عملوا ومنها اكتسبوا ما به كفروا كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب والأشياء المخلوقة الموجودة التي احتججت بها علينا في مسألتك هذه.

ولن تجد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش أخذ منها العباد ما عملوا ولا منها اكتسبوا ما به أحدثوا ؛ فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً حتى تناول النجوم من أعنان السماء بكفك، ولن يكون ذلك أبداً.

وفي هذا بطلان قولك ولزوم حجتنا لك ووجوب النار عليك إلا أن ترجع وتتوب عما قلت أنت ومن تبعك، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولك: إن الله عز وجل الذي خلق الكفر والإيمان على وجه غير ما خلقه العباد عليه وإن العباد زعمت يزنون ويسرقون وهذا زعمت لا يجوز على الله، ولا نعلم أحداً اجترأ على ما اجترأت عليه من هذا القول الفاحش الذي استجزته من عقلك .

فنقول لك أيها الأعمى في دينه والجاهل بربه: فقل أيضاً إنه قد يجوز أن يُرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة غير نظر الأعيان، ويُسمع على غير وجه من حقيقة السمع غير سمع الآذان وأنه تشاهده الخليقة بالحواس [على غير وجه] من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس الذي يُعقل من غير حس ومشاهدة، وكل هذا محال لا يجوز كما استحال ما قلت.

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا الذي ضاهيت فيه قول النسطورية من النصارى، وبين قولهم إذ زعمت النسطورية أن عيسى صلى الله عليه ابن الله على معنى زعموا غير معنى الولادة فنقول لك: هل يلزم النسطورية بهذا القول كفر أم لا ؟

فإن قلت: إنه يلزمهم الكفر بهذا القول ؛ لزمك مثله لأنك زعمت أن الله عز وجل فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد.

وإن قلت: إنه لا يلزم النسطورية بهذا القول كفر خرجت من قول أهل الصلاة وفارقت أهل الإسلام.

وإن قلت: إنه يلزمهم بهذا القول الكفر لزمك مثله سواء لأنهم جاءوا بكلام محال وجئت بكلام محال مثله لا فرق بينهما في وجه من الوجوه، وقد قال علي بن الحسين رحمة الله عليه: ليس في محال القول حجة، ولا في المسألة عنه جواب.

فقد أعظمت الفرية بقولك هذا على خالقك فلا يبعد الله إلا من ظلم، وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقة جميع المعاصي عيبُ ما خلَق ؟ وكيف لا يفسد قوله: **{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)}** [المؤمنون]؟

فإن قلت: إنه لا يلزمه عيب ما خلق.

قلنا لك وكذلك يلزمك: يلحقه حمد ما خلق.

فإن قلت ذلك ؛ خرجت من الإسلام، ومن قوله: **{وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ(152)}** [البقرة]، وكيفما قلت لزمك فيه الكلام حتى ترجع إلى الحق فتقول إن الله عز وجل لم يخلق شيئاً من جميع ما افتريته عليه فنفلجك.

ثم نسألك فنقول لك: هل العقول المركبة فينا تدلنا على غير الحق أنه حق وعلى غير الباطل أنه باطل ؟

فإن قلت: نعم إن الأشياء تخالف العقول، وإن العقول لا تميز الحسن من القبيح ولا الحق من الباطل ؛ خرجت من حد من يكلّم وأكذبك جميع الخلق لأنك يلزمك إن قلت بهذا

أن العقول لا تميز الليل من النهار ولا القحط من الأمطار، ولا الظلمة من الأنوار، ولا السوام من الأشجار، ولا غير ذلك مما تحوي الأقطار.

وإن قلت: لا يجوز ذلك أن تستحيل الأشياء في العقول، وتقلب على غير وجوهها حتى لا تميزها العقول ؛ لزمك أن الذي قلت باطل وكفر من أنه يخلق الزنا على معنى غير الزنا والسرقة على معنى غير السرقة، وفي هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

ثم نقول لك: أليس تقرّ لنا أن الله عز وجل أن تدعوه بأسمائه الحسنى حيث قال: **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}** [الأعراف:180]؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فهل يجوز لنا ولك أن ندعو الله عز وجل فنقول له: يا خالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء وجميع المعاصي، اغفر لنا ؟

فإن قلت: نعم ذلك جائز أن يُدعى به.

قلنا لك: فما الفرق بين الأسماء الحسنى والأسماء القبيحة حتى نعرف بعضها من بعض ؟

فإن قلت: إن هذه الأسماء التي ذكرنا حسنة جميلة لا عيب في الدعاء بها ؛ لزمك أن الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصي كل ذلك حسن جميل لا عيب فيه ولا عيب على من دعا الله عز وجل به وسماه خالقاً له.

وإن قلت: إن هذا الدعاء لا يليق بالله عز وجل عما قلتم وأنه لا يجوز أن يدعى به لقبحه وشناعته وكذب من دعا به ؛ لزمك أن حجتك علينا فيه كاذبة باطلة فاضحة وأنك مبطل في قولك إن الكفر والمعاصي كلها خلق الله عز وجل عما قلت وافتريت أنت ومن تبعك على مقالتك.

وكفى بهذا كفراً وصدوداً عن القرآن أن يضاف إلى الله جل ثناؤه ما برئ منه وعنف فيه إبليس وجنوده وأوجب لهم على إتيانه النار التي لا تطفأ، **{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(41)}** [المؤمنون].

وأما قولك: إن الله عز وجل خلق الأسماء كلها ؛ فالرد عليك أنا نقول لك: أخبرنا عن اسم محمد صلى الله عليه هل هو المغني في خلق الله عز وجل له ولما قالت قريش من تسميتها النبي صلى الله عليه أنه مذمَّم فالله عز وجل قد سماه محمداً وأحمد وسمته قريش مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد.

فنقول لك: إذا كان الله عز وجل هو الذي خلق اسم محمد وخلق اسم مذمم أي عيب على قريش في قولها لمحمد عَلَيْه السَّلام إنه مذمم وكلاهما خلق الله عز وجل ؟ قد سماه مذمماً فسموه بذلك، فماذا عليهم والله الخالق للاسمين والفاعل للقولين، والمريد للمعنين ؛ فإنكم تنقطعون هاهنا، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها.

إلا أن تجسروا فتزعموا أن الله عز وجل هو الذي سمى رسوله صلى الله عليه مذمماً فيبين جهلكم وكفركم لجميع من صلى القبلة، وكفى بهذا جهلاً وخروجاً من الحق.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن الأصنام مَنْ خلقها وجعلها أصناماً ؟

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: نحن نقول لك: هل خلقها أصناماً وأوثاناً وأنصاباً فسماها بذلك الاسم وكان ذلك الاسم تُدعى به وتعرف به قبل أن يعبدها من نحتها وجعلها صوراً من المشركين في الزمان الأول وفي زمان قيدار بن إسماعيل ؟

فإن قلت: إن ذلك كان اسم الحجارة تعرف في العرب قبل ابتداع من ابتدعها وعبادة من عبدها ؛ أكذبك جميع الخلق وشهدوا على بطلان قولك لأنها لم تزل تعرف بأن اسمها حجارة وصخر وصفوان وصفا وغير ذلك من الأسماء ؛ فلما نحتها الكفار بأيديهم وصوروها بحركاتهم وسموها أصناماً وأوثاناً وسموها بالأسماء المحدثة منها اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى، وأساف ونائلة، ويغوث ويعوق ونسر وغير ذلك، وهي التي ذكرها الله عز وجل في كتابه وعنّفهم على اتخاذها وتسميتها، مما دل على براءته من خلق ما خلقوا فيها من التقدير والتصوير والخرط والنحت، فقال: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى(21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى(22) إِنْ هِيَ إِلَّا**

أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى(23)} [النجم].

كأنك يا لك الويل لم تسمع هذا القول في كتاب الله قط، ولم يخطر لك على بال حين زعمت أن الله عز وجل خلق الأصنام، وذهبت بجهلك إلى قوله: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)}** [الصافات]، وإنما عنى بهذه الآية أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء التي عملت منها الأصنام ؛ إذ لا خالق للأصل غيره وإنما وقع العيب والتعنيف عليهم في نحتها وتقديرها وتصويرها وعبادتها لا غير ذلك.

وقوله: **{لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا(24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا(25)}** [نوح]، أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله عز وجل: {**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**}، ولم يقل: إنهم أُدخلوا النار بخلقه لفعلهم ؛ فسبحان الله العظيم ما أجهلك وأجهل من أصغى إلى قولك، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء]، **{وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى(61)}** [طه]، فاسمع إلى تفسير الفرية فلو كان الله عز وجل هو الذي خلق الفرية كما زعمت للزمه أنه قد خاب عز وتعالى عن ذلك لقوله: {**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**} ؛ لأن من خلق الكذب فهو كاذب.

وكذلك قال عز وجل: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)}** [الشمس]، ولا تسدية أعظم من الكفر، وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلَقه، وخلْقه زعمت فعله وصنعه فيلزمك في هذه الآية أنه دساهم بالكفر وأنه يلزمه أنه قد خاب من دساها، وبالله لو لم يكن لنا في القرآن غير هذه الآية لكانت كافية قاطعة لكل مجبر على وجه الأرض، **{أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(18)}** [هود].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن وجه ما وضعوا مما أخطأوا فيه تأويل قدرة الله عز وجل ؛ فإنهم عابوا علينا أن قلنا: إن كل شيء أخبرنا الله به أنه لا يكون أو يكون فإنه لا يجوز على الله عز وجل أن نقول إنه إن شاء كان على وجه إن شاء كان ما يجهل وما لا يعلمه ؛ لأنا متى قلنا ذلك قلنا لا ندري لعل الله إن شاء قال الباطل تعالى الله ربنا وتبارك لقد حملنا أهل البدع على أن تكلمنا بكل قبيح ما يُدخل عليهم هم في كلامهم.

مع أن الله تبارك وتعالى قد وصفه بعض الكفار فقالوا: **{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ}** [المائدة:64]، فوصف كذبهم ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لأنا متى قلنا إن القيامة إن شاء الله لم يُقِمْها قلنا إن الله كذب.

وإن قلنا: إن الله إن شاء لم يفعل [ما وعد] قلنا إن شاء الله أخلف الميعاد، ولا يجوز على الله هذا إلا أن يشاء أن يكون غير ما علم أنه يكون، ولا يشاء أن يخلف وعده، ولا يشاء أن يتخذ الولد، ولا يشاء أن يتخذ معه إلهاً تبارك وتعالى ؛ لا يجوز على الله هذا الكلام في قول العدل.

إنما يشاء أن يكون ما علم أن يكون، ولا يشاء أن ينقص ملكه، ولا يشاء أن يغير صفته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: زعمت أنا وضعنا خطأ أخطأنا فيه تأويل قدرة الله، عز وجل بأنا عبنا عليكم زعمت أن كل شيء أخبر الله عز وجل منه أنه لا يكون أو يكون فإنه لا يجوز على الله عز وجل أن نقول إنه إن شاء كان على وجه أنه إن شاء كان ما يجهل وما [لا] يعلم.

وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره فأجزانا ذلك عن إعادة قولك لأنك إنما مدارك على الفرية على الله عز وجل وعلى إبطال كتابه وعلى إبطال أمره لخلقه بالإيمان والرجوع عن الخطأ والتوبة عن الكفر والظلم واجتهاد رسله في دعاء الكفار إلى أن لا يعلم الله عز وجل منهم الكفر وأن يدعوا الكفر والشرك ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة وإنك إنما

تريد في قولك أن من علم الله منه الكفر أنه ليس له حيلة في الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه زعمت لأن ذلك العلم الذي علمه الله عز وجل عندك هو الحائل بينهم وبين الإيمان زعمت ؛ وهذا كفر غلطت فيه وخالفت القرآن وجهلت كيف العلم به ولم يبلغه عقلك.

وذلك أن المجبرة أنزلوا العلم بمنزلة الشيء المانع الدافع لهم الحائل بينهم وبين طاعة الله عز وجل، فالتوبة عن خطائهم وتركهم قوله جل ثناؤه بعدما علم أن القاسطين يكونون لجهنم حطباً ؛ فأخبر تبارك وتعالى أن علمه ليس هو المانع ولا الحائل دون الاستقامة على طريق الهدى، وأنهم إنما هلكوا وصاروا حطباً لجهنم باختيارهم واتباع أهوائهم لا يعلمه عز وجل الذي قلت إنه حال بينهم وبين الطاعة، فقال جل ثناؤه: **{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(15) وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا(17) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)}** [الجن].

وقد أعلمناك أن تأويل الفتنة في القرآن يخرج على عشرة وجوه في كتاب الله، والله عز وجل لا يفتن المستقيمين ولا يُضل المطيعين لأنه عز وجل إنما أخبرنا أنه لو استقاموا على الطريقة لأحسن إليهم وأسكنهم جنته ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء.

ألا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة لم يعلم منهم الكفر الذي صيرهم به حطباً لجهنم وأنهم لو أرادوا الهدى لم يعلم الله عز وجل منهم الكفر.

والشاهد على ذلك لنا أن الله عز وجل إنما افترض على الخلق الخروج من الكفر ولم يفترض عليهم الخروج من العلم.

ولو كان الأمر على ما ذهبت إليه عقولكم الصدئة لم يجز للحكيم العادل الذي لا يظلم أن يقول: **{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20)}** [الانشقاق]، ويقول: **{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ**

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} [المائدة:74]، وقوله: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(64)}** [النساء].

وليس في القرآن من أوله إلى آخره آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله عز وجل هو الذي منع الناس عن الإيمان، وحال بينهم وبين الطاعة ولا حملهم على الكفر ؛ فإن وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك فالقول قولكم، أو وجدتم آية توجب أن الله عز وجل قال لأحد من خلقه من الأولين والآخرين: ادخلوا النار بما علمت منكم، وادخلوا الجنة بما علمت منكم ؛ لأنه جل وعز إنما يعاقب ويثيب على الأعمال لا على علمه بالأعمال.

وقد أجبناك في العلم في أول كتابنا بما فيه الكفاية إلا أنك تكرر مسائلك فلا نجد بداً من أن نكرر ما قد انقضى فيه الجواب ؛ لئلا تتعلق علينا بحجة أو تقول قد تركوا بعض مسائلي.

وأما قولك: إن الله عز وجل لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله من أن لا تكون القيامة وأن يتخذ الولد وأن يُخلف الوعد، وأن يبدل القول فهذا كله قولكم أنتم وهو لازم لكم وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا القول ؛ هم أعرف بتوحيد الله سبحانه وأقوم بعدله من أن يقال لهم هذا القول وينسب إليهم، بل هذه صفتكم أنتم وصفة إخوانكم الأشقياء المجبرة الجهلاء.

وأما قولك: إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريد، ونحن نقول: على أهل البدع لعنة الله ولعنة اللاعنين وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن وعرف تأويله وتنزيله ومحكمه ومتشابهه وأخذ الحق من معادنه الذين قال الله عز وجل: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)}** [النحل]، وقوله: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** [النساء:83].

ثم نقول: أأنت أعرف بعدل الله أم موسى صلى الله عليه ؟

فإن قلت: إنك أعرف من موسى كفرت.

وإن قلت: إن موسى صلى الله عليه أقوم بعدل الله منك وأعرف بدينه فما تقول في موسى صلى الله عليه لما قتل القبطي: **{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ(15)}** [القصص]، ولم يقل هذا من قضاء الله عز وجل وإرادته، يجب في هذا القول أنك أعلم من موسى صلى الله عليه وأقوم بعدل الله عز وجل.

وكذلك قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه: **{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي}** [سبأ:50]، وقال يعقوب صلى الله عليه: **{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(18)}** [يوسف]، أو لا ترى أن الله عز وجل قد نفى عن الأنبياء صلوات الله عليهم ما ألزمته، وأن ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالقه كما أضفت.

وأما قولك: إنا أخطأنا في صفة قدرة الله وليس القول كما قلت ولكنا نقول: إن الله عز وجل قد صدق في قوله: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}** [الأنعام:112]، وقوله: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}** [السجدة:13]، وما أشبه هذه الآيات في القرآن.

فإن كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته وأنه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر حتى لا يقدرون على فعله بالجبر منه لهم والقهر ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً أي جبراً وقسراً، ولا يرسل إليهم الرسل، ولا ينزل عليهم الكتب، ولكن لم يكن ذلك من حكمته وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك، وأنه لا يفعله حتى يروا أنهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصي من غير غلبة له عز وجل ولا ضعف كان منه عنهم.

فأما قوله: **{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)}** [السجدة]، فإن المجبرة يتعلقون بهذه الآية ثم لا يقرأون ما بعدها وهو قوله عز وجل: **{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(14)}** [السجدة]، فصح أنه بما كسبوا لا بفعل الله عز وجل، ولا بإرادته لمعصيتهم مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة وليست من أحكام الدنيا.

ألا ترى كيف قال عز وجل وعنى أن المخاطبة في الآخرة لا في الدنيا: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)}** [السجدة]، يعني ممن عصى في الدنيا وخالف أمره، ثم قال بعد هذا: {**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**}، فصح أنه في الآخرة تكون هذه المخاطبة، والعدل في الآية قائم بنفسه لا جبر فيه ولا قسر ولا فرج لملحد مجبر، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولك: أنه يلزمنا أنا نقول إن الله عز وجل لو شاء لم يكن رباً وإنه لو شاء لظهر للناس وما قد ذهبت به في هذا الموضع من الخطأ والتخليط فأهل العدل أعلم بالله عز وجل وتوحيده الذي أنت به جاهل فلن يقولوا مثل ما قلت، وإنما يجب عليك لو استعملت الأدب والحكمة أن تخاطبنا بما قلنا، فأما ما ليس هو من قولنا فلم تكرره وتكثر فيه الكلام، ولكن وجدت جهالاً لا يميزون عليك قولك وقلدوك أمر دينهم فأهلكتهم ؛ فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وهيهات شرف الحق وعظم قدره وقدر أهله من أن تخطفه أيدي الباطل أو يفتاتوا على أهله بحجة؛ فأربع على ضلعك، وقس شبرك فترك، واخرج مما قلنا وافهم ما به أجبنا، وادع من استطعت من أهل الجبر، فإنكم لا تقومون بحجة واحدة من هذا الكتاب، ولا تقدرون لها على دفع ولا نقض بحول الله وقوته.

وهذا قول مُدلّ واثق بفلجه لأن دين الله عز وجل لا تقوم له الجبال، وما كان من الله عز وجل فلن يُغلب أبداً، وغيره دين الشيطان، ودين الشيطان إلى البوار والدمار والدبار والخسران فلا يقوم الباطل للحق أبداً.

وسألت عن أم موسى صلى الله عليه، وعن فرعون لعنه الله، وقد أعدتَ هذه المسألة وقد مضى جوابنا لك في هذا الكتاب بما فيه الكفاية، وذكرت الاستطاعة قي قتل موسى صلى الله عليه وقد أجبناك أيضاً في باب الاستطاعة بما فيه الكفاية وأوضح البرهان وما لا يقدر له أحد من المجبرة ولا غيرهم على نقض أبداً.

ونحن نقول لك في الاستطاعة أيضاً: أخبرنا هل افترض الله عز وجل على الناس عندما بعث إليهم محمداً صلوات الله عليه وعلى آله أن يقولوا: لا إله إلا الله، وأن يقروا أن محمداً رسول الله ؟

فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: فأخبرنا هل افترض الله عز وجل عليهم من ذلك ما يقدرون عليه ويمكنهم أم ما لا يقدرون عليه ولا يمكنهم.

فإن قلت: إن الله عز وجل افترض عليهم أمراً لا يقدرون عليه ولا يمكنهم لزمك أنه افترض عليهم ما لم يجعل لهم السبيل إليهم ولا المقدرة وأنه قد أبطل في قوله في كتابه: **{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10)}** [البلد]، أي عرفناه طريق الخير والشر والحق والباطل، **{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(12) فَكُّ رَقَبَةٍ(13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(14) يَتِيمًا}** [البلد]، فأي دلالة إلى السبيل أعظم من هذه الدلالة.

ويكفيك أيضاً قوله عز وجل: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7].

وإن قلت: إن الله عز وجل افترض عليهم أمراً يقدرون على اتباعه وفعله ويمكنهم بطلت دعواك في الاستطاعة أنها مع الفعل ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل، ولولا ذلك لما افترض الله عليهم أمراً لا يقدرون عليه من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة، وهذا ما لا يجوز في عدل ولا حق ولا حكمة ولا عقل، وهذه وحدها تكفي من عقل.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله عز وجل: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(97)}** [آل عمران]، فقل: أخبرونا ما الحج عندكم أليس هو الطواف بالبيت والموقف في عرفات والمشعر وقضاء تلك المناسك بمكة ومنى؟

فإن قالوا: بلى ؛ أخبروني عمن له مائة ألف دينار وألف جمل وأشباه ذلك وهو صحيح ؛ يستطيع الحج وهو بالبصرة أو بخراسان أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس يستطيع الطواف بالبيت ووقوفاً في تلك المواقف وهو مقيم في بلده لا يأتي مكة ولا يقربها ؟ أفليس قد يستطيع الطواف بالبيت وهو مقيم ببلده ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ؟

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: زعمت أنه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع أن يطوف بالبيت ولا يأتي جميع المناسك وهو في بلده، وكذلك لا يجوز في غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر ولا غيرها من البلدان، تريد بذلك زعمت أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل.

وذلك خطأ منك وجهل بالاستطاعة كيف هي.

وقلت: هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة وغيرهم أن يحجوا وهم في بلدانهم ؟

ونحن نقول: إن الله جل ثناؤه لم يفرض الحج على من بالبصرة ولا على من بالكوفة ولا غيرهم أن يحجوا وهم في بلدانهم.

ولكنا نسألك: هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان أن يقوم الرجل منهم فيرمي بالحجارة إلى رأس نخله وإلى رأس جداره ويطوف ببيته أشواطاً ويحلق رأسه ويشرب في بئره التي في داره ويفعل ما أراد من مجيء أو ذهاب أو تكبير أو تهليل أو قول أو عمل أو ذبيحة ؟

فإن قلت: لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التي سميت ؛ أكذبك جميع الناس وخرجت من حد من يكلم وبان جهلك.

وإن قلت: نعم هم يقدرون على ما ذكرتم هم وغيرهم من أهل البلدان.

قلنا لك: فتلك هي الاستطاعة التي هي مركبة في الآدمي بها يعمل جميع المناسك إذا صار إلى مكة.

فإن قلت: إن الاستطاعة منه لا تكون إلا مع فعله ؛ لزمك لنا أنك قد أقررت أن الاستطاعة قد كانت موجودة فيه في بلده وإنما عليه المسير والمسافرة حتى يؤدي المناسك وفروض الحج بالاستطاعة التي أقررت أنها موجودة فيه قبل أن يخرج من بلده، وقد قطعناك في الاستطاعة بما قد شرحناه في صدر كتابنا هذا بما كان فيه الكفاية، غير أنا لا نجد بداً كلما أعدت مسألة أن نعيد الجواب فيها.

وأما قولك لنا: هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً ؟

فجوابنا: أن هذا قول محال لأنه لا يجوز أن يكون القائم قاعداً ولا القاعد قائماً في حالة واحدة، ولكنا نقول: إن العباد يستطيعون أن لا يؤمنوا، ويستطيعون أن لا يكفروا، وإن دخلوا في الإيمان وقبلوه ودانوا به استطاعوا بعد ذلك الخروج منه إن أرادوا لأنك تعلم كيف حكم الإسلام في المرتد، وهذا أكبر دليل على أن المؤمن يقدر أن يرتد.

وكذلك إذا دخل العباد في الشرك واعتقدوه استطاعوا تركه والخروج منه إلى الإيمان، وهذا مشاهد معروف لا ينكره أحد أن المؤمن إذا شاء كفر وأن الكافر إذا شاء آمن.

وليس كذلك قولك إن من علم الله عز وجل منه الكفر لا يستطيع الإيمان، هذا القول الذي قلت لا يجوز لأنه نفس الجبر الذي هو دينك ودين إخوانك، وليس هو دين الله عز وجل.

والشاهد على بطلان دعواك: قول الله عز وجل: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(64)}** [النساء]، وقوله في المنافقين: **{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ(75) فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(77)}** [التوبة].

أفتراك ويحك ما تدبرت هذه الآيات قط ولا أفكرت فيها، و[لا استمعت] إلى برهان عدل الله جل ثناؤه وبراءته من ذنوب الظالمين وكأنك ما رأيت ولا سمعت بكافر أسلم ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره في القرآن ولا قوله عز وجل: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}** [المائدة:54]، فذكر عز وجل أنهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم لا جبراً ولا قسراً.

ومن الحجة في قولكم إن الله عز وجل خلق بعض الناس كافراً وبعضهم مؤمناً، وهذا أعظم الفرية على الله جل ثناؤه وأوضحه رداً لكتابه.

فنقول لك عند ذلك: أخبرنا عن قول الله عز وجل: **{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}** [التوبة:37]، ما يريد بهذا القول ؟ وما هذه الزيادة التي ذكر أنها مزيودة في الكفر ؟ هل تلك الزيادة منه زادها في الكفر ؟ أم هي من الكفار زادوها هم في الكفر ؟

فإن قلت: إن الله عز وجل زادها في الكفر ؟

قلنا لك: فأخبرنا عن خلقه لهذه الزيادة التي زادها في الكفر زعمت بعدما خلق الله الكفر عز الله عما قلت، كيف هي وما صورتها ؟ وأين المقدار الذي بان لك منها في الزيادة في نفس الكفر ؟ وهل هي موجودة أم لا ؟

فإن قلت: إنها موجودة محدودة من قبل زيادتها في الكفر لزمك أن تُعرفنا بها حتى نعرفها كما عرفتها بعينها وحدودها.

وإن قلت: إنها ما زاد الكفار في الشهور وما أحدثوا ؛ لزمك أنها فعل الكفار لا فعل الله عز وجل إذ لم تأت على تلك الزيادة ببينة ولا حجة تعرف ولا جسم يحس وأنهم هم زادوها في كفرهم أي أحدثوا إلى الكفر كفراً وذلك هو الحق.

وإن قلت: إن فعلها الله عز وجل وخلقه ؛ لزمك أن ليس لله جل ثناؤه بين السماوات والأرض إلا فعل يدرك ويحس ويعرف بعينه وحدوده ويبين بنفسه عن فعل بني آدم.

وإن قلت: إنه لا يدرك ولا يحس ولا يعرف ؛ لزمك أنه بصفة الواحد الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11]، ولا تقع عليه الحواس ؛ لأن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه عما أحدثت بنو كنانة بن مدركة في الشهور حتى كانوا يرون الحج عاماً في ذي الحجة وعاماً في المحرم، فقال الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه إن ذلك فعلهم لا فعله، فقال: **{يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ}** [التوبة:37]، فلو كان هذا فعله ما عنَّفهم عليه ولا عجَّب نبيه صلى الله عليه عنهم ولا أضاف ذلك الفعل إليهم، فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب لقوله عز وجل: **{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(112)}** [النساء].

فصح وثبت أن النسيء الزائد في الكفر هو فعلهم الذي زادوه من الكفر في الكفر ؛ لأن الكافر يمكنه الزيادة في ظلمه وفجوره وكفره كما يمكن المؤمن الزيادة في إيمانه لما يكسب من الخيرات والمسارعة في طلب الدرجات، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله عز وجل.

وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذي زادت من النسيء وتشرفت به وفخرت بفعله على غيرها من العرب في الجاهلية.

وأنتم أيها المجبرة تعذرونهم وتُلزمون الله عز وجل فعلهم وهم يفتخرون بذلك ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم، قال شاعرهم:

ألیس النسيُّ سُنَّتنا عليكم ... بدعناهُ ونحن الْمُبدِعونا

جعلنا الحجَّ في وقتين لما ... ملكنا الناس طراً خاضعينا

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسيء إليهم أنهم هم أبدعوه وسنوه للناس وأن الله عز وجل لم يسنه ولم يُبدعه، وأنه جل ثناؤه بريء منه.

وقال الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله في الإسلام يذكر النسيء ما كان من فعل عمير بن يحيى الكناني:

ونحن الناسِئون على مَعَدٍّ   شهورهم الحرامَ إلى الحليلِ

أفلا تراه يذكر أنهم هم الذين فعلوا النسيء، وأن الله عز وجل لم يفعله وأنه تبارك وتعالى قد أوضح في كتابه أنه بريء من ذلك النسيء وأنهم هم الذي أبدعوه، ولذلك حرمه وأبطله وعاب على فاعله وذمه وأمر نبيه صلى الله عليه بالحج المستقيم والحق الذي هو خلاف النسيء.

وأنت تزعم أن الله عز وجل أراد كفر الكفار وخلقه وقضاه وقدره عز وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً.

ألا تسمع إليه كيف يقول عز وجل: **{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ}** [التوبة:37]، أفلا تسمعه عز وجل يخبر بمضادتهم له ومخالفتهم إرادته ؛ أهذا قول من فعل فعلهم أو قول من قدره عليهم؟! سبحان الله العظيم ما أعظم ما قلتم، وأبين جهلكم وفريتكم عليه عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً.

ثم قال جل ثناؤه: **{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)}** [النساء]، فهل رأيت حكيماً قط فعل فعلاً وهو لا يريد ذلك الفعل ؟ كأنك لم تسمعه عز وجل حيث يقول: **{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ(3)}** [محمد].

أفلا ترى أيها الهالك في دينه المفتري على ربه أن الفريقين جميعاً هما اللذان اتبعا ما أراد وما اختارا لأنفسهما، وحكى الله عز وجل ذلك عنهما، ولم يقل في نفسه جل ثناؤه إنه

جعلهما على تينك المنزلتين، ولا قدر عليهما تينك الحالتين إلا الأمر والنهي، قدوس قدوس رب الملائكة والروح.

ونحن نسألك فنقول: أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة دينار فلما صار بها في بعض الطريق سقط منها خمسون ديناراً، فلما أصبح ظفر به وأخذه فقال الرجل له: أين الدنانير ؟ قال: ضاعت مني ولم يبق معي إلا هذه الخمسون الباقية ؛ فجاء به الرجل إلى قاضيكم فاستعدى عليه وطالب بالمائة الدينار كلها، فقال الرجل السارق: إن الله عز وجل هو الذي قضى علي بسرقة هذه الدنانير وهو الذي أذهب نصفها، وهو الذي ترك معي نصفها وليس علي لوم.

فنقول لك: ما قولك فيما يقول قاضيكم في هذا الحكم ؟ هل يُلزم الرجل السارق المائة كلها ؟ أم يقبل منه الخمسين ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟

فإن قلت: يقبل منه ؛ لزمك أن قاضيكم أعدل عندكم حكماً من الله عز وجل الذي ألزم السارق المائة الدينار كلها، ولزمك أن قاضيكم قد حكم بخلاف النبي صلى الله عليه، وبخلاف أحكام قضاة أهل الإسلام مع ما يلزمك في قطع يده وفريتك على ربك وإلزامك له سرقة السارق، وأنه خلق فعله وقضاه وقدره وأراده ثم أمر بقطع يده، وهكذا أخبرنا عز وجل عن عمل الشيطان بالإنسان حيث يقول: **{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(16)}** [الحشر].

فوصفتم الله عز وجل في الجور والظلم لعباده بصفة الشيطان، وما يفعل بحزبه الكافرين، سبحان الله العظيم العلي عن قولكم.

وإن قلت: إن القاضي لا يسمع دعواه ولا ينظر في حجته وإنه يغرمه الخمسين التي ضاعت منه ولم يقبل قوله إن الله عز وجل هو الذي قضى عليه سرقة المائة الدينار.

قلنا لك: فكيف يجوز أن يغرمه وحده المائة الدينار وقد صح له أنه قال إن معه أحداً آخر أعانه على أخذ الدنانير وقدره على سرقتها ولم يَخْلُ فعله من فعل الذي شايعه وقدره عليه

وأرد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله والمقدر عليه والخالق لتلك السرقة والمريد لها ؛ فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها وقد صح له أن معه غيره ؟

والواجب عليه في العدل أن يغرمه نصفها ويغرم الذي صح عنده أنه غير بريء من فعل هذا السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل ؛ فاختر أي ذلك شئت فأيهما ما قلت به سقطت دعواك، وبطلت حجتك، والحمد لله رب العالمين.

وقد قال الله عز وجل ما يشهد للعدل وظهور حجتنا على حجتكم قوله عز وجل: **{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ(33)}**[النور]، فلو كان الله عز وجل هو الذي أراد منهن الفجور وقضاه عليهن وخلقه من فعلهن ما نهاهم عن إكراههن على الفجور، وكيف ينهاهم عن إكراههن على شيء قد أراده وقدره وخلقه سبحان الله العلي العظيم ما أشنع هذا القول وأفسد حجة من ادعاه.

وأما قوله: {**فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}، فقد جاء في التأويل أن ذلك يخرج على وجهين:

أما أحدهما: فأنه عز وجل يقول: **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** يعني لمن كف عن إكراههن وتاب فإنه يغفر له ما قد مضى من إكراههن إذا صحت توبته.

والوجه الآخر: فقوله: **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ**، يعني بهن إذ حملوهن من الإكراه على الفجور على ما لا يُرِدْن، والأول أحب الوجهين إلينا، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم هل كلفكم الله تعالى أن تعلموا أنكم مخلوقون وتعلموا أن الله خلقكم ونهاكم أن تروا أنكم خالقون أو تروا أن الله مخلوق ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فهل تقدرون على أن تروا أن الله مخلوق وأنكم خالقون ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: أفليس تقدرون وتستطيعون أن تروا أنكم خلقتم السماوات والأرضين وما فيهن وتقدرون وتستطيعون أن تروا أن ربكم دابة من الدواب وأنه مخلوق ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقد أعطوك أنهم يقدرون على ذلك، فما تريد بعد ذلك وأي فرية أعظم من هذه الفرية، ومن أن يقول عبد إني أقدر وأستطيع أن أرى أني خلقت كل شيء حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم، وأرى أن خالقي عز وجل دابة أو شجرة وأني خلقته وصنعته.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: جل الله وعز وتقدس عما قلت وإليه م نالفرية أضفت، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ولسنا نقول ما قلت من القول الشنيع.

فاسمع جواب مسألتك هذه، واصغ إليها فإنك قد أهلكت تباعك وأفسدت عليهم دينهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ونحن نقول فيها: إن الخلق كلها يقدرون ويستطيعون أن يقولوا في الله عز وجل من القول القبيح والصفة الفاحشة الشنيعة ما ذكرت لأن ذلك يمكنهم ويستطيعونه كما استطعتموه من إلزامكم له شرك المشركين وكفر الكافرين وخلق زنا الزناة وسرق السارق وغير ذلك من جميع المعاصي؛ فالخلق يقدرون على أن يقولوه قولاً بألسنتهم وأهوائهم إن أحبوا ذلك لم يحل بينه وبينهم حائل لما كان الأمر من الله سبحانه تخييراً لا جبراً، فافهم هذا القول.

وأما أن يقدروا ويستطيعوا أن يروا في أنفسهم بالحقيقة أنهم خلقوا السماوات والأرضين وأنهم خلقوا الأشياء التي ذكرت وأن صانعهم دابة أو شجرة زعمت فهذا ما لا يجوز ولا تقبله العقول لأن عقولهم المركبة فيهم لا تدلهم أبداً على أن يدّعوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ؛ لأنه صحيح في عقولهم وعند أنفسهم بالحقيقة أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوا، فافهم هذا الباب.

ولكنهم يقدرون أن يقولوا إنهم خلقوا السماوات والأرضين قولاً بألسنتهم وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقررة في أنفسهم أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت فليس أحد يرى في نفسه إذا صدقها أنه فعل أمراً لم يفعله.

فأما القول باللسان فهو يمكنهم كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل الفرية والكذب واحتججت على أهل العدل بخلاف ما في كتابه.

وأما خلق الإفك فذلك جائز أن يفعله أهل الإفك ويخلقوه، وخلقهم له هو فعلهم وذلك جائز في لغة العرب أن يسموا صنعهم خلقاً وكل صانع لشيء فهو خالق له، ولذلك لم يجز على الله عز وجل خلق غيره ولا صنع غيره، وقال الكميت بن زيد:

أرادوا أن تُبَدِّلَ خالِقَاتٌ أديمَهُمُ يَقِسْنَ ويفترينا

والخالقات عند العرب النساء الدابغات للأدم وهن الفاريات للأدم أيضاً، وقال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة الغطفاني:

وأراك تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

فهذا الشاهد من لغة العرب.

والذي قلت فأمر لا يجوز أن يرى العباد أنهم خلقوا ما لم يخلقوا لأن هذا أمر يستحيل وإذا استحالت الأشياء في عقول الخلق كما وصفت سقطت عنهم الحجة لما دخل في العقول من الفساد.

فأما أن يقولوا قولاً بالمكابرة والظلم واتباع الهوى وهم يعلمون عند أنفسهم غيره وذلك الصحيح في عقولهم، فهذا ما لا يجوز غيره ؛ فافهم ما قلنا فإن الحق لا يشوبه الباطل.

ومن الحجة لنا عليك في أن العباد يستطيعون ويقدرون أن لا يعلم الله عز وجل منهم الكفر ولا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم: قوله لنبيه صلى الله عليه: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158].

فنقول لك: أخبرنا عن هذه الآية أهي على الحقيقة من قول الله عز وجل أنه أرسل رسوله إلى الناس جميعاً ؟ أم هي آية يجوز تأويلها عندكم أنها إلى بعض الناس دون بعض ؟

فإن قلت: نعم إنه يجوز أن يكون تأويلها أنها إلى بعض الناس دون بعض ؛ أكذبك جميع أهل القبلة من الفرق كلها، وأكذبك الله عز وجل بقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}** [سبأ:28]، والكافة في لغة العرب هي العامة للكل لا خصوص فيها.

ثم نقول لك: أخبرنا هل أراد رسول الله صلى الله عليه من الخلق كلها أن يجيبوا دعوته ويدخلوا في الإسلام حتى لا يتخلف منهم أحد ؟ أم لم يُرِدْ ذلك ؟ وهل أمره الله عز وجل بدعاء الجميع أم لم يأمره إلا بدعاء البعض ؟

فإن قلت: إن الله عز وجل أمره بدعاء البعض دون البعض ؛ كان هذا هو الكفر والرد للقرآن صراحاً.

وإن قلت: عن الله جل ثناؤه قد أمره بدعاء الناس جميعاً إلى الإسلام على ما نجده منصوصاً في القرآن، وأراد ذلك منهم رسول الله صلى الله عليه ؛ لزمك أن الله عز وجل أراد إسلامهم كلهم وبطل قولك، وسقطت حجتك أنه زعمت أراد منهم الكفر لعلمه أنهم لا يؤمنون، ولو كان كما قلت حقاً لم يقل لهم رسول الله صلى الله عليه عن الله جل ثناؤه: **{إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف:158]، ولم يُقِم الرسول صلى الله عليه على كلهم الحجة وقد علم أن منهم من لا يؤمن، وأن الله عز وجل قد علم أن منهم من لا يؤمن ؛ فقد صح أن العلم ليس هو الذي منعهم ولا حال بينهم وبين الطاعة، وفي أقلّ من هذا كفاية لقوم يعقلون، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة عليكم أيها المجبرة في قولكم إن الله تبارك وتعالى خلق الكفر والشرك والزنا واللواط وقتل الأنبياء وأئمة الهدى وقطع الطرق وجميع الفواحش والكذب: أن نقول لكم: أخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى إذا سألوكم فقالوا لكم: نحن نجد في كتابكم وتحتجون علينا أن ربكم قال لنبيكم: **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}** [فاطر:3]، يخبر أنه لا خالق معه يخلق ما خلق وأنه هو الذي خلق وأنه لا خالق معه يخترع الأشياء ويقدر على الأشياء، أليس هذا هو الحق عندكم وفي كتابكم ؟

فلا بد لكم من: نعم.

فإذا قلتم ذلك، قالوا لكم: فأخبرونا الآن عن قوله يضيف إلى عباده: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** [العنكبوت:17]، هل نجد هذا في كتابكم ؟

فإن قلتم: نعم.

قالوا لكم: أفليس هذا القول قد دل على أن ثَمّ خالقاً آخر غيره يخلق الإفك، هذا نجده في قرآنكم الذي تدّعون أنه من عند حكيم عادل حيث يقول: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)}** [النساء]، أهذا زعمتم في قرآنكم ؟

فلا بد لكم أن تجيبوهم بنعم.

فيقول لك السائل عند ذلك: فأي اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف، وأي مناقضة تكون أعظم من هذه المناقضة إذ قال ربكم زعمتم: **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}** [فاطر:3]، ثم قال يعنف قوماً: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}**[العنكبوت:17]، فلا بد لكم قد لزمتكم المناقضة والاختلاف لأن هذا بين واضح في القرآن لا حيلة لكم في دفعه ولا رده.

فإن قلتم لهم: كله خلق الله عز وجل وفعله، هو خلق الإفك وغيره مما خلق الله مثل السماوات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ؛ لزمكم أن قوله: **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}** [فاطر:3]، ينقض قوله: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}**[العنكبوت:17]، ويفلجكم خصماؤكم من اليهود والنصارى والزنادقة وجميع من خالفكم.

لا بد لكم من أن تخلصوا منهم بحجة ؛ فإن جسرتم على أن تقولوا: إن الله خلق الإفك وغيره من جميع الظلم لزمكم في ذلك خصلتان فاضحتان:

أما واحدة: فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقض.

والخصلة الأخرى: فيلزمكم أنكم جعلتم خالقكم في عداد الكذابين الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ممن لم يفعله، فلا يزال الكلام يكرر عليكم أبداً ويدخل عليكم في التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل الفساد والوهن والخلل الذي لا بعده من العبث أبداً ؛ حتى ترجعوا عن قولكم، وإلا بان كفركم.

فتقروا أن الذين خلقوا الإفك هم العباد الذين لا طاقة لهم بخلق شيء من جميع الأشياء إلا الإفك والمعاصي وما أتوه من العدوان الذي اختاروه وأنهم لا يقدرون على خلق شيء غير المعاصي التي هي فعلهم، ولو أرادوا خلق خردلة ما قدروا عليها لأن ذلك ليس في قوتهم وخلق الإفك وجميع المعاصي في قوتهم وهم في ذلك مخيرون تخييراً ؛ فأما أن يقدروا على خلق شيء غير ذلك فيخرجوه من العدم إلى الوجود فلا سبيل لهم إليه.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(74)}**[الحج].

وإن الله جل ثناؤه هو الخالق القوي القادر الذي يخترع الأشياء فيحدثها ويخرجها من العدم إلى الوجود، فذلك الاختراع والابتداع لما لم يكن شيئاً موجوداً وهو الخلق الذي خلقه الله عز وجل لا خالق له معه ولا مشارك له فيه ولا صانع له معه.

وأما اكتساب بني آدم فذلك خلقهم الذي هو حركاتهم المتولدة من قواهم وقواهم هي الاستطاعة المركبة فيهم التي لا يسألون عنها ولا يعاقبون عليها ولا عيب عليهم فيها لأن ذلك فعله جل ثناؤه الذي قال فيه: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)}** [الأنبياء].

وإنما عاب عليهم وعاقبهم ولزمتهم له الحجة في الحركات التي اكتسبوا بها المعاصي واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى والأثرة لعاجل الدنيا .

وليس نجد نحن ولا أنتم هاهنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به خلقه العباد إلا حركاتهم وليست تلك الحركات خلقاً لله جل ثناؤه ولا فعلاً ولو كانت الحركات خلقه وفعله لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه والمدعي لنفسه الأولاد والصواحب والأنداد والشركاء والأضداد.

ولو كان كما قلتم لكان القاتل لرسله، والسافك لدمائهم، والواضع السيوف في رؤوسهم والقاتل للأئمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر وجور في الأرض مما كرهه ونهى عنه وعابه وعنف فاعليه وأعد عليه النيران والعذاب الأليم

الذي لا انقطاع له وجعل فيه من الأحكام في الدنيا من القتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل وسائر الحدود ما عظم فيه النكال وجل عن كل مقال، **{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)}** [المؤمنون]، العدل الرؤوف الرحيم البريء مما قلتم والمتعالي عما إليه أسندتم.

أفيكون بهذا ويحك يا عبدالله بن يزيد البغداذي من النكال في الدنيا والآخرة صفة من فعل شيئاً بقوم وأراده منهم وخلقه من فعلهم وسمى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً وأنه لا يظلم ولا يجور ؟ فهذه صفة خالقك عندك وهذا تقديره وحكمته ؟! جل الله وتعالى وتقدس عما قلتم علواً كبيراً.

فإن قلتم: إنه قال عز وجل في كتابه: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الرعد:16]، فلذلك ألزمناه خلق كل شيء ؟

قلنا لك أيها الهالك المغرور في دينه الذي لم يلق العلماء ولم يغترف من عين الماء: إن القرآن عربي مبين عظيم القدر واضح المنازل زاهر السراج، وليس هو بعجمي ولا غبي ولا خافي المعاني عن العلماء وأهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من أهل بيت النبوة عَلَيْهم السَّلام.

ألا ترى أن العرب تقول: دخلنا السوق فوجدنا فيه كل شيء، وهم لم يجدوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أعظم الأشياء وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من آبائهم وإخوانهم، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ولا نجوم السماء وهذه أشياء لم يجدوها فجاز ذلك في اللغة.

وتقول العرب: دعانا فلان إلى منزله فأطعمنا من كل شيء ؛ وهو لم يطعمهم لحم خنزير ولا لحم الأسود ولا لحم الإنسان ولا لحم الحيات ؛ فجاز ذلك في اللغة أنه قد أطعمهم من كل شيء، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها، وإنما تقول العرب من الخصوص في الكلام ما تجعله عاماً.

وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة، وشاهد ذلك قول الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4].

والدليل على صدق قولنا: كتاب الله عز وجل حيث قال في ملكة سبأ: **{وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23)}** [النمل]، فنقول لكم: هل أوتيت شمساً وقمراً ونجوماً وسماءً وأرضاً وجنةً وناراً ؟ وهل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ولحية كلحية الرجل ؟ وهل أوتيت ولداً من غير فحل؟ فكل هذه الأشياء لم تؤتها بإجماع الخلق كلهم، وقد قال الله عز وجل فيها: {**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23)**}، وهذه أشياء كثيرة لم تؤتها، وكفى بهذا بياناً وحجة قاطعة لدعواكم.

وكذلك قوله عز وجل: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الرعد:16]، إنما عنى به مما خلق خاصة لم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا الإفك ولا سائر المعاصي التي خلقها العباد وهو البريء من ذلك عز وجل.

والدليل لنا على ذلك أيضاً: قوله عز وجل: **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ(30)}** [آل عمران]، فأخبر أن له نفساً عز وجل ثم قال بعد هذا: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}** [آل عمران:185]، فأجمل هاهنا أن كل نفس ذائقة الموت ولم يستثن نفساً بعينها ؛ فلو وجب ما قلتم في خلق الأشياء لوجب في النفس هاهنا مثلما ادعيتم جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً.

وقوله عز وجل: **{رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}** [الأحقاف]، ثم قال: **{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}** [الأحقاف:25]، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الأشياء لا كلها بعدما قال: {**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ**}، يعني عز وجل مما أرسلت عليه خاصة لا عامة، ألا ترى أنها لم تدمر مساكنهم وأنها لم تدمر السماء ولا الأرض ولا الجبال ولا النبي هوداً صلوات الله عليه ولا من كان معه من المؤمنين، وأن الآية خاصة دون عامة.

وإن الآية توجب عليهم في قول الله عز وجل: {**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**} أنه يعني عز وجل مما خلق هو وصنع وابتدع لا ظلم الظالمين ولا جور الجائرين، فجعل ذلك خصوصاً في خلقه المنفرد به لا عموماً لما خلق غيره وعذب عليه فاعله، فهذا أكبر دليل وأوضح حجة وأقطع لكل مفتر.

وقوله عز وجل: **{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(21)}** [فصلت]، فقالوا: أنطق كل شيء، أراد الله عز وجل بهذا خاصاً دون عام لأنه لم ينطق الجبال ولا الأشجار ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق، وإنما هذا خصوص دون عموم مثل قوله عز وجل: {**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**}.

فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك من حركات بني آدم واعتقاد قلوبهم لا شيء غير ذلك، ولا يحده أبداً إلا أنت وإخوانك المجبرة لأنك سميت كفراً مخلوقاً لا حجة لك عليه ولا برهان ولا حجة من كتاب الله جل ثناؤه إذ لا يدرك ببصر ولا يحد بلمس ولا يحاط له بقطر حتى يُعرف ويميز خلق الله عز وجل من خلق بني آدم.

فقد جاءك في هذا من البيان والحجة من كتاب الله عز وجل ما في أقل قليل منه أكفى الكفاية، وجاءك في لغة العرب ما فيه البيان، قال الشاعر يمدح رجلاً:

فلو كان للشُّكْرِ حَدٌّ يُحَدُّ　　　إذا ما تأمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَصَوَّرْتُهُ لك حتَّى تراهُ　　　فتعلمَ أني امرؤٌ شَاكِرُ

فقد علمت العرب أن ليس للشكر حد يدرك ولا صورة تنال حتى يعرف الشكر بتلك الصورة فلا حد له يوقف عليه غير حركات بني آدم من شكر اللسان والمكافأة بالفعل الذي هو حركة أيضاً ولا يعرف للشكر معنى آخر غير ذلك إلا اعتقاد القلب، وكذلك الكفر مثله سواء وجميع الأفعال.

ولو كان الشكر الذي عنى الشاعر أنه يريد أن يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله عز وجل هو مخلوق لكان الله عز وجل هو الشاكر للملوك المشركين والكافرين والمعاندين له بعد قوله: **{فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ(98)}**[البقرة]، والعدو لا يشكر عدوه في سبب من جميع الأسباب، ولا يشكره على لسان غيره ولا يصح هذا في المعقول أبداً وكفى بهذا حجة إلا أن تقول أنت يا عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانك المجبرة أن جميع ما سمينا من الشرك والكفر والفواحش والقتل والزنا والخنى واللواط والكذب والإفك وجميع الجور والظلم هو شيء مخلوق موجود إلا أنه لا تراه العيون ولا تدركه الحواس ولا تناله الجوارح ولا تلمسه الأيدي ولا تحيط به الأقطار.

فنقول لك عند ذلك: فإنه يلزمك في هذا القول فسادان عظيمان وكفران اثنان في كليهما بطلان دعواك، وبيان كذبك، ونقض فريتك وفضيحتك:

أما أحدهما: فيلزمك أنك قد أثبت شيئاً لا تدركه الأبصار ولا تلمسه الأيدي ولا تقع عليه الخواطر ولا الأماكن ولا يُدرى ما كنهه فيبطل عليك قولك بالتوحيد لأنك قد ادعيت موجوداً ثانياً فيه صفة معبودك الذي وحّدته فزعمت أن هذا الآخر نظير له وندّ لا تدركه الحواس ولا تناله الخواطر ولا تحويه الأماكن فتفسد عليك دعواك في التوحيد وتكفر بهذا القول الذي وصفت به أفعال العباد، ويلزمك أنك قد وحدت شيئاً آخر غير الذي **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**[الشورى:11]، وكفى بهذا جهلاً وعمى وفضيحةً على من زعم أنه يقول بالتوحيد.

وقد أعلمناك أنه لا قوام لقائل بتوحيد الله عز وجل ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل لأنه من زعم أن الله عز وجل فعل شيئاً مما كره أو خلق شيئاً مما عنه نهى أو دخل فيما عاب أو عاقب على فعل نفسه أو غضب من إرادته أو عنف أحداً على خلقه كان هذا غاية التشبيه وأنه لم يفترق بينه وبين خلقه.

ومن شبّهه بالجائرين والجاهلين والعابثين والجورة المتعنتين والمفسدين لم ينفعه ما ادعى من التوحيد ولم يستحق اسم موحد لما قد قرفه به عز وجل من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين

والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم في إغوائه للخلق وإرادة المعاصي منهم وحملهم على ما يهلكهم ويورثهم الخلود في النار أبد الأبيد سبحان الله العظيم رب العرش الكريم العادل الرحيم عما قلتم وبه دنتم وفيه ناظرتم وبه إلينا كتبتم وعنه سألتم وفيه لعنتم.

فهذا جوابنا لكم في نقض جميع ما قصدتم به من الفرية على رب العالمين فصرتم له خصماء، ولحزبه أعداء، وعن طاعته عنداء، ولمن خالفه أولياء، فالحمد لله الذي حجب الحق بشواهد العدل، وأوضح القرآن وشافي البيان عن كيد الكائدين ومعاندة المعاندين وإلحاد الملحدين.

وأما ما ذكرت من يوسف النبي صلى الله عليه ؛ فإن يوسف لم يعص الله عز وجل ولم يهم له بمعصية على ما ذهبتم إليه، ولو كان هم له بمعصية لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ما لا يزال يقرأ أبداً حتى تزول الدنيا وتزلف الآخرة عن قوله عز وجل: **{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(24)}** [يوسف]، وليس يكون المخلص من هم بفعل فاحشة والصرف من الله تبارك وتعالى له أنه برَّأه من الظلم وحمده على ما اختار ولم يجبره على ترك المرأة جبراً ؛ فلا يجب له حمد ولا أجر.

وليس الله جل ثناؤه يفعل فعل العباد من الطاعة ولا من المعصية ولا يجوز ذلك ولا يكون أبداً، ولا كان فيما مضى لما في ذلك من فساد الحكمة ووجوب القهر والحتم.

وقد احتججنا عليك في ذلك بما جزء منه يكفي من عقل وأنصف، و**{خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ(104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ(105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ(108)}** [هود].

فسعد من سعد باكتسابه، وشقي من شقي باكتسابه لا حتماً ولا جبراً، وقد قالت الحكماء استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله عز وجل إلا من جهة الخبر جهل ونأي عن الصواب وكذلك استعمال الخبر فيما لا يدرك علمه من دين الله إلا من جهة النظر جهل وتناءٍ عن الصواب.

فليتق الله من نظر في كتابنا هذا ولْيُعمل الفكر فيه، فإن الإقدام على النار الخطر العظيم، وما بعد الحق إلا الضلال **{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ(19)}** [الجاثية].

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عمن ذكر الله عز وجل في الكتاب أنهم لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون أحق ذلك من الله ؟

فإن قالوا: نعم ؛ فقل: فكيف وأنتم تزعمون أنهم يعلمون ما يعلم الأنبياء والله يصفهم بغير ذلك.

وأنهم إن قالوا: إنهم لا يدركونه إلا بالعقل حتى يفكروا ؛ فقل: أفليس توسعون لهم حتى يفكروا وإلى أي وقت يفكرون وكم هو أساعة أم ساعتين ؟ فإنهم لن يفيدوا لك هذا أيضاً لأنهم إن وسّعوا لهم ساعة وسعوا لهم ساعتين وإن وسعوا لهم يوماً وسعوا لهم يومين، وليس لهذا وقت عندهم وسيفرون من هذا الكلام.

واعلم أنك لن تسألهم عن شيء أشد عليهم من هذا وأشباهه لأنهم يقولون لا يكلف الله الناس إلا ما يستطيعون.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين: إن الله تبارك وتعالى أعطى خلقه الاستطاعة التي ركبها فيهم من الحواس الخمس والعقول التي بها يعرفون الخير من الشر والحق من الباطل والصواب من الخطأ، ثم أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وافترض عليهم الطاعة وندبهم إلى الجنة وحذرهم النار وأوجب لهم النجاة تخييراً لا قسراً ولا جبراً، وكذلك حكمه في الأولين والآخرين أنه أمر تخييراً ونهى تحذيراً، فلم يطع كرهاً ولم يعص مغلوباً، ولم يقسر القلوب على طاعته قسراً، ولم يحملها على طاعته جبراً.

الواجب عليهم أن يُنصتوا للرسل وما جاءت به فينظروا بعقولهم في قولهم فيأخذوا الحسن ويتركوا القبيح، وذلك قوله عز وجل: **{فَبَشِّرْ عِبَادِ(17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ(18)}** [الزمر].

فلم يجز في حكمة الحكيم أن يحمد أحداً من الخلق على فعله وخلقه هو، وإنما حمدهم وأثنى عليهم بفعلهم ووجبت لهم الهداية منه أن سماهم مهتدين أي حكم لهم بالهدى وسماهم به لا أنه جبرهم عليه جبراً ؛ فأي أجر لمجبور وأي حمد لمكرَه ؟!

كما قال سبحانه: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}** [السجدة:24]،

وقال: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}** [القصص:41]، كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهر وجبر، ولو كان كذلك لم يكن للأئمة الذين يهدون بأمره ثواب ولا حمد لأنه أكرههم ولا يكون على الأئمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولا ذم لأنه أكرههم أيضاً وجعلهم دعاة إلى النار، وقد قال الله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(44)}** [يونس].

وأما قولك في التفكر فلعمري لقد قال الله عز وجل: **{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}** [الروم:8]، والهداية من الله عز وجل لا تكون ولا تجب لكافر مُعْرِض عنه يعبد غيره ويأكل رزقه ويجعل له الصواحب والأولاد والشركاء والأضداد فيجبره على الطاعة ويُميل قلبه إلى الهدى من قبل أن يكون هو الراغب في الهدى والمقبل إلى الطاعة لأن مثل ذلك مثل رجل وقع في بئر فأشرف عليه الناس فقالوا له: اخرج، فقال لهم: لست أخرج حتى تدلوا إلي حبلاً أخرج به وإلا فلست أخرج أبداً. وكذلك الكافر عندكم وفي قولكم لا يخرج من الكفر أبداً حتى يجبره الله على الهدى ويمده بالقسر والإكراه لقلبه وهو في غاية الكفر وغاية الضلالة والإعراض عن خالقه وهو غير مستوجب من الله عز وجل للرشد ولا مستحق للهدى ولا المعونة ولا الرحمة، وقد قال الله عز وجل: **{إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(56)}** [الأعراف]، ولم يقل: إنها قريب من المشركين، وقال: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ**

يَتَّقُونَ} [الأعراف:156]، ولم يقل فسأكتبها للذين يشركون، وقال: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(41)}** [النازعات].

فإن قلتم أيها المجبرة: إن الكافر لا يقدر أن يخرج من الكفر حتى يكون الله جل ثناؤه هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ويجعل في قلبه الهدى جبراً وإكراهاً لزم في المعقول أنه لا حمد لمكرَه مجبور ولا لوم على عاص مدحور، ولم يكن لإرسال الرسل معنى ولا لإنزال الكتب بأمر ونهي وتحذير وتخويف وترغيب وحضّ وزجر فلا معنى لذلك ولكان من حجج الأمم على رسلها أن تقول لها وهي حجة قاطعة تفلج بها الرسل: أيها الرسل إن أمرنا ليس في أيدينا منه شيء قليل ولا كثير، ولا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية، ولا نملك لأنفسنا هدى ولا غياً فاذهبوا إلى ربكم فاسألوه أن يخلي سبيلنا ويجعل لنا طريقاً حتى نسلم ونتبعكم.

فإن ليس لقوله: **{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20)}** [الانشقاق]، معنى وقد علم أنه قد حال بيننا وبين الإيمان، وكذلك فلا معنى لقوله: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}** [المائدة:74]، وكذلك لا معنى لقوله: **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ}** [آل عمران:133]، وكذلك لا معنى لقوله: **{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(131)}** [آل عمران]، وكذلك لا معنى لقوله: **{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)}** [طه]، وكذلك لا معنى لقوله: **{إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ}** [يس:14]، فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل.

ثم قالوا لهم: فلا نجد لإرسالكم معنىً وقد حال ربنا بيننا وبين الطريق ولم يوجد لنا فُسحة إلى السبيل، ولم يُرِد منا أن نؤمن لأنا إن آمنا كما قال كبيرنا عبدالله بن يزيد البغدادي كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه، وقد ذكر أنه قد أرسلك إلينا يا محمد كافة كلنا بعدما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً على ما قال شيخنا عبدالله بن يزيد البغدادي وإخوانه

المجبرة ؛ فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان وتسفكون دماءنا وتغنمون أموالنا وذرارينا وليس نقدر على الإيمان بحيلة لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ولو آمنا لبطل علمه.

ونحن بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم وهو الذي قضى علينا قتلكم وخلق فعلنا بكم وقدّره علينا وأراده منا، ثم أنزل في كتابه يعيرنا ويعنفنا ويعيب علينا قتلنا لرسله ويقوله في كتابه: **{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**[البقرة:61]، بعدما قال: **{يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57)}** [الأنعام]، فلم عاب علينا قضاء ما خلق وكل شيء في الأرض زعمت المجبرة بقضائه وقدره وفعلٌ مخلوق لفاعله لا حيلة له في تركه ولا نقدر على الخروج منه فكيف تطلبون منا يا معشر الرسل [ترك] ما لا نقدر على تركه ولا نقدر على الخروج منه.

ونحن معشر العرب يقول الشاعر منا الشعر فلا نقبل منه بيتاً معيباً ولا معنى فاسداً ولا كلاماً مستحيلاً حتى نستقصي فيه ونبعد عنه التناقض ونسقط شاعره إذا أخطأ ونقدم عليه غيره من الشعراء.

فكيف نقبل منكم يا معشر الرسل كتاباً سماوياً زعمتم نجده نحن متناقضاً يُفسد بعضه بعضاً ؛ فأنصفونا ففي النصفة تجب الحجة ويغلب الحق ويصح لنا صدقكم وتلزمنا طاعتكم وقد ذكر ربكم أيها الرسل في كتابه أن قضاءه حق وأنه يقضي الحق ثم قال بعد ذلك: **{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ}** [آل عمران:21].

فما هذا التخليط يا معشر الرسل أصحّوا لنا رسالتكم القوية وحكمة ربكم العادل الحكم الذي زعمتم ؛ فذا صح عدل ربكم وحكمته عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب بيننا وبينكم وقام الحق وسقطت الدعاوى الباطلة من قولنا وقولكم يا معشر الرسل.

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: فما ترى قول عبدالله بن يزيد البغداذي وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج وما ردهم عليه وما ظنُّهم ترد الرسل على الأمم وما حجتهم عليهم فيما قالوا ؟

أتراه يقول: إن الأمم قد صدقت في دعواها على الرسل ؟

فإن قال: نعم، إن الأمم قد صدقت فيما ادعت على الرسل واحتجت بالصواب ؛ كفر بالله العظيم وصح كفره وخروجه من فئة الإسلام.

وإن قال: إن الأمم قد كذبت ولم تحتج على الرسل بحق وإنها مبطلة في دعواها على الرسل ؛ رجع عن قوله وصح كذبه وبان للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجته وبانت فضيحته، وأنه يلزم المجبرة أن الذي ادعت باطل لصحة القرآن وأنه لا يتناقض وبطل دعواهم وأنه قد أكذب أهل مقالتهم وشهد عليهم بالكذب.

وإنما جاء غلط عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانه المجبرة وإعجابهم برأيهم من قلة علمهم بمعاني القرآن وجهلهم بالتأويل وتعلُّقهم بالمتشابه الذي يصحه التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق وبصرف اللغة العربية، وأنه لم يعرف الحقائق في الكلام من المجازات ولم يأخذ الحق من معدنه وإنما دان بالتقليد وكذلك دان من لحقه بتقليدهم له؛ فلا يبعد الله إلا من ظلم.

ونحن نسأله الآن ما مخرج قول الله عز وجل حيث يقول: **{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}** [البقرة:15]، وقوله: **{سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}** [التوبة:79]، وقوله: **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}** [النساء:142]؛ أهذا على حقيقة أم على مجازٍ كلامٌ عربي يحتمل التأويل ؟

فإن قال: إنه على حقيقة لا مجاز فيها ولا يحتمل التأويل ؛ لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزئ السفهاء، ويسخر كما يسخر السفهاء، ويخدع كما يخدع الضعفاء.

وإن قال: إن هذا القول على مجاز الكلام.

قلنا له: هذا هو الحق وله تأويل جهلته وقد رجعت عن قولك، وكذلك جهلت قوله الذي احتججت علينا به في قولك لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون، و**{ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}** [النجم:30]، له تأويل كما لهذا تأويل غلطت فيه ؛ لأنهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولا يبصرون لسقطت عنهم الحجة كما سقطت عن الأطفال والمجانين؛ إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب لا تدبر الكتاب ولا تتفكر في الصواب.

ثم نسألك أيضاً عن اعتقادك في التوحيد ؛ لأنك تقول زعمت أنك موحد، ومحال ما أنتم كذلك، فنقول لك: ما قولك في قول الله عز وجل: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ}** [البقرة:210]، وقوله:**{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى(5)}** [طه]، وقوله: **{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ}** [غافر:15]، وقوله: **{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}** [القمر:14]، وقوله: **{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)}** [طه]، وقوله: **{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}** [القلم:42]، وقوله: **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)}** [الفرقان]، وقوله: **{كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)}** [النور].

هل هذا القول كله الذي تراه يُلزم التشبيه على الحقيقة لا تأويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام: قولٌ عربي يجب تأويله وإلا لزم التشبيه ؟

فإن قلت: إنه على الحقيقة لا تأويل له ؛ لزمك التشبيه لخالقك وخرجت مما ادعيت من التوحيد الذي قلبت به وفلجك المشبه.

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام له تأويل في اللغة العربية إذ لا يسعك غير ذلك وإلا شبهت وكفرت.

قلنا لك: فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات اللاتي تعلقت بهن تأويلاً في العدل على الحقيقة والخروج من الجبر، وأنها مجاز كلام لم تعقله ولا إخوانك المجبرة ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله جل ثناؤه بالعدل.

فإن أنكرت التأويل حمية وتعزُّزاً أنكرت عليك المشبهة تأويلك في التوحيد ولزمك مثلما تدعي، ولا مخرج لك من هذا الباب بحيلة محتال، فكيفما قلت فجدّك الأسفل، وحجتك الفاسدة، والحمد لله رب العالمين.

وأما قولك في تكليف العباد فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ممن صح عقله وبدنه، وقد قسم الله عز وجل عليهم بفضله النعم التي تفضل بها عليهم، فعلى قدر صحة

العقول والجوارح والحواس يلزم التكليف، ومن زال عنه شيء من ذلك كان التكليف على قدره، ومن زال عقله سقط التكليف كله.

والعجب كل العجب منك لِمَ سميته تكليفاً، وإنما أصل قولك أنهم جُبِروا جبراً وخُلقت أفعالهم والمجبور والمخلوق فعله ليس هو مثل المكلف الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وقد أعدت التفضيل لبعضهم على بعض وأكثرت إعادة الكلام فيه الذي لا وجه له، وقد تحرينا فيه المعنى الواحد عن تكريرك للمعاني التي تقتضي وجهاً واحداً.

وإنما مثلك في كتابك الذي وضعته على أهل العدل وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ومنّيتهم الأباطيل وأعلمتهم أن أهل العدل لا يقدرون لكم على دفع ولا كسر حجة وفي كل مسألة تقول إن أهل العدل يفرون عن كلامكم هذا وأنتم تقطعونهم من هذا الموضع وهذا من أشد ما تسألونهم عنه، فكان مثلك في ذلك مثل زقّ منفوخ لا شيء فيه إلا الرياح، ثم عمد إليه رجل بإبرة فخرقه بها فانفشّ جميع ما فيه.

والحق فأجل وأشرف من أن يخفى على العقلاء وأهل التمييز والنظر، وقد رددنا عليك من الحق ما فيه الشفاء لكل مسلم.

ثم نقول لك: ما تقول في قول الله عز وجل: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا(1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا(4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5)}** [الكهف]، فنقول لك يا عبدالله بن يزيد البغداذي: هل هذه الكلمة خلقُ الله عز وجل وصنعه وإرادته أم لا ؟

فإن قلت: إنها خلقٌ لله عز وجل وصنع وإرادة ؛ لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته، وهذا خروج من الحكمة ويجب أنه عذب على ذلك بعدما قال: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى(40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى(41)}** [النجم].

ثم نقول لك: وأخبرنا لم قال: {**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**} مستعظماً لها ومستقبحاً ومستشنعاً وهو الذي خلقها وأرادها وصنعها، أهكذا يكون الحكيم الذي لا يظلم ؟

وإن قلت: لا أقول ذلك ؛ رجعتَ عن قولك وصرت إلى قولنا.

ثم نقول لك: ما الفرق بين قوله في عيسى عَلَيْه السَّلام إنه كلمته ألقاها إلى مريم ؛ فنقول لك: ما الفرق بين هذه الكلمة المعني بها عيسى عَلَيْه السَّلام وبين الكلمة الكبيرة عند الله عز وجل التي خرجت من أفواه الكفار الذين قالوا: اتخذ الله ولداً ؟

فإن ادعيت فرقاً بينهما غير أن الله في زعمك هو الذي خلقهما جميعاً وصنعهما وقدرهما وأرادهما لم تقدر على ذلك بحيلة محتال، ولا بوجه من الوجوه لما زعمت أن الله عز وجل هو الذي خلق الكلمتين وأراد المعنيين ؛ فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين أن القوم الكفار الذين قالوا اتخذ الله ولداً إنما غضب الله عليهم وعاب فعلهم وحكى لنبيه صلى الله عليه عظيم كفرهم وأوجب عليهم في العذاب الأليم المقيم وأنه لم يكن في خلقه لعيسى وجعله إياه كلمة غضب منها على أحد ولا عيب ولا استعظام ولا عذاب مقيم.

فكلاهما زعمت كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله عز وجل وصنعهما على زعمك فعذب عباده على واحدة وغضب منها، ولم يغضب من الأخرى ولم يعضب عليها وهما سواء في الخلقة والصنعة والإرادة ؛ فأين العدل والحكمة في هذا الباب ؟ بينه لنا وميزه إن كنت من الصادقين أو أرنا الفرق بينهما إن كنت من المهتدين، ولا تجد فرقاً بين ذلك أبداً، وهذه قاطعة لحجتك، ومدحضة لقولك.

إلا أن ترجع فتزعم أن الكلمة التي غضب الله منها وعذب عليها أنها إرادة الكفار وقولهم باختيارهم وصنعهم لا صنع الله جل ثناؤه، وأن عيسى كلمته وخلقه لا تباعة على أحد في ذلك وهذا هو الحق، وهو دين الله الذي لا مخرج لمسلم منه، ومن قال بغيره كفر ووجب عليه العذاب، والحمد لله رب العالمين.

ثم نقول لك أيضاً: أخبرنا عن قول الله عز وجل للكفار: **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)}** [المدثر]، فنقول لك: أرأيت إن ردوا عليه فقالوا: ذلك لما خلقت من أفعالنا وأردته من كفرنا وقدرته وقضيته علينا ؛ هل يكذبون في هذا الجواب أم يصدقون ؟

فإن قلت: إنهم يكذبون ؛ رجعت عن قولك وصرت إلى قولنا بالعدل.

وإن قلت: إنهم قد صدقوا في هذه الدعوى في قولهم إن الله عز وجل خلق أفعالهم وقدرها عليهم وقضاها وأرادها.

قلنا قلك: فقد أكذبك الله جل ثناؤه ووجدنا القرآن يشهد بخلاف ما قلت من إقرارهم على أنفسهم وإبرائهم لخالقهم، وإضافتهم الظلم والمعاصي إليهم لا إليه عز وجل حيث قالوا: **{لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(48)}** [المدثر]، ثم قال: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)}** [المدثر]، فعجَّب نبيه صلى الله عليه كما تسمع **{مَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)}**، لعلمه أنه لا حائل بينهم وبين التذكرة.

فما تقول لو ردوا عليه في هذا الموضع حين قال لهم {**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)**}؟ فقالوا: أنت بنا، لولاك لعرفنا رشدنا ؛ هل يصدقون في الحجة أم يكذبون ؟

فإن قلت: إنهم صدقوا لزمك أن حجتهم أقوى من حجة الله عز وجل.

وإن قلت: كذبوا رجعت عن قولك.

ثم نقول لك: أخبرنا ما تقول في رجل من المسلمين خرج غازياً للروم في بلدها فحاربهم وقتاً ثم إنه وقع في أيديهم وأخذوه أسيراً فوضعوه في الحبس والحديد، فلما دخل شهر رمضان عرضوا عليه الدخول في النصرانية والقول بأن المسيح ابن الله فكره ذلك وامتنع عليهم منه، فلما امتنع ربطوه بالحبال وغلّوا يده إلى عنقه ثم أخذوا له المغرّ الذي يُغرّ به ا لصبيان وهو المسعط في لغة العرب وأوجروه به الخمر كرهاً وهو مضجع لا حيلة له في نفسه ولا دافع

عنه، ثم جعلوا يسقونه إياه وكذلك ودك الخنزير فلم يزل على ذلك سنة على تلك الحال حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد أطلقوه.

فنقول لك ولمن قال بقولك: أليس قد علم الله عز وجل أنه قد فعلوا به ذلك الفعل وأكرهوه على شرب الخمر وودك الخنزير حين أوجروه إياه كرهاً وهو لا حيلة له في نفسه ؟

فإذا قلت: نعم، قد علم الله ذلك منه ومنهم.

قلنا لك: فهل على هذا الرجل لله عز وجل في ذلك الذي أكره عليه حجة أو تباعة أو هل يجب عليه عذاب أم لا ؟

فإن قلت: نعم عليه حجة وذنب وعذاب وتباعة ؛ كذّبك جميع المسلمين، وخرجت من العدل والمعقول.

وإن قلت: لا حجة عليه ولا ذنب.

قلنا لك: صدقت ؛ لأن الحجة عليه فيما علم أنه يقدر عليه.

ثم نقول لك أيضاً: أرأيت هذا الرجل بعينه إن شرب الخمر ساعة واحدة أو جرعة واحدة بطيب من نفساه واتباع هواه ؛ أليس قد علم الله عز وجل ذلك من فعله ؟

فإن قلت: لم يعلم ؛ كفرت.

وإن قلت: إنه قد علمه.

قلنا لك: فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت: إنه لا يعاقبه ؛ أبطلت وعيد الله عز وجل وخالفت المسلمين، وخرجت من الكتاب.

وإن قلت: إنه يعاقبه بشربه للخمر واتباع شهوته في تلك الجرعة.

قلنا لك: فكيف لم يعاقبه في شرب سنة كلها على ما شرب من الخمر وصار في بطنه من ودك الخنزير ؟ ويعاقبه على شرب جرعة في ساعة واحدة من نهاره عمداً ؟

فإن قلت: من قِبَل أن الروم أكرهوه على ذلك فلم تلزمه عقوبة، وهو اختار الشرب لنفسه في هذه الساعة والحدة ؛ فلزمته العقوبة.

قلنا لك: فقد لزمك الآن أن ليس لعلم الله عز وجل يثيب العباد ولا لعلمه يعاقبهم، وإنما يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بأنفسهم، وذلك قوله عز وجل: **{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}** [الإسراء:7]، وبطل قولك أنت وأصحابك في اعتلالكم علينا بعلم الله جل ثناؤه أن من قبل علمه كان الفساد عليهم في أديانهم، وأن بالعلم ضلّوا زعمت وهلكوا، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً.

والواجب على من سمع كتابنا هذا أن ينعم النظر فيه وليذكر وقوفه بين يدي الله عز وجل فأي القولين كانت الحجة فيه أغلب وأوكد وأقوى في كتاب الله عز وجل فليتبع الحقّ من ذلك، فليس بعد الحق إلا الضلال، والحمد لله رب العالمين.

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداذي: ثم سلهم عن قول الله سبحانه: **{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(101)}** [الكهف]، و**{مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ(20)}** [هود]، وأشباه هذا في كتاب الله عز وجل.

وليس لهم في وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة، فألزم كل مسألة على وجهها ومعناها وحدها فإنهم لن يفيدوا لك وجهاً خالفوا فيه العدل، وستردهم إلى قولك أو تنكسر عليهم وجوههم التي وضعوها لأنها جاءت من غير الله عز وجل.

الجواب:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله [عليه] وعلى آبائه الطاهرين: وسألت عن قول الله عز وجل: **{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(101)}** [الكهف]، لجهلك باللغة وعجزك عن العلم بتصريفها في اللسان العربي عند العرب الذين خاطبهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلسانهم، وذلك قول الله جل ثناؤه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}** [إبراهيم:4]، وقال: **{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ}** [الشعرا:195]، وقال الله عز وجل يحكي عنهم يوم القيامة: **{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(101)}** [الكهف].

يعني تبارك وتعالى بذلك أنهم كانوا لا يبصرون الحق ولا يميلون إليه بقلوبهم ولا يريدونه بشيء من حواسهم ولا يصغون إليه بآذانهم، ولا يريدون أن يسمعوه باختيارهم وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه وهم في ذلك يقدرون أن يسمعوا وينصتوا إليه لو أرادوا لأن الله جل ثناؤه لم يحل بينهم وبين الاستماع، وقد قال الله عز وجل: **{وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(198)}** [الأعراف]، وقال عز وجل في موضع آخر: **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}** [مريم:38]، يعني ما أسمعهم وما أبصرهم مثلما تقول العرب: أكرِمْ بفلان، أي ما أكرمه.

وقوله عز وجل يعنف الكفار ويعجّب نبيه عَلَيْه السَّلام من كذبهم: **{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ(5)}** [فصلت]، فلو كان في آذانهم وقر لم يسمعوا دعاء النبي صلى الله عليه لهم إلى الإسلام ولم يجز أن يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم، فهذا أوضح شاهد عليك.

وقال الله عز وجل في أهل النار: **{وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ(100)}** [الأنبياء]، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية أن أهل النار لا يسمعون عندكم أيها المجبرة فهو خير لهم أن لا يسمعوا ما فيها من البلايا والأهوال والأصوات المنكرة المكروهة وأصوات السلاسل والأغلال وما فيها من الأنكال.

فإن قلت: إنهم فيها لا يسمعون وحقّقت ذلك لأن يجوز كذبك ؛ أكذبك الله جل ثناؤه في القرآن المبين حيث يقول ويوجب أن أهل النار يسمع بعضهم بعضاً فقال: **{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا [نَصِيبًا مِنَ النَّارِ(47)]}** [غافر:47]، **{[فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا] مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ(21)}** [إبراهيم]، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم عن بعض، ولو كانوا لا يسمعون ما تحاجوا ولا فهم بعضهم عن قول بعض.

وإنما عنى أنهم لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير، وقوله: **{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(101)}** [الكهف]، إنما يعني بذلك أنهم لا يريدون استماع الحق ولا الرغبة فيه، ولم يستعملوا استطاعتهم في طلبه، كما قال جل ثناؤه: **{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي}** [الكهف:101]، والله عز وجل لا يُذْكر بالأعين وإنما يذكر بالألسن.

وهذا دليل على أن القوم المجبرة إنما هلكوا في الدين من جهلهم بمعاني اللغة العربية وإعراضهم عن الأئمة الذين استخلفهم الله عز وجل على عباده وبلاده وجعلهم ورثة لنبيه صلى الله عليه وعليهم.

ومن الحجة على ما قلنا في معرفة اللغة العربية قول الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ... ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِي

يعني بذلك الأحياء الذين لا يريدون استماعه، ولا القبول عنه، فقال: ولكن لا حياة لمن تنادي، وفيهم الحياة موجودة ؛ فافهم معاني اللغة العربية كيف تتصرف.

ثم قال في صفة سمع الميت الجائز عند العرب في لغتها ما يروى عن قيس بن عاصم التميمي ثم المنقري وهو الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه فقال فيه رسول الله صلى الله عليه: ((هذا سيد أهل الوبر)) فلما حضرته الوفاة دعا بناته وحامّته فقال لهم: لا أسمعن من يندبني ويبكي علي بعد موتي، فجاز هذا في لغة العرب، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره، وقال الشاعر في تصديق ذلك:

لا أسمَعَنَّكَ بعدَ الموتِ تَنْدُبُنِي ... وفي حياتي ما زَوَّدتني زادا

وقال عمارة بن عقيل التميمي يحضّ قومه على المواصلة وترك القطيعة:

فدونكما يا ابْنَيْ نِزَارٍ تلافِياً ... كما لُفِّقَ البُرْدُ اليمانيُّ بالْبُرْدِ

ولا تُسْمِعاني الزُّورَ في الْهَامِ هامَتِي   تراميكُما بالنَّبْلِ ويْحَكُما بعدِي

فقال: ولا تسمعاني تراميكما بالنبل ويحكما بعدي وهو قد علم وعلمت العرب أنه لا يسمع بعد الموت، ولكن جاز ذلك في لغة العرب التي لا يقوم بمعرفتها إلا أهل العلم.

وإنما غلط هؤلاء المجبرة في دينهم وكذبوا على ربهم وألزموه ذنوبهم وخلق أفعالهم لجهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ومعاني القرآن الذي خاطب به رسول الله صلوات الله عليه قومه الفصحاء البلغاء.

فافترت المجبرة على الله عز وجل وتأولوا كتابه على مبلغ عقولهم وتعلقوا بالمتشابه الذي لا علم لهم بتأويله وزعموا أنهم أُتوا في ذنوبهم ودخل عليهم البلاء من قِبَل ربهم، وكذبوا عليه سبحانه، وزعموا أنا نحن المفترون عليه عز وتعالى.

ومن الحجة عليك في اعتلالك علينا بقول الله عز وجل: **{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(101)}** [الكهف]، فنقول لك: ما تقول في قول الله عز وجل يخبر عن أهل النار إذ قال: **{وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ(100)}** [الأنبياء]، أتقول إن هذا القول على حقيقة لا مجاز له ولا تأويل فيه ؟ وتقول إنهم صم لا يسمعون قليلاً ولا كثيراً ؟

فإن قلت: نعم كذلك أقول ؛ أكذبك الله حيث يقول: **{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ(47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ(48)}** [غافر]، وليس بدّ للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك.

ومن الحجة لنا عليك أن نقول لك: أخبرْنا عن قول الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قال له يعاتبه على إذنه للقوم الذين أذن لهم فقال له: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ**

الْكَاذِبِينَ(43)} [التوبة]؛ فنقول لك: هل كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ؟

فإن قلت: نعم ؛ لزمك أنك قد رجعت عن قولك وبطل احتجاجك في أن الاستطاعة مع الفعل وصرت إلى الحق وهو قولنا.

وإن قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم إلا مع الفعل ؛ لزمك أن الله عز وجل قد عاب عليه وعنّفه في أمر لم تكن له عليه استطاعة ولا مقدرة، وهذا أعظم الجور وردّ للقرآن إذ يقول:**{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7].

ثم نقول لك: أخبرنا عن قول الله عز وجل لنبيه داود صلى الله عليه: **{يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** [ص:26]، أليس قد قال عز وجل هذا القول لداود صلى الله عليه ؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: فهل أمره الله من الحكم بالحق وترك الهوى بما يقدر عليه ويملكه وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت: نعم ؛ تركت قولك وصرت إلى قولنا.

وإن قلت: لا، لم يكن داود يستطيع الحكم بالحق ولا ترك اتّباع الهوى إلا مع الفعل لذلك ؛ لزمك أن الله عز وجل قد كلّف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه وليس هو موجوداً في بنيته وأن قوله: **{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [البقرة:286]، و**{إِلَّا مَا ءَاتَاهَا}** [الطلاق:7]، باطل لا يصح وليس له حقيقة، وهذا أعظم الكفر والخروج من الإسلام جملة.

وكذلك يلزمك في جميع ما أمرت به الأنبياء من هذا النحو على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأمم، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت أنهم لا يستطيعون سمعاً على ما توهّمت وذهبت إليه من الجبر والفرية على خالقك جل الله عما قلت لما لزمتهم لله عز وجل حجة

ولا كانت عليهم له مطالبة إلا أن تقول: إن الأصم تلزمه الفرائض التي هي من طريق السمع.

فإن قلت كذلك ؛ أكذبك جميع أهل القبلة ؛ لأن الأصم لا حجة عليه في الفرائض التي هي من قبل الأمر المسموع من القرآن وغيره مما لا يُدرَك في الدين إلا من جهة المسموع، وكفى عليك بهذا القضاء فضيحة في دينك، فقد بان خطؤك وغلطك فيما سألت عنه وذهبت فيه إلى الجبر وفارقت العدل.

ولو كانوا لا يستطيعون سمعاً على ما ذهبت إليه لبطل قوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}** [الإسراء]، ولا يجوز بعثه الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد، وفيه الكفاية الكافية، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل: قول عز وجل: **{وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ}** [البقرة:235]، ألا ترى أنهم لو أرادوا النكاح قبل بلوغ الكتاب أجله لأمكنهم ذلك، ولإمكانه لهم ومقدرتهم عليه ووجود الاستطاعة فيهم قبل فعله افترض الله عز وجل عليهم أن لايعزموا على النكاح ولا يفعلوه حتى يبلغ الكتاب أجله، وهو وفاء العدة وبلوغ الأمد، وهذا أقطع ما يكون لكم في قولكم إن الاستطاعة مع الفعل.

ومن الحجة لنا عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل: قول الله عز وجل: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(29)}** [المائدة]، فقال الله عز وجل: **{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(30)}** [المائدة].

أفلا ترى أيها المغرور في دينه كيف أخبر الله عز وجل أن نفسه هي التي طوعت له قتل أخيه، وأن الله لم يرد ذلك ولم يخلقه ولم يقدره ؟ وأن الاستطاعة مع كليهما موجودة قبل

فعلهما مقرّين بذلك ومصدقين بها، فنزل هذا القرآن غير مكذب بقول هذا لصاحبه {**لأَقْتُلَنَّكَ**}، لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله، وقول الآخر: {**مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ**}، لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله فلذلك كفّ وتورّع، ولو كان يعلم أنه لا يقدر على ذلك لم يجز على الله جل ثناؤه أن يخبر عنه ويصوبه في فعل ما لا يقدر عليه.

والله بريء من فعل الذي قتله ولذلك صار القاتل ظالماً متعدياً إذ لم يكف استطاعته عن الظلم واستعمالها في الفساد، وأمسك الآخر ولم يعجل إلى القتل الذي له فيه استطاعة وهو له ممكن من قبل فعله.

وهذا خبر الله عز وجل، وهذا كتابه ينطق بخلاف قولك إن الاستطاعة مع الفعل، وفي هذه الآية من الحجة عليك في إثبات العدل وبراءة الله عز وجل من قتل من قُتِل مظلوماً، قوله: {**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}، ولم يقل: فضيتُ عليه قتل أخيه، ولا أردته منه، ولا خلقت فعله، وكان من ندامته أن لبث يحمله فيما يقال على عاتقه مائة عام لا يدري كيف يصنع به، {**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31)**} [المائدة]، ثم قال الله عز وجل على أثر هذا مثبتاً للعدل، ومبرئاً لنفسه من الظلم: {**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**} [المائدة:32].

أفلا ترى كيف ندم ابن آدم ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه وقد كان الدفن يمكنه قبل فعله وهو مستطيع له، ولذلك قال: {**يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي**}، لعلمه أنه قد كان قادراً مستطيعاً أن يدفن أخاه، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال: {**يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ**}، ولا يجوز أن يخبر الله عز وجل عنه بما لا يكون، وكيف يتلهف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ؟

وكيف يحكي الله عز وجل خبراً لا يصح ولا يجوز في المعقول ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له؟

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ففيها كفاية لمن عقل، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل: قول الله عز وجل: **{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}** [النور:31]، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن الاستطاعة قبل الفعل.

ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل من قَبْل أن يفعلن، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن، ولو لم تكن معهنّ استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن لم يفترض عليهن أمراً لا يقدرن عليه وتكليف ما لا يُطاق عز الحكيم العادل عن ذلك.

وكذلك قوله: {**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ**}، فلم يكن ليأمرهم عز وجل ويفترض عليهم التوبة من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها ويمكّنهم منها.

وأكبر الشاهد لنا على ذلك قوله عز وجل: {**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**} [المائدة:74]، ويلومهم كما تسمع على ترك التوبة التي هي ممكنة لهم إن أرادوها، فهذا أكبر دليل وأقوى حجة، **{وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ(101)}** [يونس]، أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان فسبحان الله العظيم.

ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل قوله عز وجل: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ(15)}** [الأنفال]، فهذا يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل، ولولا ذلك ما قال عز وجل: **{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}** [الأنفال:16]، فلم يكن الله ليغضب عليهم في أمر لا يستطيعون إليه حيلة.

ومن الحجة لنا في إثبات العدل وأن الله عز وجل لا يعذب أحداً إلا بظلمه وجرمه وإثمه وغشمه واختياره قوله عز وجل: **{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا}** [النمل:52]، ولم يقل بما قضيت عليهم وقدرت وأردت.

وقد روي عن كعب الأحبار أنه قال: قرأت في الكتب السالفة الأولى: ومن يظلم نخرب بيته، فكنت على ذلك فينة من دهري حتى بُعث النبي محمد صلوات الله عليه وعلى آله فلما سمعت به سرت إليه وأسلمت وأقمت عنده وتصفحت ما نزل عليه من القرآن وطلبت نظيراً لتلك الآية التي وجدتها في التوراة فلم أجد، فبينا أنا على ذلك إذ نزل عليه صلوات الله عليه هذه الآية: {**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**}.

فالله عز وجل لا يؤاخذ أحداً من جميع خلقه إلا بعد ظلم وذنب بدأ به هو واكتسبه واختاره بعد النهي عنه والدعاء إلى غيره من الطاعة ولم يرد منهم عز وجل أن يكفروا ولا أن يُدْبروا عن أمره ؛ ألا تسمع إلى قول نوح صلى الله عليه:**{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا(7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا(8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا(9)}** [نوح]، ثم قال: **{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(13)}** [نوح]، ثم كان من ردهم عليه أن قالوا: **{لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا(24)}** [نوح].

أفلا تسمع إلى هذا القول العجيب والحكمة البالغة ؟! وأين هذا من دعواك يا عبدالله بن يزيد البغداذي وإخوانك المجبرة التي أسندتم فيها إلى خالقكم أنه أراد الكفر من الكفار جرأة على الله جل ثناؤه وتعامياً عن كتابه ومكابرة للعقول وميلاً إلى تقليد الرجال بلا حجة ولا بصيرة ولا شاهد من كتاب الله عز وجل إلا ما تعلقتَ به من المتشابه في القرآن الذي جهلتَ تأويله.

فقد علمت ما ورد عليك في كتابنا هذا من الكسر لحجتك واستشهاد القرآن عليك والحجة الواضحة التي لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً.

وقد قال الله تبارك وتعالى: **{مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(7)}** [آل عمران].

فقال قوم: إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل الكتاب ؛ جهلاً منهم وبلاءً، لعمر الله إن الراسخين ليعلمون تأويل الكتاب، وما تحتاج إليه الأمة من أمر دينها الذي تعبدها الله عز وجل به، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم ؛ لأن من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ في العلم وإلا ففيما رسخ إذا لم يعرف تأويل القرآن.

فأولئك هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة عَلَيْهم السَّلام، والراسخون في العلم هم أهل التنزيل والتأويل ولو لم يكن عندهم علم الكتاب لما جاز أن يقول الله جل ثناؤه في كتابه: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)}**[النحل]، والذكر فهو محمد صلى الله عليه وعلى آله.

ودليل ذلك قول الله عز وجل: **{قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(10) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ}** [الطلاق]، فصار الذكر هو الرسول، وهذا ما لم يُدفع.

فصار أهل البيت عَلَيْهم السَّلام المأمور الخلق بسؤالهم، ولم يكلفوا أن يسألوا عبدالله بن يزيد البغداذي، ولا عبدالرحمن بن خليل، ولا عبدالكريم بن نعيم، ولا مسلم بن [أبي] كريمة، ولا عبدالصمد، ولا المعلم، ولا نجدة بن عامر، ولا أبا مؤرج السدوسي.

إلا أن يدعي عبدالله بن يزيد البغداذي وهؤلاء النفر الذين سمينا أن جبريل صلوات الله عليه كان يهبط على جدهم وفي بيوتهم فدرجوا بين التنزيل والتأويل وغذاهم الرسول، وناغاهم وأظلهم بجناحه الأمين، ونزل فيهم من الله عز وجل:**{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا}** [الشورى:23]؛ فإن صح

ذلك فهم أولى وأحق أن يُسألوا، وإن لم يصح فغيرهم أولى بالمقام وأحق بالذب عن الإسلام والقيام بالأحكام منهم.

فهذا جوابنا لعبدالله بن يزيد البغداذي على مسائله ومن وصل إليه هذا الكتاب ولم يوضحه للناس ويبينه للمسلمين فهو في أعظم الحرج حتى يكون الله جل ثناؤه هو المطالب له يوم القيامة بما كتم من الحق، قال الله عز وجل: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(140)}** [البقرة]، والله عز وجل حسيب من ظلم، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)}** [الشعراء].